شرح رسالة الشيخ أرسلان

في علوم التوحيد والتصوف

خمرة الحان ورنة الألحان

شرح رسالة الشيخ أرسلان

للشيخ عبد الغني النابلسي

- فتح الرحمن بشرح رسالة الولي أرسلان
  للشيخ زكريا محمد الأنصاري
- نهاية البيان في شرح رسالة أرسلان
  للشيخ علي بن صدقة الشافعي
- شرح الرسلانية
  للشيخ علي بن علوان الحموي

مع شرح الرسالة الرسلانية ومنتخبات

للعلامة مصطفى كمال الشريف

عن مدخل:

«فصوص الحكم» وأقوال الشيخ الأكبر

تأليف وتحقيق

عزة حصرية

مطبعة «العلم» دمشق

١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد لله الواحد الاحد ، المنعوت بصفات العظمة والكمال ، والجلال والجمال ، والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي فتح الله به مغاليق الابواب والسدود امام كل من اقام الحدود ، واستمسك بالكتاب والسنة ، وهما العروة الوثقى والمقصود .

اما بعد يسرني ان اقول بان الدراسة التي قدمتها عن الشيخ أرسلان الدمشقي في كتابي الاول عنه[1] ، وعن شيخنا العارف بالله تعالى الشيخ احمد الحارون الحجار العسل ، قد تركت في نفسي شعوراً لا عهد لي بمثله ، لا استطيع ان اصفه ، لانه اعمق من الادراك ، ولا أنساه لانه أوسع واكبر من الذاكرة ، هو شعور النشوة والغبطة وشيء آخر لا أدريه ، ملأت كلها حياتي بالامل الدافع والعمل المثمر ، فتحركت الى دوحات المكتبات من اسلامية وعربية واجنبية ، وفي إهابي انسان آخر يعمل لانه يحب العمل ، وينزهي لانه يسعى الى نبش كنز آخر من كنوز هذه الامة ، ويجاهد لتقديم أرفع الافكار في هذه الحياة ، أودعها الله سبحانه وتعالى في كتاب رسالة التوحيد الشيخ أرسلان الدمشقي ، وفي شارحيها من العارفين بالله تعالى ومن العلماء العاملين .

تحركت الى دوحات المكتبات ، جسماً في بلادنا العزيزة ، ومخاطبة بالرسائل والكتب مع البلاد الاسلامية والعربية والغربية والشرقية ، مستعيداً ما وعاه ذهني من

---

(١) يراجع كتاب الشيخ ارسلان الدمشقي الذي اصدرته عام ١٣٨٥ هـ و ١٩٦٥ م.

ذكريات أنسانيها العمل الصحفي الشاق الذي مارسته سنين طويلة ، وما يضم بين جنباته من متاعب ومشاكل ، وتلك ذكريات يتجسد فيها جانب من جوانب الدراسة والبحث والتمحيص التي أغرمت بها منذ نعومة اظفاري ، بحثا وراء الحقيقة .

وعلى هذا الاساس تحركت ، أملاً في أن اجد في هذه المكتبات ما يشفي الغليل ، وما يحقق ظفراً في ميادين احياء التراث الروحي والفكري والثقافي .

وقضيت أشهراً عديدة في الحصول على بعض شروح رسالة التوحيد للشيخ أرسلان الدمشقي ، بحثاً عن الحقيقة التي اليها اشرت ، وانتقيت في النهاية خمسة شروح من اصل اثني عشر شرحاً ، لكل من العارفين بالله تعالى الشيوخ الاجلاء والأئمة : عبد الغني النابلسي وزكريا الانصاري وعلي بن صدقة الشافعي وعلي بن علوان الحموي ومصطفى كمال الشريف ، وقمت بتحقيقها جميعها ولله الحمد ، وإذا بها مع متن رسالة التوحيد ، سمو روحي تتجلى فيه الاشراقة الالهية ، وتتبدى التنزلات العلوية الرفيعة ، كما وجدت في العمل لذة أسميها لذة المحبين وحيوية اسميها حيوية المشتاقين ، وهما تتعاقبان على صفحة نفسي كما تتعاقب امواج السنين ، لتنفي الخبث وتطرح الغثاء ، ولتلفظ القشر وتحفظ اللباب ، في سطور مستوحاة من قلوب فياضة بالايمان ، مرتقية الى السماء حيث تنقطع المطامع ، وحيث تداس عروش الهوى الشيطاني البغيض ، وماذا بعد القراءة والتحقيق غير التطلع الى ان أكون طائراً الى الخير ؟ خير إظهار المؤلَّف الثاني للشيخ أرسلان الى حيز الوجود ، والى ان أكون نافراً من الشر ؟ شر إبقاء هذه الكنوز بين طيات النسيان .

كما رأيت ان أمهد لهذا التحقيق ، بابحاث عن حقائق علم التوحيد والتصوف والايمان ، والبحث في ذلك عرضة للتشعب والتطويل كيفما تناوله الكاتب ومن أي جانب تحراه ، فوفقني الله وقدمتها بايجاز قبل شروح رسالة التوحيد ، وإني لاهدي كل ذلك إلى القارىء على استحياء ، شاعراً بالعجز ومقراً بالتقصير ، ولا غاية من كل هذا سوى الحقيقة المجردة انشدها أنى وجدت ، وقد أكون مخطئاً في طريق الوصول الى الغاية ، فما كان من صواب فهو من توفيق رب الأرباب ، وما كان من خطأ فهو من نفسي .

بقي علي ان أصدق القول بان منتخبات العلامة مصطفى كمال الشريف ، وفيها الشيء الكثير من الكنوز الدفينة ، قد هيأت لي عرفان ما كنت اجتويه من مسائل التوحيد والتصوف والايمان ، خاصة ما كتبه عن : «العبادة والعبودية والعبودة» و «الارادة الجزئية والاختيار والكسب » ، و « الفهم عن الله » و « اصول السير » وما اليها من ابحاث مهمة جداً ، وكلها معروضة بسياق علمي دقيق ، وفي اسلوب سلس يفهمه القارىء العادي ، فانتقيت منها ما يتعلق بشرح الرسالة الرسلانية ، ونظراً لما يدور من المناقشات حول الشيخ الأكبر وللصلة بينه وبين الشيخ أرسلان ، = وبين الامامين مدة لا تزيد عن عشرين عاما = فقد فرحت عندما وجدت في منتخبات العلامة مصطفى كمال الشريف ، توضيحا علمياً يبين فضل الشيخ الأكبر ، واستمساكه بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجدت من واجبي ان اضعه مع ملحقات الكتاب حالياً ، على أمل ان يطلع عليه الناس ، ولعل لي عودة على الموضوع إذا أذن الله لي باخراج شيء من كتب الشيخ محي الدين ورسائله او من كتب المرحوم مصطفى كمال الشريف •

وقد قسمت هذا الكتاب الثاني عن الشيخ أرسلان الى أقسام بعد الاهداء والمقدمة أجملها فيما يلي :

القسم الأول : وهو يشتمل على نظرات عامة عن :

١ ـ علم التوحيد ونشأته وتطوراته •

٢ ـ وعن التوحيد والتصوف والايمان في المدرسة المثالية الأرسلانية •

٣ ـ وعن التوحيد في القرآن الكريم •

٤ ـ وعن التوحيد في السنة النبوية الطاهرة •

والقسم الثاني : يتحدث عن مصادر شروح الرسالة الأرسلانية الخمسة ، وعن التوحيد والتصوف كما يظهر في تلك الشروح •

والقسم الثالث : أفردته لعرض الشروح بنصوصها الأصلية بعد تحقيقها •

ثم أتبعت هذه الأقسام بملحقات :

الملحق الأول : نشرت فيه : « مـدخل الى فصوص الحكم » و « ذكرى لمطالعي فصوص الحكم » مأخوذين مما كتبه (السيد الشريف) •

والملحق الثاني : يحتوي على :

١ ــ فهرس الاعلام وتراجم الرجال الذين ورد ذكرهم في الكتاب •

٢ ــ فهرس الموضوعات •

وقد بقي علي أن أشير الى ناحيتين مهمتين وان أسجل أمرين اثنين :

أما الاول فهو انني عرضت المقدمات التي كتبتها عن حقائق علم التوحيد والتصوف والايمان على علمائنا الاجلاء الاساتذة والسادة مع حفظ الالقاب = وكان العرض على الترتيب التالي = :

السيد مكي الكتاني رئيس رابطة العلماء ، السيد سعيد الحمزاوي نقيب السادة الاشراف ورئيس جمعية الهداية الاسلامية ، بهجة البيطار عضو المجمع العلمي العربي ، صلاح الزعيم ، حسن حبنكة ، ملا رمضان البوطي ، زين العابدين التونسي ، عبـد الكريـم الرفاعي ، محمد علي المراد استاذ التربية الاسلامية في ثانويات حماه ، احمد الشامي مفتي دوما ، الدكتور محمد خير العرقسوسي ، الدكتور سعيد رمضان البوطي ، عبد الرزاق الحلبي ، احمد الحلبي •

وقد سبق لي أن أطلعت على المشروع فضيلة المرحوم الأستاذ الشيخ سعيدالبرهاني في دمشق وفضيلة المرحوم الفقيد الاستاذ محمد الحامد في حماه ، في إبان حياتهما .

وكان لتشجيع الجميع ولاوجه نظرهم وآرائهم افضل الاثر في نفسي ، مما ساعد في الاسراع باخراج الكتاب ، فاليهم الشكر والامتنان .

واما الامر الثاني ، فان في تسجيله فخاراً لانه عجل في جعل المعرفة في متناول الجميع ، ذلك ان الصديق الوفي الاستاذ الشيخ ياسين عرفة أبى الا ان يقتحم الموضوع رأساً ، فأسهم في نشر هذا السفر ، صادعاً كما صدعت بأمر المحدث الاكبر فقيد الاسلام والعروبة الشيخ بدر الدين الحسني الذي أوصاه في حياته ، بأن يعمل على نشر شرح الرسالـة الارسلانية للامام الشيخ عبد الغني النابلسي المعروفة باسم « خمرة الحان ورنة الالحان - شرح رسالة الشيخ أرسلان » ، فللمحدث الاكبر الرحمة والرضوان ، وللصديـق العزيز الشكر .

والفضل أولاً واخيراً لله العلي الأعلى الذي استمددت منه الاعانة لتحقيق الابانة واداء المهمة ، فكانت أمامي ارادة النجاح تظلني ، والارادة في الأصل هي ارادة الوسيلة ثم عقد النية على العمل .

والله تعالى اسأل ان ينفع بكتابي هذا ، ويجعله خالصاً لوجهه مقرباً إليه في الدنيا والآخرة ، وهو ولي التوفيق وعلى ما اقول وكيل .

عزة حصرية

القسم الاول

علم التوحيد ونشأته وتطوراته

نشوء علم التوحيد

لم يعن المسلمون في القرن الاول للهجرة ، بتدوين علم التوحيد ، واقتصروا على ما جاء في القرآن الكريم عن الله تعالى ، ثم ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان المرجع في محو التردد والحيرة ، والنور الوضاح لتبديد ظلمات الشبه ، على اساس كتاب الله الذي يعصم العقول لئلا يأتيها الباطل من بين يديها او من خلفها ، والذي هو الدستور الاساسي في اصول الدين : (فمن اتبع هُداي فلا يَضِلُ ولا يشقى ومن اعْرَضَ عن ذِكْرِي فانَّ له معيشةً ضنكاً ، ونحشُرُهُ يوم القيامة أعمى • قال ربِّ لِمَ حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتْكَ آياتُنا فنسيتَها وكذلكَ اليومَ تُنْسى) •

وقوف الصحابة رضوان الله عليهم بحزم في وجه اعداء الاسلام

وقام الخليفتان رضوان الله عليهما ابو بكر وعمر بالذب عن الحياض ومقارعة الاعداء ، وتثبيت اليقين وتقوية الايمان ، باسلوب يسهل على العامة فهم الدين ، وينقذ الخاصة من التكلف في الاستدلال ، ووقفا بحزم في وجه اعداء الاسلام ، ودفع غائلة الشكوك والريب عن المسلمين ، معتمدين اولا وأخيراً على القرآن الكريم وسنة نبيه العظيم •

وظل الامر كذلك في عهد الخليفتين عثمان وعلي رضي الله عنهما ، ثم توالت الاحداث بعد ذلك على صورة اضطر معها الأئمة والعلماء العاملون الى تدوين التوحيد كعلم له أسسه وقواعده •

علم التوحيد وعلم الكلام

ومن يقرأ التاريخ يسلم بان هذا العلم اخذ طريقه الى حيز الوجود بعد القرن الاول للهجرة ، وبلغ ذروته في القرن الرابع ، ومشى معه « علم الكلام » جنباً الى جنب، وكثر البحث خلال تلك السنين وتشعب ، واتخذ العلمان الواناً لم تكن ايام النبي صلى الله عليه وسلم ولا ايم الاولين من صحابته ، اما العلم الاول وهو علم التوحيد فقد ارتكز على القرآن الكريم والاحاديث النبوية ، ذلك ان القرآن الكريم بجانب دعوته للتوحيد والنبوة وما اليهما تعرض للاديان التي كانت منتشرة في عهد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ورد على اصحابها رداً مفحماً ، وقضى على الاسانيد التي استندوا اليها في خططهم، وقد تكلم القرآن مثلاً عن قوم انكروا جزءاً مما جاء في الاديان والالهيات والنبويات والسمعيات وقالوا : (ما يُهْلِكُنَا الا الدهر) ورد عليهم بانواع من الادلة ، كما تعرض القرآن للمشركين والشرك لما تكلم عن قوم ألهوا الكواكب واتخذوها شريكة لله وحمل على عبدة الاوثان ، كما ان القرآن الكريم ألقم حجراً لمنكري النبوات الذين كانوا يقولون : (أَبَعَثَ اللهُ بشراً رسولاً ؟) ، ولمنكري الحشر والنشر ممن اجابهم: (كما بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ) ، الى غير ذلك .

تسلل الفلسفة الى البلاد الاسلامية

ومن نافلة القول ان هذا النهج قد توسع بين مد العقول وجزرها ، وظهر للوجود « علم الكلام » في اعقاب تسلل الفلسفة الى البلاد الاسلامية ، وهي التي كانت تستمد الرأي من الفكر ، وتسارع العلماء العاملون الى القيام بفريضة تعليم التوحيد في اطار القرآن الكريم والسنة النبوية ، كما ذهب فريق آخر الى إحاطة العقيدة بالبراهين العقلية ، شريطة ان يكون الكتاب والسنة أصلاً لهذا العلم ، يرشد الى ذلك ما ورد في الصحيح من ان النبي صلى الله عليه وسلم لما أخبر أنه أُسري به(١) في ليلة واحدة من مكة المكرمة الى بيت المقدس ، شكك بعض من آمن به ، وجاءوا ابا بكر الصديق وقالوا

---

(١) من كتاب توضيح العقائد للسيد عبد الرحمن الجزيري ، طبعة : مطبعة الارشاد في مصر .

له : ما تقول في صاحبك وقد ادعى الأسراء ؟ فقال لهم الخليفة الاول : اني اصدقه في ابعد من ذلك ، أصدقه في خبر السماء •••

الحث على التفكر والتدبر والنظر في معاني القرآن الكريم

والمعنى واضح جلي في جواب ابي بكر الصديق رضي الله عنه ، اذ ان الذي يصدق باتصال النبي صلى الله عليه وسلم بربه بطريق الوحي الذي تنزّل عليه من السماء ، يظل على استعداد لتصديقه في كل ما يقوله ويجيء به ، وان كان فوق ادراكه وفوق امكانيات عقله ، فضلاً عن ان القرآن حث الناس جميعاً على التفكر والتدبر والنظر في المعاني الواردة فيه ، سواء كانت تتعلق بالتوحيد أو غيره ، وهي ما يسمى عند علماء التوحيد بأدلة العناية ، والناظر في كتاب الله عز وجل يرى ان كل ما ورد في هذا الصدد لا يخرج ابداً عن أدلة العناية والحث على اعمال الفكر في الاستدلال على التوحيد من جميع وجوهه ، مثال ذلك ما جاء في سورة الاعراف : (أَوَ لَمْ يَنظُرُوا في ملكوت السموات والأرضِ وما خَلَقَ اللهُ من شيءٍ وأَنْ عسى ان يكونَ قد اقترَب اجلُهُم فبأيِّ حديث بَعْدَهُ يؤمنون) •

ودار الزمن دورته ، فاذا بالفلسفة تختلط مع علم الكلام ، وتنتشر خلافات عديدة بعد ان كاد ينقضي العصر الاسلامي الاول في ايمان لا يعتوره أي جدل ، واخذ البعض يخرج بالناس عن القصد ويبعدهم عن الحدود المرسومة ، وعمد اكثر المتكلمين الى التوسع في كتب الجدل ، ظناً منهم بانها تطهر العقائد مما لوثها ، فنجح فريق وفشل فريق آخر ، ومع هذا ظل كتاب الله عز وجل المرجع الاول والاخير في علم التوحيد ، وبقي السبيل الذي يقتضي ان يستمسك به المسلمون على اساس ما جاء في آي الذكر الحكيم: (إنا نحن نزّلنا الذّكْرَ وإنّا له لحافظون) •

ولا مجال هنا للحديث عن اسباب الخلافات برمتها إلا مجال الاتيان ببعض الامثلة ، ومنها ان بعضاً ممن دخلوا في الاسلام بعد الفتح كانوا من ديانات مختلفة ، نشأوا عليها

وشبوا ، وما ان أسلموا واستقروا على الاسلام وهو الدين الجديد ، حتى اخذوا يفكرون في تعاليم دينهم القديم ، سواء أكانوا من اليهود أو من الزرادشتيين او البراهمة والصابئة والدهريين وما اليهم ، وبدأوا باثارة تعاليم دياناتهم وألبسوها لباس الاسلام ، مما ادى الى مشاكل لم تقف عند حد ٠

ثلاثة اسماء لعلم التوحيد

واتخذ علم التوحيد ثلاثة اسماء منذ اللحظة الاولى لظهوره الى حيز الوجود :

١ ـ علم التوحيد والعقيدة والصفات ٠

٢ ـ علم أصول الدين ٠

٣ ـ علم الكلام ٠

فتسمية علم التوحيد بعلم التوحيد والعقيدة والصفات قائم على اساس ان اهم ابحاثه مرتكزة على وجود الله وصفاته كالحياة والعلم والقدرة ، كما يتحدث عن احوال الممكنات كالبحث عن الجواهر والاعراض ، والمراد بالتوحيد الاقرار لله تعالى بالوجود والوحدانية وللرسول الاعظم بالرسالة التي امر بتبليغها لما ارسله الله تعالى الى جميع المكلفين على رأس اربعين سنة من ولادته ، داعياً للتوحيد ٠

وبالاختصار فان علم التوحيد والعقيدة والصفات ، اول واجب على المكلف ٠

اما التسمية الثانية ، وهي علم أصول الدين الذي يتحدث عن شروط صحة الايمان وعما يجب اعتقاده ، فينقسم الى قسمين : اولهما يَقْدح الجهل به في الايمان كمعرفة الله تعالى وصفاته الثبوتية والسلبية والرسالة والنبوة وامور المعاد ، وثانيهما لا يضر ولا يؤذي ، كتفضيل الانبياء على الملائكة مثلاً ، فقد قال السبكي : لو مكث الانسان مدة عمره ولم يخطر بباله تفضيل النبي على الملك لم يسأله الله تعالى عنه ٠

واما التسمية الثالثة التي هي علم الكلام فقد اختلف الناس في أسبابها ، وقال بعضهم انه سمي علم الكلام ، لأن اهم مسألة وقع فيها الخلاف في العصور الاولى ،

مسألة كلام الله وهل هو حادث – على رأي المعتزلة – أم قديم – على رأي اهل السنة والجماعة – •

الانقسام في المناهج بين اهل السنة وبين القائلين بالفلسفة

وهذا كله يسلمنا للتعرض لمسألة مهمة ، وهي ان المتكلمين انقسموا في مناهجهم الى قسمين : اهل السنة ومنهم الامام ابو الحسن الاشعري والامام الغزالي والامام فخر الدين الرازي وإمام الحرمين الجويني وابو اسحق الشيرازي والاستاذ ابو اسحق الاسفرايني ، وهم الذين اعتمدوا في دراستهم على الكتاب والسنة اللذين هما الاصل والفرع ومصدرا احكام الدين ، والقسم الثاني من جنح الى الفلسفة(1) والنظر العقلي ، فإن خالف نصوص الكتاب والسنة لجأ إلى التأويل ، زعماً منه ان عمله هذا هو في سبيل نصرة الدين ، وهؤلاء هم المعتزلة وهذه فرق كثيرة خرجت بفلسفتها عن الدين خروجاً تاماً •

اذن ! فالقرآن والحديث يجب ان يكونا أصل علم الكلام الى جانب الادلة العقلية ولا بد من الاستناد عليهما في كل جزء من اجزائه ، وكل تخلف عن هذا الطريق يؤدي الى الزيغ والضلال ، والى الخطأ والزلل ، وكل استمساك بهما يفضي الى اليقين والايمان ، في نور البحث والاستدلال ، وهو الميدان حث القرآن الكريم عليهما ، حين دعانا الله تعالى في كتابه العزيز الى التفكر في خلق السموات والارض وما فيهما ، تثبيتاً لليقين وتقوية للايمان وتبصرة وذكرى لكل عبد منيب •

وما أجمل ما قاله الاعرابي ذو الفطرة السليمة لما سأله الاصمعي : بم عرفت ربك؟ فقال : آثار الاقدام تدل على المسير ، فسماء ذات ابراج وأرض ذات فجاج وبحار ذات امواج ألا تدل على اللطيف الخبير ؟ •

---

(١) قال سماحة الاستاذ مكي الكتاني رئيس رابطة العلماء إن المرحوم الامام الشيخ أمين سويد امام علم التوحيد كان يؤكد دائمة بان كل المسائل التي في الفلسفة تخالف شيئاً من قواعد الاسلام ليست محل اجماع عند الفلاسفة انفسهم ، وقد جنح الى هذا التأكيد سلطان العارفين الشيخ الاكبر محي الدين ابن عربي •

ومع هذا الذي [illegible] من التشبه في [illegible] على الفلسفة ،
عن نشأة هذا العلم الذي [illegible] تشمخ علوه قدماً كما انتهى مشوباً بشيء من التغير في الكلام حول على [illegible] القرآن الكريم ، تحدثت فيه اقوال عند علماء الكلام في كلام الله ، على الناس معركة بين من تصرف في حكم العقل ، ومن [illegible] بظاهر الشرع ، ومع انهم كانوا متفقين على ان الاحكام الدينية واجبة الاتباع هي ما تعلق منها بالعبادات والمعاملات •

ومن المعلوم ان العقل البشري مهما اوتي من ذكاء فهو عرضة للخطأ والزلل ، اما الانبياء والرسل فهم الذين عصموا من الخطأ ، واخذوا رسالاتهم من لدن عليم خبير لا تخفى عليه خافية في الارض وفي السماء •

الخلاف في علم الكلام بين فرق عديدة

وعلى هذا ظهر الخلاف في علم الكلام على نطاق واسع بين فرق عديدة من ابرزها الأشاعرة[1] والماتريدية[2] والمعتزلة[3] •

---

(١) الاشاعره اتباع ابي الحسن الاشعري ، واسمه علي بن اسماعيل وجده الاعلى عبد الله ابو موسى الاشعري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولد عام ٢٦٠ بالبصرة ودخل بغداد ، واخذ علم الكلام عن أبي علي الجبائي شيخ المعتزله وقد فارقه وعاد عن الاعتزال في خطبه القاها على المنبر في يوم جمعة . بسبب سؤال ورد في فكره وسأل عنه شيخه وملخصه انه سأل شيخه ما تقول في ثلاثه اخوه مات احدهم كبيرا طائعاً والآخر كبيرا عاصيا والثالث صغيرا . فقال الجبائي : الاول يثاب بالجنة والثاني يعاقب بالنار والثالث لا يثاب ولا يعاقب فقال له الاشعري : فان قال الثالث : يارب لم أمتني صغيراً ، وما ابقيتني فاطيعك وادخل الجنه ؟ ماذا يقول الرب ؟ فقال الجبائي : يقول الرب : اني اعلم انك لو كبرت لعصيتني فدخل النار فكان الاصلح لك ان تموت صغيراً، فقال الاشعري : فان قال الثاني : يارب لم لم تمتني صغيرا فلا ادخل النار ؟ ماذا يقول الرب ؟ فبهت الجبائي وترك الاشعري مذهبه واشتغل واتباعه بابطال ما ذهبت اليه المعتزلة واثبات ما وردت به السنة ومضى عليه الجماعة ولذلك سموا باهل السنة والجماعة •

(٢) تنسب الماتريدية الى ابي منصور الماتريدي واسمه : محمد بن محمد بن محمود ، وماتريد اسم بلدة في سمرقند ولم يكن الماتريدي من اتباع الأشعري •

(٣) يرأس المعتزله واصل بن عطاء الذي اعتزل مجلس الحسن البصري ، ونادى

وقد اتفق الفريقان الاولان منه على ان الله تعالى متكلم وان القرآن الكريم كلام الله ، وخالفوا مع المعتزلة في كون صفة الكلام معنى قديمة قائمة بذاته تعالى لا حادثة مخلوقة له تعالى وقائمة بغيره ، في حين ان المعتزلة اكدوا ان كلام الله مخلوق ، لانه مؤلف من الحروف ينقضي بمجرد النطق به ، دالة على معان معلومة ، واكدوا يؤكدون انه لا نزاع في ان هذه الالفاظ حادثة .

ورد الاشاعرة والماتريدية ان الكلام ينقسم الى لفظي ونفسي ، فاللفظي هو القرآن المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وكذا سائر الكتب السماوية المنزلة ، وفي رأيهم ان الكلام اللفظي حادث مخلوق لله تعالى ، لانه الفاظ تنقضي بمجرد النطق بها ، واما النفسي فهو صفة قديمة قائمة على ذاته تعالى ، ليست بحرف ولا صوت ، يدل عليه الكلام اللفظي ، وهذه الصفة القائمة بالنفس غير العلم وغير الارادة .

وهكذا يمكن القول عن الخلاف في امور كثيرة ، بدأت مع اول مشكلة ظهرت في علم الكلام ، وهي مسألة الاختيار واستقلال الانسان بارادته وافعاله الاختيارية ، ثم مسألة من ارتكب الكبيرة ولم يتب ، وكانت المناظرة بين واصل بن عطاء مع استاذه الحسن البصري ثم امتد الخلاف الى اثبات صفات المعاني للذات الالهية او نفيها عنه ، والى تقرير سلطة العقل في معرفة جميع الاحكام الدينية ، مما ادى الى تفرق المسلمين شيعاً واحزاباً ، كما تناولت الخلافات افعال العباد وهل هي مترتبة او متولدة من فعل مباشر ، كحركة المفتاح المترتبة على حركة اليد ، وما سوى ذلك من شؤون وشجون تناولت السمعيات — والمراد بالسمع الكتاب والسنة — ، وحقيقة رؤية الله تعالى وهل يصح وقوعها في الآخرة وأمثالها ...

مذهب السلف الصالح يعطي الجواب الكافي

اما مذهب السلف الصالح اهل السنة في هذه المواضيع بأجمعها فيعطي الجواب الشافي الكافي الذي يتلخص فيما يلي :

بان مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا بكافر . فقال الحسن اعتزل عنا واصل . ولذا سموا بالمعتزلة . وقد وجد هؤلاء مقاومة عنيفة من الاشاعرة والماتريدية = من كتاب توضيح العقائد لعبد الرحمن الجزيري ص ١٢ = .

١ ـ الكلام ينقسم الى نفسي ولفظي خلافاً لبعض المعتزلة الحاصرين له في اللفظي، وقد حدثت اللغة العربية عن ان الكلام لفظي ونفسي : يشهد بذلك قول الاخطل :

ان الكلام لفي الفؤاد وإنما ... جعل اللسان على الفؤاد دليلا

ثم قول سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه : (زورت في نفسي كلمة) أي لم يقلها بلسانه .

اذن ! فالكلام النفسي ثابت في اللغة وعليه نقول : كلام الله النفسي قديم ، وأما الكلام اللفظي الذي جاء القرآن به فهو كلام الله القديم ، بمعنى انه يدل على ما دلت عليه الصفة النفسية القائمة بذاته تعالى ، وهذا الكلام اللفظي الذي جاء القرآن به يقال له كلام الله القديم ، باعتبار هذه الدلالة ، وجاء هذا القرآن ذو الاعجاز بهذه الالفاظ نتعبد بها تلاوة ، كما جاء بها نستنبط منها الاحكام من عامة وخاصة ومجملة ومفسرة وغير ذلك من اقسام العلوم التي جاء بها القرآن ، وهو في بلاغته وفي علومه وفيما يحدثه من التاريخ الماضي والمستقبل وغير ذلك ، سيبقى اعجازه الكبير .

فعلماء التوحيد يبحثون عن الصفة النفسية القائمة بذاته تعالى المنزهة عن الحروف والاصوات ، وعن التقدم والتأخير ، وعن الصحة والاعلال ، وعلماء الاصول والفقه يبحثون عن هذه الالفاظ التي انزلت على محمد عليه الصلاة والسلام من ناحية الاحكام والادلة وغيرها ، فكل منهما كلام الله القديم الا ان ما بين دفتي المصحف كلام الله القديم ، باعتبار دلالته على ما دلت عليه الصفة القائمة بذات الله .

٢ ـ ان العبد له ارادة ولله ارادة ، فالعبد ارادته انما هي الاختيار ، وما اراده الله ففيه الخلق والايجاد ، فالعبد اذا اختار الخير خلق الله له الخير ، واذا اراد الشر خلق الله له الشر ، وعلى هذا بني تكليف العبد ، واما الاحتجاج بان الله اراد لي كذا واراد لي كذا فهو احتجاج غير صحيح ، لان ذلك مما لم يطلعنا الله عليه فكيف نحتج ؟ .

٣ — التوبة من حقوق الله تعالى لها شروط : أولها — ان يقلع الانسان عن الذنب في الحال وثانيها — ان لا يعود مثله في الاستقبال وثالثها — ان يندم على ما فرط منه في الماضي ، وهذه هي التوبة النصوح التي يرجى من الله قبولها .

٤ — ان صفات الذات لله تعالى هي كالحياة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام ، واما صفات الافعال فهي كالخلق والرزق والاحياء والاماتة ، وكلها صفات تتعلق بالمخلوقات وتستمد في كل ان من صفات الذات . كما يقول اهل السنة انها صفات الوجود قائمة بذات الله تعالى ، واما المعتزلة فهم ينفونها ويقولون بالصفات المعنوية ، اي كونه قادراً سميعاً بصيراً ! .

ويقولون : انه قادر بلا قدرة ، وعالم بلا علم ، ومريد بلا ارادة ! واما اهل السنة فيقولون : لا يكون الشيء قادراً بدون ما منه يشتق وهو القدرة ، واما صفات الافعال ففيها خلاف بين الاشاعرة والماتريدية ، فالاشاعرة يقولون : هي تعلقات القدرة وهي حادثة ، والماتريدية يرجعونها الى صفة التكوين ، ويعدونها من صفات المعاني ، وهي عندهم من الصفات القديمة .

٥ — ان معرفة اسرار الشريعة ومقاصدها وحكم احكامها والتمييز بين محاسن الحلال ومفاسد الحرام ، يدركها الانسان في عقله ، فيرغب في اتباع الاوامر لما فيها من المحاسن ، واجتناب النواهي لما فيها من الاضرار .

٦ — ان الله تعالى تصح رؤيته في الآخرة ، كما في قوله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة[1]) .

---

(١) يقول الشيخ الاكبر في رسالة الجلال والجمال : واما هذا الجلال فقوله تعالى: (وجوه يومئذ ناضره الى ربها ناظره) فنزل سبحانه في جمال مباسطه معنا الى ان ندركه بابصارنا — النظر بلا كيف ولا انحصار — وبنظر الى هذا قوله عليه السلام : « ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر وكما ترون الشمس بالظهيرة ليس دونها سحاب لا تضارون في رؤيته » . وقال تعالى في حق اصحاب الجحيم : (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) = .

الصلة الوثيقة بين أدلة الايمان والعقل

اخيرا نعود فنقول ان ما جرى بعد القرن الاول للهجرة ، مما ذكرناه قبلا كاد يطيح بالامة لولا ان حفظ الله علم التوحيد ، على يد الأئمة الاعلام الذين شخصوا الداء ووصفوا الدواء ، والذين علموا ان الدين لم يكن أصدق عقيدة بل انه كذلك أصدق فلسفة حين قرر ان الله جل وعلا : (ليس كمثله شيء) . كما أثبتوا بالادلة والبراهين ان الصلة تظل وثيقة بين الايمان والعقل ، اذ ان العقل يفرق بين عقيدة الشرك وعقيدة التوحيد ، كما يستطيع التفرقة بين أدلة التنزيه وادلة التعطيل ، وبين ضمير مؤمن وضمير بعيد عن الايمان .

وبعد فهذه خلاصة متواضعة عن نشوء علم التوحيد ، وعن المدارس التي مر بها منذ القرن الاول للهجرة ، الى ان وصلنا الى الأسس التي نجدها اليوم بين ايدينا ، والله نرجو ان يكلأنا جميعا بعين رعايته وان يمنحنا العون ، انه على ما يشاء قدير .

علم التوحيد

سئل ابو بكر الصديق رضي الله عنه[1] بم عرفت ربك ؟ فقال : عرفت ربي بربي ولولا ربي ما عرفت ربي ، فقيل له : فهل يتأتى لبشر ان يدركه ؟ فقال : العجز عن درك الادراك إدراك[2] .

وسئل علي بن ابي طالب كرم الله وجهه[3] : بم عرفت ربك ؟ فقال : عرفت ربي بما عرفني به نفسه ، لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس ، قريب في بعده ، بعيد في قربه ، فوق كل شيء ، ولا يقال تحته شيء ، أمام كل شيء ، ولا يقال امامه شيء ، وهو في كل شيء لا كشيء في شيء[4] فسبحان من هو هكذا ولا هكذا غيره .

ولما سئل الامام علي : هل عرفت الله بمحمد او عرفت محمداً بالله ؟ اجاب : لو عرفت الله بمحمد ما عبدته ولكان اوثق في نفسي من الله ، ولو عرفت محمداً بالله ما احتجت الى رسول الله ، ولكن الله عرفني نفسه بلا كيف كما شاء[5] وبعث محمداً صلى الله عليه وسلم بتبليغ احكام القرآن وبين مفصلات الاسلام والايمان وإثبات الحجة وتقويم الناس على منهج الاخلاص ، فصدقت بما جاء به .

وسئل الامام علي عن حقيقة التوحيد فقال : لما ركضت الارواح في ميادين المعرفة ، فسبقت روح نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أرواح الانبياء ، فحلم عليه حلمة المعراج »، فقيل له ، وما غاية المعرفة ؟ فقال : الدهش[6] في كبرياء الله عز وجل .

---

(١) من كتاب « حل الرموز » للامام الشيخ العز بن عبد السلام « ص ٥٠ » .

(٢) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما فضلكم ابو بكر بصوم ولا صلاة . ولكن فضلكم بشيء وقر في صدره = اي علم التوحيد = » .

(٣) من كتاب « حل الرموز » للامام الشيخ العز بن عبد السلام « ص ٥١ » .

(٤) أي : (ان الله بكل شيء عليم) .

(٥) أي : (بآثار صنعه ومخلوقاته) .

(٦) الدهش هو الحيرة = كما قال سماحة السيد مكي الكتاني رئيس رابطة العلماء في الجمهورية العربية السورية = .

علم التوحيد يحتوي على معان اربعة

بهذه الأسئلة الخمسة وفي هذه الأجوبة المنيعة على طريقة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نختصر علم التوحيد الذي يحتوي على معان اربعة .

احدها : « لغوي » وهو العلم بان الشيء واحد .

ثانيها : « عقلي » بمعنى اهل الدين ، وهو علم يقتدر به على إثبات العقائد الدينية مكتسب من أدلتها اليقينية .

ثالثها : « اصطلاحي » لا بمعنى اهل الدين ، وهو إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته والتصديق به ، ذاتاً وصفات وافعالاً ، واذا قلت هذا حصل التوحيد بالذكر مع ان الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم حينما سئل لتعريف علم التوحيد جاء الجواب على ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما حصل التوحيد بالذكر من بين سائر ما أمر به ، لأن التوحيد اصل العبادات و شرطها ، ومن لم يسلم له العقيدة لا يصلح منه اي عمل ، ثم تليه الصلاة على نحو ما جاء في حديث رسول الله عن ابي سعيد الخدري : « ان الله لم يفرض شيئاً افضل من التوحيد والصلاة » .

رابعها : « شرعي » وهو ما يتعلق بافعال المكلفين مما جاء في الكتاب والسنة .

النور والمشكاه والزجاجه والكوكب الدري

وان نور التوحيد شاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال : « إن الله خلق خلقه في ظلمة ثم رش عليهم نورا من[1] نوره ، فمن اصابه ذلك النور اهتدى ومن اخطأه ذلك النور ضل » .

فقد اسند الله النور الى نفسه في كتابه العزيز : (الله نور[2] السموات والارض

(١) من : تعني من ابتداء الخلق لا للتبعيض .
(٢) جاء في الحديث الشريف : « اللهم لك الحمد انت نور السموات والارض »
= حديث صحيح = .

مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شيء عليم) .

وقال العارفون بالله تعالى في تفسير هذا النور(١) : ان الله سبحانه وتعالى خلق النور ، وان الله سبحانه وتعالى جعل القرآن الكريم نورا ، لأنه يهتدى به حين تسود الظلمة والظلمات ، وان المعنى المقصود بالمشكاة انها سرة ، بسريانه ، انها المؤمن ، والمصباح سره نور التوحيد ، والزجاجة بشرية قلب المؤمن ، ذلك ان القلب المؤمن شفاف تعبر منه اشعة انوار التوحيد الى ما وراءه من الجوارح ، والى ذلك اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله لرجل كان يعبث بصلاته : « لو خشع قلب هذا الرجل لخشعت جوارحه » .

الالهيات والنبوات والسمعيات

الى هنا نحسب ان اهم معاني التوحيد التي حضرت على الذهن بتلخيص ، هنا ننتقل الى فروع التوحيد الثلاثة التي تستوعب أبحاث العقيدة كلها ، وتغنينا عن القطع الى غيرها ، زعم ان العقيدة أكبر من ان نحدها بأي شيء ، وهي في الحقيقة الترجمان الصحيح للصلة بين الله وبين الانسان ، وهذه هي الفروع الثلاثة :

١ ـ الالهيات : وهي المسائل التي يبحث فيها عن الله عز وجل ، وبيان ما يجب له سبحانه وتعالى ، لأن ذلك أشرف المباحث الالهيات ولأن الوجود أصل ، اما ما عداه فهو فرع له ، وهي على نوعين : احدهما عقائد سمعيات وثانيهما عقائد عقليات(٢) .

---

(١) من كتاب « زبدة التصوف » للعز بن عبد السلام .

(٢) يقول فضيلة الاستاذ عبد الكريم الرفاعي : الالهيات : منها ما يستند على دليل عقلي محض كالصفة الانسانية ، وهي الوجود والقدم والبقاء والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس والوحدانية ، ومنها القدرة والارادة والعلم والحياة ، وهذه الاشياء لا يقبل فيها الا الدليل العقلي المحض ، واما السمع والبصر والكلام فانها تعتمد على الدليل النقلي .

٢ ـ النبوات وهي المسائل التي يبحث فيها عن النبوة وأحوالها وخصائصها .

٣ ـ السمعيات وهي المسائل التي لا تعلم أحكامها إلا من السمع ولا توجد إلا من الوحي ، أي الكتاب والسنة عن الرسول عليه السلام ، وأخبرنا بها عن الله تعالى أو أخبرنا الله تعالى بها في كتابه العزيز ، ولا توجد الا من النقل والسمع ، وليس للعقل فيها إلا التجويز والإمكان ، كأخذ الله على نفسه الالتزام بما أوجب على نفسه تعالى كما جاء في القرآن الكريم : (كتب ربكم على نفسه الرحمة) وكالخبر عن وجود الملائكة والجن والجنة والنعيم والنار والعذاب الخ ....

العقيدة الصحيحة ترتكز على العقل والنقل

ونحن نقول : ليس للعقل فيها إلا التجويز والإمكان ، حتى إن العقيدة الصحيحة ترتكز دوماً على العقل والنقل كما قال الإمام السنوسي في مختصر ابن الأثير :

العقل ذلك المقدار المهيأ لتقبل العلم ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة عقلاً ، ولهذا قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « العقل عقلان : مطبوع ومسموع ، ولا ينفع مسموع إذا لم يك مطبوع ، كما لا تنفع ضوء الشمس وضوء العين ممنوع » .

وإلى هذا أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من العقل » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما اكتسب أحد شيئاً أفضل من عقل يهديه إلى هدى أو يرده عن ردى » ، كما أن القرآن الكريم يتحدث عن العقل قال : (وما يعقلها الا العالمون) .

الواجب الذاتي والمستحيل الذاتي والجائز الذاتي

ويتوقف هذا على فهم عقائد الإيمان يتوقف على فهم أقسام الحكم العقلي فيها ، وهي : الواجب والمستحيل والجائز ، وكما أن الواجبات والمستحيلات تنقسم إلى ثلاثة أقسام ، فإن عدد العقائد على أساس الحكم العقلي فيها ثلاثة أقسام أيضاً ، إذ أن الحكم

عقلي محصور في الواجب الذاتي والمستحيل الذاتي والجائز الذاتي ، وذلك للتمييز بين الحكم العقلي واقسامه وبين الحكم الشرعي واقسامه ، ومثال[1] يجب لله الوجود والقدم اي وجوبا عقليا ، وعلى المكلف معرفة هذه العقائد وجوباً شرعيا ، وكذلك يجب معرفة الحكم العادي ، أي ان العالم الذي نعرف انه الوجود والعدم بالمشاهدة الحسية لا بد له من مرجح يرجح الوجود على العدم ، ونحن نعلم أنه لا يجوز ان يكون المرجح من العالم لأنه يجوز عليه الوجود والعدم ، ومن يجوز عليه الوجود والعدم لا يصلح ان يرجح ، لذلك لا بد من وجود لا يسبقه عدم ولا يلحقه عدم وهو الله ، والقاعدة تقول : « فاقد الشيء لا يعطيه » ، أي فاقد الوجود لا يعطيه .

وهنا لا بد من تعريف الأقسام الثلاثة التي المعنا اليها :

١ ـ الواجب[2] وهو لا يتصور في العقل عدمه ضروريا كالتحيز للجرم او نظريا[3] كوجوب القدم له تعالى .

---

(١) كما يقول فضيلة الاستاذ المعاصر عبد الكريم الرفاعي .

(٢) يطلق الواجب على معنيين : احدهما ما يصح في العقل وجوده ، والقسم الثاني هو الذي يجب على المكلف اعتقاده مثل اعتقاد وجود الله ووحدته وقدرته . والفرق في الواجب بين الفقها والمتكلمين ، أن علماء الكلام يقولون : الواجب معرفته بالنسبة لله مخالفه يكون كافرا . اما الفقهاء فيقولون : إن مخالف بعض جزئياته يكون فاسقاً وليس بكافر .

(٣) النظر : هو الاستدلال . وصفات الله تعالى بالنظر الى الاستدلال عليها تنقسم الى ثلاثة اقسام :

القسم الاول : ما لا يصح الاستدلال عليه الا بالدليل العقلي كبعض صفات الله سبحانه . مثل اعتقاد وجود الله وقدمه وبقائه وقيامه بنفسه ومخالفته للحوادث وقدرته وإرادته وعلمه . والقسم الثاني : ما لا يجوز الاستدلال عليه الا بالدليل السمعي مثل : السمع والبصر والكلام . اما القسم الثالث فهو : ما يجوز الاستدلال عليه بكل واحد من الدليلين العقلي والسمعي . وقد اختلف العلماء في الذي يثبت به . وهو الوحدانيه ، والاصح كما يقول الشيخ عبد السلام اللقاني المالكي صاحب كتاب « شرح جوهرة التوحيد » ان دليلها سمعي وعقلي ، وذلك من قوله تعالى : (لو كان فيهما آلهة" إلا الله

٢ – المستحيل(١) وهو ما لا يتصور في العقل وجوده ضرورة كعري الجرم عن الحركة والسكون معاً ، أو نظراً كالشريك له تعالى .

٣ – الجائز(٢) وهو ما يصح في نظر العقل وجوده وعدمه ضرورة كالحركة والسكون للجرم ، أو نظراً كتعذيب المطيع وإثابة العاصي(٣) .

ونمثل الاقسام الثلاثة بحركة الجرم وسكونه ، فالواجب : ثبوت احدهما لا بعينه ، والمستحيل : خلوه عنهما جميعا ، والجائز : ثبوت احدهما معيناً بدلا من الآخر ، أي ثبوت الحركة بعينها او السكون بعينه بدلا عن الحركة ، وتفصيل ذلك ان يكون الجرم متحركاً بدلا عن السكون ، او أن يكون ساكناً بدلا عن الحركة .

صفات الواجب والمستحيل والجائز ودليلها العقلي والنقلي

ونقصد من معرفة كليات الواجب والمستحيل والجائز ، أن نعرف ايضاً الى جزئيات الواجب التي هي عشرون صفة :

لفسدتا) . ويقول فضيلة الاستاذ عبدالكريم الرفاعي : إن الدليل العقلي يرتكز على انه لو كان هناك آلهان اثنان ، فاما ان يتفقا وإما ان يختلفا ، فوجود التوافق ممنوع ، لان الذي يجب ان يتفق مع غيره إنما يكون لعجزه ولنقصه ، والنقص والعجز يستحيلان على الله . فامتنع التوافق . وكذا اذا لم يجب التوافق يجوز التخالف او يجب التخالف ، واذا تخالفا فهما إما ان ينفذ مرادهما بان يريد أحدهما الوجود والآخر العدم او لا ينفذ مرادهما . او ينفذ مراد احدهما ولا ينفذ مراد الاخر . فالذي نفذ مراده هو الاله القادر الفعال لما يريد ، والذي لم ينفذ مراده هو العاجز الذي لا يصلح ان يكون إلهاً .

(١) المستحيل : ما لا يقبل الوجود .

(٢) عرف بعض العلماء الجائز بانه ما يقبل الوجود والعدم . حيث ان التعريف = في نظرهم = واضح صريح ليس فيه اي احتمال آخر .

(٣) لا يجوز تعذيب المطيع وإثابة العاصي من الوجهة الشرعية لانه يؤدي الى تخلف الوعد والوعيد . اما من جهة العقل فانه جائز .

ويقول فضيلة الاستاذ الشيخ عبد الكريم الرفاعي : والذي يرجح احد الطرفين اما الشرع مثلما جاء في القرآن بوجود الجنة والنار مثلا فهذا مرجح ، واما الشرعي فلا يمكن خلافه . وهناك مرجح الواقع ، مثال ذلك : الذهاب الى القمر والنزول عليه ، فان الشارع لم يثبته ولم ينفه . ورجح الذهاب للقمر كامر واقع .

وجود ، والقدم ، والبقاء ، والمخالفة للحوادث في الذات والصفات والأفعال ، والغنى عن المحل والمخصص ، والوحدانية في الذات والصفات والأفعال ، والقدرة ، والإرادة ، العلم ، والحياة ، والسمع ، والبصر ، والكلام ، وكونه تعالى قادراً ، مريداً ، عالماً ، حياً ، سميعاً ، بصيراً ، متكلماً .

ودليل صفات السمع والبصر والكلام نقلي على الصحيح ، وما بقي من الصفات فدليله عقلي ولا يقبل النقل فيه .

ويستحيل في حقه الاتصاف بكل نقص ، وبعبارة أخرى أضداد الصفات السابقة ، وهي التي لم نذكرها لأنها معلومة لديك ، وعددها عشرون صفة .

وأما الجائز في حقه تعالى فلا ينحصر عدده ، ولكننا نقول : إن الجائز هو فعل كل ممكن أو تركه ، ومنه : إرسال الرسل ، وجواز الصلاح والأصلح على الله وأنه ليس بواجب على الله ، ورزقه لمخلوقاته ، ومنه ما هو ضروري شرعاً كإثابة المطيع وتأديب العاصي ، ويجوز عقلاً إثابة العاصي وتعذيب المطيع ، ويستحيل في حقه تعالى اضداد هذه الصفات .

ومعرفة(١) هذه الصفات بقسميها الثلاثة : الواجب ، والمستحيل ، والجائز قاعدة كلية أو قانون كلي ، ومعناه أن نقول : يجب لله تعالى الاتصاف بكل كمال يليق بذاته ، ويستحيل عليه تعالى الاتصاف بكل نقص ، ويجوز في حقه تعالى الاتصاف بفعل كل ممكن أو تركه ، وعلى هذا يجب شرعاً على كل مكلف أن يعرف ما يجب لله تعالى وما يستحيل عليه تعالى وما يجوز ، ويجب للرسل وما يستحيل عليهم ، وأن يجد بأحكام التوحيد والعقائد الإسلامية كما جاءت من عند الله في قرآنه العظيم ، وفي الأحاديث الشريفة على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

الصفات النفسيه والسلبية والمعنويه

ونتقل الآن الى الصفات الواجبه وهي اربعة :

---

(١) المعرفة : هي الامر المطابق للواقع عن دليل .

الأولى : (الصفة النفسية) : وهي التي لا تعقل الذات إلا بها ، وسميت نفسية ، لأنه لا يتوقف بها على شيء من الذات ، بمعنى ان الله وجد بذاته لا لعلة ، فلا تقبل العدم والمحال كذلك .

الثانية : (الصفة السلبية) : وسميت سلبية لأنها تسلب ، أي تسلب ما لا يليق بالله تعالى ، ويلحق بها خمس صفات سلبية وهي : القدم ، البقاء ، القيام بالذات ، المخالفة للحوادث ، الوحدانية .

فالقدم يسلب أولية الوجود ، والبقاء يسلب آخرية الوجود ، والمخالفة للحوادث يسلب المماثلة : (ليس كمثله شيء) ، والقيام بالذات هي عدم احتياجه الى محل كالصفة التي تحتاج الى محل ولا تحتاج الى مخصص كذواتنا التي وان كانت قامت بنفسها ولكن تحتاج الى مخصص يخصصها بالوجود بدلا عن العدم ، والله سبحانه وتعالى متصف بصفة القدرة والارادة والعلم والحياة ، وهي واجبة الوجود كذاته ، وهي تسلب عنه ان يكون محتاجا في ذاته الى من يخصصه بالوجود بدلا عن العدم كذواتنا فهيا تحتاج الى من يخصصها بالوجود ، والوحدانية تسلب عنه التعدد سبحانه وتعالى في ذاته وصفاته وافعالـه .

الثالثة : (صفات المعاني) : وسميت صفات الذات وهي سبع : القدرة ، الارادة ، العلم ، الحياة ، السمع ، البصر ، الكلام .

الرابعة : (الصفات المعنوية) : وهي تابعة المعاني بالذات ، اذ ان القادر بلازم القدرة ، والمريد بلازم الارادة ، والعالم بلازم العلم ، وما اليها ، وعددها سبع : كونه تعالى : عالماً ، مريداً ، حياً ، سميعاً ، بصيراً ، متكلما .

خمسون صفه في قول : (لا اله الا الله)

وتجمع معاني الخمسين صفة من واجب ومستحيل وجائز قول : (لا اله الا الله)، فمن معانى لا اله الا الله ، اي لا مستغني عن كل ما سواه الا الله ، وتدخل في جـزء الاستغناء احـدى عشرة عقيـدة وهي : انه موجـود وقـديم وباق ومخـالف

للحوادث وغناه عن المحل والمخصص ، وتجب له صفات السمع والبصر والكلام ، وكونه : سميعاً وبصيراً ومتكلماً •

ويفتقر إليه كل ما عداه ، لأنه واحد وله قدرة وإرادة وعلم وحياة ، وكونه تعالى : قادراً ومريداً وعالماً وحياً •

وقد ورد في الحديث الشريف : « من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة » ، وقيل يا رسول الله ما الإخلاص ؟ قال : « أن تحجزه عن محارم الله تعالى » •

ويروى عن سيدنا أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تزال لا إله إلا الله ترفع سخط الله عن العباد حتى إذا نزلوا بالمنزل الذي لا يبالون ما نقص من دينهم إذا سلمت دنياهم فإذا قالوها عند ذلك قال الله لهم : كذبتم •• كذبتم •••• »

وورد في القرآن الكريم : (إن الله غني عن العالمين) •

أما الألوهية فهي استغناء الإله عن كل ما سواه وافتقار كل ما عداه إليه ، وقد وصفها الله تعالى في كتابه العزيز : (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد) •

وجملة : محمد رسول الله ، وهي الشطر الثاني من التوحيد تدخل فيها معنى الإيمان بسائر الأنبياء والملائكة والكتب السماوية واليوم الآخر ، فقد أوحى الله للنبي صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم الذي ينص على تصديق كل ما تقدم والإيمان به لفظاً ومعنى ، قال تعالى في كتابه العزيز : (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِن رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) •

وقد اجمل الشاعر العربي لبيد التوحيد في بيت من الشعر :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل ... وكل نعيم لا محالة زائل

وأقر هذا الشعر الرسول صلى الله عليه وسلم حين سمعه قائلاً : « إن أصدق كلمة قالها الشاعر لبيد : ألا كل شيء ما خلا الله باطل » . أما الشطر الثاني من الشعر فقد أوضحه رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلاً : « إن نعيم الجنة لا يزول » •

الواجب والمستحيل والجائز في حق الرسل

وبعد ان عرفت شيئا عن الالهيات نشرع في الحديث عن النبوات فنقول ان النبي من اوحى الله اليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه ، فان امر بتبليغ الشرع فهو نبي رسول .

واول الواجبات في حق الرسل اربع صفات هي : الصدق والامانة والتبليغ والفطانة ، فالاول : الايمان بالله تعالى ، والثاني الايمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام .

ويستحيل في حق الرسل : الكذب والخيانة والكتمان والبلادة ، ويجوز في حقهم الاعراض البشرية التي لا تؤدي الى نقص في مراتبهم العلية كالمرض غير المنفر ونحوه ، وما شاع عن سيدنا ايوب عليه السلام انه اصيب بأمراض منفرة فهي من الاسرائيليات الباطلة .

ومن الجائز العقلي : ارسال الله تعالى جميع الرسل من آدم عليه السلام الى محمد عليه الصلاة والسلام الى المكلفين ليبلغ الاوامر والنواهي والوعد والوعيد ، وليفهم الناس ما يحتاجون اليه من امر الدين والدنيا ، مصداقاً لقوله تعالى : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) و (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) .

وافضل المخلوقات على الاطلاق الشاملة للعلوية والسفلية من الملك والبشر والجن في الدنيا والآخرة في سائر صفات الخير ونعوت الكمال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى : (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات) وقوله عليه الصلاة والسلام : « انا اكرم الاولين والآخرين ولا فخر » ، كما ان حديث الشفاعة يشير ايضاً الى هذه الناحية(١) .

---

(١) = حديث الشفاعه = عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال : « بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه اثر السفر ، ولا يعرفه منا احد ، حتى جلس

وقد اكد العلماء بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حتى ان يعتقد انهم يلون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أي يتبعونه في التفصيل ، فمرسلهم بعد مرسله ، لذلك فالسمعيات في علم التوحيد هو ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاحكام ، وقرآنه كتابًا او سُنَّتُه ، كلا او بعضا ، وقد اخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه •

السمعيات مؤيدة بالعقل والحس والمشاهدة

واما السمعيات فتشمل اموراً كثيرة ، مؤيدة بالعقل والحس والمشاهدة ومنها :
الملائكة ، الرسل ، الكتب المنزلة ، اليوم الآخر ، القضاء ، القدر ، الرحمة ، العذاب ، الجنة ، النار ، الميزان ، الصراط ، الحياة ، الموت ، سؤال منكر ونكير ، الحساب ، اللوح ، القلم وما اليها من المغيبات •

وهذا التفصيل الذي ذكرناه عن علم التوحيد غيض من فيض ، وهو شكل قسماً

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه فقال يا محمد اخبرني عن الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

الاسلام : ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلاً ، قال : صدقت . قال : فعجبنا له يسأله ويصدقه . قال : فاخبرني عن الايمان . قال : ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الاخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ، قال : صدقت . قال : فاخبرني عن الاحسان ، قال الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ، قال : صدقت ، قال : فأخبرني عن الساعة ، قال : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ، قال : فأخبرني عن اماراتها ، قال : ان تلد الأمة ربتها وان ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان ، ثم انطلق •

فلبث ملياً ثم قال : يا عمر اتدري من السائل ؟ قال : قلت : الله ورسوله أعلم . قال : هذا جبريل اتاكم يعلمكم دينكم = رواه مسلم = . •

من اقسام الدين الذي يتفرع الى فروع ثلاثة[1] :

١ ـ اسـلام .

٢ ـ ايمـان .

٣ ـ إحسـان .

والإسلام : هو الانقياد والإذعان العملي من الصلاة[2] والصيام والزكاة والحج ونحوها من واجبات الإسلام ، تعبداً بها من الله سبحانه وتعالى ، وأما النطق بها في مذهب الجمهور فإنه شرط كمال ، فمن لم يأت بها وهو مدعٍ انها فله فهو مسلم عند الجمهور ولكنه قصّر في واجبه ، ومن لم يأت بها ولم يدّع فهو كافر ومنافق .

اما حقيقة الاسلام فهي ان لا تفتر عن العمل .

والإيمان : هو التصديق بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سواء من جهة في القرآن الكريم او في السنة المطهرة ، وهذا الشطر وحده لا يسمى إسلاماً .

والإحسان : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك كما في محصل قوله تعالى .

وهكذا ، فإن اسلوب علم التوحيد الشرعي غير الافكار النظرية والطرق الاستدلال الفكري العقلي المبني على مقدمات ونتائج وبراهين وحجج نظرية فكرية تستند اوسع الاستناد الى نصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية ، ونتائج هذا الاسلوب ونتائج

---

(١) يراجع حديث الشفاعه

(٢) قال ابو سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله تعالى لم يفرض شيئاً افضل من التوحيد والصلاة . .

هذه الصريحة من النصيحة للافكار لها اثرها الكبير في ايمان الفرد واخلاقه ومعاملاته وسلوكه مع الله .

وبعد ... هذا بعض ما استطعنا تقديمه ملخصاً عن علم التوحيد ، آملين من اولئك الذين يحبون ان يتعمقوا اكثر فاكثر ان يعودوا الى مؤلفاته الكثيرة الغزيرة التي حفلت بها المكتبة الاسلامية منذ قرون ، والله الهادي الى الصراط الحميد .

التوحيد والتصوف والايمان

في مدرسة المثالية الاسلامية

وعد الله سبحانه وتعالى بتجديد أمر دينه على رأس كل مئة سنة[1] وأكد ذلك القرآن الكريم بقوله تعالى : (وإن من أمة إلا خلا فيها نذير) وبر بذلك نعمت أمتنا في القرون التي تلت القرن الذي عاش فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعدد من كبار العارفين بالله تعالى[2] ، وفي طليعتهم الشيخ أرسلان الدمشقي ، وهو من

(١) جاء في الحديث الشريف : ان الله يبعث لهذه الأمة على راس كل مئه سنة من يجدد لها امر دينها = رواه ابو داود والحاكم والبيهقي في « باب المعرفة » .

(٢) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث عن عائشه رضي الله عنها : إن دعامه الدين المعرفه بالله واليقين والعقل النافع . فقلت : يا رسول الله : بأبي أنت وأمي ما العقل النافع ؟ فقال : الكف عن معاصي الله والحرص على طاعة الله .

وذكر القشيري : المعرفة في اللغة العلم ، وكل علم معرفه ، وكل عالم بالله عارف ، وكل عارف بالله عالم . وقال ابو يزيد البسطامي : المعرفه توجب الحياء والتعظيم . كما ان التوحيد يوجب الرضا والتسليم .

وقال الامام ابو القاسم الجنيد : المعرفة صفة من عرف الحق باسمائه وصفاته ثم صدق الله في معاملاته ، ثم تنقى من اخلاقه الرديئه وآفاته . ثم طال بالباب وقوفه ودام بالقلب اعتكافه . فحظي من الله بجميل إقباله وصدق الله في جميع احواله . وقطع عنه هواجس نفسه . ولم يصغ بقلبه الى خاطر يدعوه الى غيره ، فصار عن الخلق اجنبيا . ومن آفات نفسه بريئا . ومن المساكنات والملاحظات نقيا ، داوم في السر مع الله في مناجاته . وحقق في كل لحظه ازلية رجوعه = كتاب روضة التعريف بالحب الشريف للسان الدين الخطيب ص ٤١٨ = .

وقال الشيخ زروق ان اصل التصوف مقام الاحسان وهو متنوع الى نوعين احدهما بدل من الآخر ، هما ان تعبد الله كأنك تراه والا فانه يراك . فالاول رتبة العارف والثاني رتبة من دونه . وعلى الاول يحوم الامام الغزالي ومن نحا نحوه . والاول اقرب لان غرس شجرتها مشير لقصد ثمرتها ، ومبناها على الاصول التي يحصل لكل مؤمن وجودها فالطباع مساعدة لها والشريعة قائمة فيها . اذ مطلوبها تقويه اليقين وتحقيقه باعمال المتيقن .

ووقف [illegible] على حلقة [illegible] والتابعين ، [illegible] في [illegible] تصوف [illegible] فقه [illegible] في القرن السادس الهجري [illegible] في دمشق [illegible] مسجد [illegible] في مقدمة [illegible] •

لا تصوف الا بفقه ولا فقه الا بتصوف

وهذه المدرسة السنية في التوحيد بين الفقه والتصوف والاحسان هي التي تحدث عنها الامام زروق رحمه الله(1) قال مالك : من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ومن جمع بينهما فقد تحقق ، قلت : تزندق الشيخ زروق امام اهل الحقيقة عند جملة قوله : تزندق الاول لانه قال بالجبر الموجب لنفي الحكمة والاحكام ، وتفسق الثاني لخلو عمله من التوجه الحاجب له عن معصية الله ومن الاخلاص المشترط في العمل لله ، وتحقق الثالث لقيامه في عين التمسك بالحق ، ذلك ان صدق التوجه مشروط بكونه من حيث يرضاه الحق تعالى وبما يرضاه ، ولا يصح مشروط بدون شرطه (ولا يرضى لعباده الكفر) فلزم تحقيق الايمان (وان تشكروا يرضه لكم) فلزم العمل بالاسلام ، فلا تصوف الا بفقه اذ لا تعرف احكام الله الظاهرة الا منه ، ولا فقه الا بتصوف اذ لا عمل الا بصدق وتوجه ، ولا هما الا بايمان اذ لا يصح واحد منهما دونه ، فلزم الجميع لتلازمها في الحكم كتلازم الارواح للاجساد ، ولا وجود لها الا فيها كما لا حياة لها الا بها •

مقام الاحسان : اصل التصوف

فاصل التصوف مقام الاحسان الذي فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ، كما دل الفقه على مقام الاسلام والاصول على مقام الايمان ، فالتصوف احد اجزاء الدين الذي علمه عليه السلام جبريل ليتعلمه الصحابة

---

(1) كتاب قواعد التصوف للامام ابي العباس احمد بن احمد بن محمد الشهير بزروق رضي الله عنه •

رضي الله عنهم ، وهو مع [illegible] في [illegible] على [illegible] فلهم [illegible] الأنس [illegible] من الأجر في [illegible] .

وقد ورد هذا المعنى في [illegible] (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم) .

رجال الشريعة : اربعة اقسام

وتنقسم رجال الشريعة الى اربعة اقسام :

ومنهم : من يحصل علم الرسوم وعلم التفسير [illegible] حدود الشريعة الظاهرة ، ويكشف عن الحلال والحرام ، وهذا العلم لا يدرك الا بالتعلم والدراسة والبحث ، وعلم الرسوم علم مكتوب ومسموع على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو : الاسلام[1] .

ومنهم : من اختص بعلم الباطن أو العلوم الباطنة[2] ، شريطة ان يحصل على علم الظاهر ، ويدعى علم التأويل[3] أي علم [illegible] من معنى [illegible] هذا العلم

---

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : راس الأمر الاسلام .

(٢) ان علم الباطن هو علم التصوف بعينه وقد اشرنا اليه قبلا . تأكيدا لما قاله الامام الغزالي : ان العالم ينقسم الى قسمين : عالم الشهود وهو عبارة عن المعاملات الظاهرة كالصلاة والزكاة وما اليهما وعالم الملكوت . وهو الذي يخفى عنا من احوال القلب الذي يحتوي على المتناقضات . كالوجد والرياء والكبر والعجب والاخلاص والصدق . وكلها امور باطنه . وهذا هو عالم الملكوت الذي يقابله عالم الشهود .

(٣) يقول فضيلة الاستاذ ملا رمضان البوطي : ان التأويل يأتي بعد الايمان وبعد الاسلام اللذين استمد فيهما من ظاهر الآيات والاحاديث . طبقا لما قاله الامام الغزالي : ان فعل العبد مركب من قدرتين : احدهما قدره الخالق . وثانيهما قدره المخلوق ، فمعنى قدره الخالق خلق الفعل ومعنى قدره المخلوق كسب العمل . ففعل العبد مشترك بين قدره الله التي بمعنى الخلق وبين قدرة العبد التي بمعنى الكسب . وهذا هو مذهب اهل السنة والجماعة .

وقد قال اهل التصوف : انه لا يجوز تأويل الايات والاحاديث الا بعد تفسير معانيها عند اهل الظاهر .

بدرس وتعليم ، وإنما بهداية الله ، وهؤلاء هم الذين تعرضوا لنفحات الحق طبقاً لما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها[1] » .

وهذه الفئة تحوز من الخصوصية الأولى ، وهي طهارة الظاهر والتمسك بآداب الشريعة وامتثال الأوامر واجتناب النواهي في الخصوص منه ، وهي طهارة القلب ، فتقربه إلى الله بالنوافل[2] حتى يحبه الله ، وعند هذا الحد يعلم الإحسان[3] الذي هو نتيجة من نتائج التقوى ، وهذا هو ما أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال : الإسلام علانية والإيمان في القلب « رواه أحمد في مسنده » .

وثالثهم : خاصة الخاصة ، وهم الذين من الله عليهم بالعلم اللدني والوهبي والالهي الذي يؤتيه من يشاء ، فمكن لهم أن يصلوا إلى مرتبة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وأتيح لهم أن يكونوا جميعا كتلة واحدة في المدرسة المثالية التي اليها أشرنا والتي نعتقد أن شيخنا الشيخ ... الدمشقي أحد أفرادها ، وهؤلاء جميعا يجمعون بين الشريعة والحقيقة اللتين هما أساس واحد وشيء واحد .

ورابعهم : خواص الله في أرضه ، وهم الأبدال والنجباء والنقباء وسائر المراتب الموجودة في كتب القوم ، وهم ورثة الأنبياء بجميع شمائلهم ، ومخصوصون بعلم الرسالة ، مستمدين رتبة خواص الله في ارضه من آي الذكر الحكيم التي تقول : « واتقوا الله

---

(١) رواه الترمذي والطبراني من حديث محمد بن مسلمة .

(٢) روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يقول الله تعالى : من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة . وما تقرب الي عبدي بمثل اداء ما افترضت عليه . ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه . فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به . وبصره الذي يبصر به . ويده التي يبطش بها . ورجله التي يمشي بها . بي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي . ولئن سألني لأعطينه . ولئن استعاذني لاعيذنه . وما ترددت عن شيء انا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره » .

(٣) يقول الامام النووي : اجمع العلماء الاخيار على ان ترك ادب من آداب الاسلام يؤدي الى سلب الايمان . وهذا هو المعنى الذي يتجلى في ان الشريعة والحقيقة شيء واحد .

ويعلمهم الله ، ويعرفون في أمراض من بعده الأنبياء ، (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) ، وفي الحديث الشريف : « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم »(١) فيتدرجون بما يفيض عليهم من الإيمان والعقل والهداية والتقوى والعلم ، [illegible] من طريقة العمل في التخلق بصفات الله بهم نفسه ، وفي العمل في التخلق حتى لا تكون المعرفة بالله إلا الوصول إلى الله ، فلا يتحدث [illegible] ولا غيره ، ويتلاشى عن نفسه ويذهب عن وجوده فقد وصل ، طبقاً للحديث الشريف القائل : « كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان » ، وبذا يكون خواص الله في ارتباطهم مع الله [illegible] فضلاً من الله ونعمة ، ويقيمون رسوم الشريعة ويتخلقون بصفات الله ، ويحتفظون في النفس والحس [illegible] بما من الله به من امر .

وفي عقيدة الشيخ أرسلان الدمشقي يوجد من عقيدة [illegible] النعمة كما قد جمع المذاهب الثلاث السابقة التي لابد من الحسنة ، [illegible] هي ذات صفات العارف [illegible] ، وأولها الرجوع عما سوى الله والتوجه بالحب ، ووسطها الذهاب إلى الله ويسمى في هذا [illegible] ، وآخرها الوصول إلى معرفة الله ويسمى في هذه [illegible] عارفاً بالله .

رفع منار الشريعة وصد الصليبيين

ومن [illegible] التوحيد التي وضعها الشيخ أرسلان الدمشقي ، وهي لا تزيد عن أربع صفحات من قطع متوسط ، يتأكد [illegible] ، ويتحقق من انه كان من أوائل الذين خطوا في التوحيد خطوة عملية [illegible] ، أسس معهد مدرسة التوحيد في الباب الشرقي من دمشق ، وقد [illegible] عدد من رجال الأسرار ، أسهموا في الدفاع عن دمشق ، في وجه غزوة الصليبيين [illegible] ، كما أسهموا في رفع منار الشريعة .

---

(١) رواه ابو نعيم .

الجوهرة منظومة ، شعرا ونثرا ، والمعنى في " رسالة التوحيد " ان عدد من اهل
العرفين شرحوها بعشرات ومئات الصفحات ، خلال قرون طويلة وعديدة ، وازدهى هذا
العدد على اثني عشر شرحا ، كما وجدت في علماء حتى اليوم ، وقد تكون اكثر بكثير .

الاستدلال النظري والفكري في فن التوحيد

وقد الكلام في التوحيد لم يكن مدونا في القرن الاول للهجرة ، لأنه قرن الرسول الاعظم ، وقرن اصحابه رضوان الله عليهم ، ثم تطورت الاحداث واتسع وجه علماء لتفسيره علما ، وزعم انه ليس بجديد ، وانما هناك من الذي اتخذ كلام ومثل من الاحاديث الشريفة ، واقدم الأئمة على وضع هذا العلم في قوالب ... منهج حفظ عقيدة اهل السنة ، وحراستها من شوائب اهل البدعة ، فحسبوا ... في القرآن الكريم ، ومعالجة الافكار عن طريق الاقناع والاستدلال بالادلة العقلية والحجج المنطقية ... فيه ، فالكلام شرف يكشف عن تلبيسات اهل البدعة المحدثة ، ومنازعة ... في العقيدة والحجج بالاقوال اولا ، ثم انطلقت واتسعت النظرة — وهي الكلام — في العلم كله ... وسمي بالاستدلال النظري والفكري ، يعتبر منهجا مستقيما وطريقا قويما ...[1] ومع هذا فانه مبني على العقل ، وبما

(١) قلنا ان الاستدلال النظري والفكري يعتبر منهجا مستقيما ، تأكيدا لما قاله العلامه ابن خلدون في مقدمته : « ان الائمة من اهل السنه كفونا شأنهم فيما كتبوا ودونوا عن علم التوحيد ، والادله العقلية انما احتاجوا اليها حين دافعوا ونصروا ، واما الان فلم يبق منها الا كلام تنزه الباري عن كثير من ايهاماته واطلاقه .

ولقد سئل الامام الجنيد رحمه الله عن قوم مر بهم من المتكلمين يفيضون فيه فقال: ما هؤلاء ؟ فقيل : قوم ينزهون الله بالادله عن صفات الحدوث وسمات النقص فقال : « نفي العيب حيث يستحيل العيب عيب » ، لكن فائدته في آحاد الناس وطلبة العلم فائده معتبره ، اذ لا يحسن بحامل السنة الجهل بالحجج النظريه على عقائدها .

وقد سبق الامام ابو جعفر : احمد بن محمد بن سلامه الازدي الطحاوي الذي ولد عام ٢٣٩ وتوفي عام ٣٢١ ، ابن خلدون فاشار في طبعة صاحب العقيدة الطحاوية التي طبعت في المطبعة السلفية الى ان عامه من ضل في باب التوحيد او عجز فيه عن

الى العقول [illegible] على مستوى واحد من حيث [illegible] الأداء [illegible] ، على صورة [illegible] وهذا العمل [illegible] ويحصل [illegible] في الفكر [illegible] موضوع في [illegible] الأسس وهذه ايضا [illegible] في [illegible] مدارس للتوحيد ، [illegible] علماء على القواعد الفقهية [illegible] في [illegible] للهجرة ، على [illegible] وتخلص الافكار من الأكدار ، ومعالجة(١) القلوب والضمائر والنفوس [illegible] الشريعة والحقيقة الذين هم [illegible] واحد [illegible] الاول والأخير من القرآن والسنة ، وذلك على طريقة تجعل الفرد اقرب الى الفائدة [illegible] في الوصول الى الأئمة [illegible] وهي [illegible] التوحيد [illegible] ، واوقفه المحدود على الدين الخالص .

معرفة الحق فانما هو لتفريطه في اتباع ما جاء به الرسول وترك النظر والاستدلال الموصل الى معرفته . ذلك انهم اعرضوا وصدوا عن كتاب الله واضاف عن ابن عباس رضي الله عنه : تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ان لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة . ثم قرأ الآية : (فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا) كما في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره عن علي رضي الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انها ستكون فتن ، قلت : فما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم . هو الفصل ليس بالهزل . من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى من غيره اضله الله . وهو حبل الله المتين . وهو الذكر الحكيم . وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الاهواء . ولا تلتبس به الالسن . ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه . وهو الذي لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا : (إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به) . من قال به صدق ومن عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن دعا اليه هدي الى صراط مستقيم = اخرجه الترمذي = .

(١) المعالجة عند السادة الصوفية = كما سمعت من فضيلة الاستاذ ملا رمضان البوطي — : هي مداواة القلوب بأدوية خصصوها . وهي خمس : خلاء البطن . قراءة القرآن بالتدبر . قيام الليل . البكاء . التضرع عند السحر . مجالسة الصالحين . وبعد ان يكون هذا هو المقصود من هذه المعالجة . فلا يتطرق الى هذا القلب الذي صفا الا التسليم للحق .

وهذا الاسلوب يعالج النفس كما قلنا عن طريق مخاطبة الارواح والضمائر ، الى جانب مخاطبة العقل ، ولا شك ان النفس في الشرع ، تملأ عليهم ضمائرهم الحية وقلوبهم الصافية حتى تجعلها الاسلام صوتها وإيمانه القيادة وسيلتها ، لأن الضمير يظل حاكما على صاحبه لا يستطيع مخالفته ، بهذا استطاع العاملون الداعون الى الله بلسان الحال والمقال بهذا الاسلوب من توجيه وتثبيت والتفقه(1) والايمان الحقيقي ، بعد ان استقر فيهم ان التثبيت يقتضي خلوا من الشكوك والاوهام .

شروط الايمان الحقيقي

ومن شروط الايمان الحقيقي ان تعتقد اعتقادا جازما كل كمال لله ، منزهاً عن كل نقص حتى عن كل ما يلزمه نقص كما قال تعالى (ليس كمثله شيء) منزهه عن كل ما يلزمه احتياج او مكان او زمان او تشبيه .

وبهذه المثابة سئل الامام احمد بن حنبل عن الاستواء(2) في قوله تعالى : (الرحمن على العرش استوى) فقال : « استوى كما اخبر لا كما يخطر للبشر » ، واضاف جواباً على سؤال : « من قال لا أعرف الله أفي السماء هو أم في الارض فقد كفر ، لان هذا القول يوهم ان لله مكانا ومن توهم ان لله مكاناً فهو مشبه » .

---

(١) الفقه معرفه احكام الله تعالى في افعال المكلفين بالوجـوب والحـذر والنـدب والكراهه والاباحه وهي متلقاة من الكتاب والسنه ومانصبه الشارع لمعرفتها من الادلة فاذا استخرجت الاحكام من تلك الادلة قيل لها فقه = مقدمة ابن خلدون صفحة ٤٤٥ = .

(٢) من كتاب حل الرموز للعز بن عبد السلام ، ص ٤٧ . وفيه ايضا انه لما سئل ابو المعالي عما قاله الامام احمد في الاستوا قال : ان احمد ضرب بالسياط ولم يزغ عن سواء الصراط . غسل وجه اهل السنة من غبار اهل البدعة وكشف الغمة عـن عقيدة هذه الامـة .

وسئل الامام الشافعي[1] عن الاستواء فقال : « آمنت بلا تشبيه وصدقت بلا تمثيل، واتهمت نفسي في الادراك ، وأمسكت عن الخوض فيه كل الامساك » •

وسأل رجل الامام مالك عن آية : (الرحمن على العرش استوى) فطرق رأسه مليا ثم قال : « الاستواء مجهول ، والكيف معقول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وما أظنك إلا ضالاً فأمر به وأخرج[2] » •

عجز العقل

وسأل الزمخشري[3] عن الامام الغزالي عن قوله : الرحمن على العرش استوى فاجابه بقوله : « اذا استحال ان تعرف نفسك بكيفية او أينية فكيف يليق بعبوديتك ان تصفه تعالى بأين او كيف وهو مقدس عن ذلك ؟ ثم جعل يقول :

قل لمن يفهم عني ما أقول ... قصّر القول فذا شرح يطول
ثَمَّ سرٌّ غامض من دونه ... قصرت والله اعناق الفحول
أنت لا تعرف إياك ولم ... تدرِ من أنت ولا كيف الوصول
لا ولا تدري صفات ركبت ... فيك حارت في خفاياها العقول
أين منك الروح في جوهرها ؟ ... هل تراها فترى كيف تجول ؟
وكذا الانفاس هل تحصرها ... لا ولا تدري متى عنك تزول
أين منك العقل والفهم اذا ... غلب النوم فقل لي : يا جهول
أنت أكل الخبز لا تعرفه ... كيف يجري منك ام كيف تبول ؟

---

(١) لما سئل الامام احمد بن حنبل عن الامام الشافعي رضي الله عنهما قال : ما الذي اقول فيه : وهو الذي أخرج من قشور التشبيه لبابها وأطلع على معارفها أربابها ، وجمع بمذهبه أكنافها وأطنابها ، فالمحدثون صيادلة والشافعي طبيبهم والفقهاء أكابر والشافعي كبيرهم •

(٢) شرح الباجوري لجوهرة التوحيد •

(٣) نقلاً عن الباجوري •

فإذا كنت جاهلاً بالذي ... بين جنبيك كيف فهو حلول

كيف تدري من على العرش استوى؟ ... لا تقل كيف استوى كيف النزول؟

كيف يحكي الرب أم كيف يرى؟ ... فلعمري ليس ذا إلا فضول

فهو لا أين ولا كيف له ... وهو رب الكيف والكيف يحول

وهو فوق الفوق لا فوق له ... وهو في كل النواحي لا يزول

جل ذاتاً وصفاتاً وسماً ... وتعالى قدره عما تقول

وقد أحسن العز بن عبد السلام في حديثه عن توحيد الشريعة والحقيقة(١) وعلم السلوك(٢) لما قال :

يا أيها المدعي أنه عرفه ... وقد تعوّد بالتوحيد إعلانا

وعلل الحق بالفعل صفة وذا ... حسن والرأي حقيقة وبيانا

صنت جهلاً بدون أن تدركه ... وقست بالفكر أو حدسته إيقانا

أو عقول أحاطته بتشبيه ... أو هل قامت به إيماناً برهانا

أو حاولته مستعصياً في كتبه ... فهل هي إلا على المحسوس عميانا

الله أعظم شأناً أن يحيط به ... عقل ومعقول وآراء من سلطانا

وأصدق العز بن عبد السلام رضي الله عنه قائلاً : بل إن الله سبحانه وتعالى منزه عن كيف وأين وكم ومتى ، فقد حيّر العقول فيه ، فلا معرفة إلا العجز كما قال

---

(١) من كتاب « حل الرموز » للعز بن عبد السلام .

(٢) يقول الامام احمد بن تيميه في مجموعه فتاواه الجزء ١٠ ص ٥٤ عن علم السلوك : ان (قل يا ايها الكافرون) وتضمن التوحيد العملي والارادي وهو اخلاص الدين لله بالقصد الاراده ، وهو الذي يتكلم به مشائخ الصوفية غالبا ، وأما سوره : (قل هو الله أحد) فمتضمنه التوحيد القولي العملي كما ثبت في الصحيحين عن عائشه : ان رجلا كان يقرأ (قل هو الله احد) في صلاته ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « سلوه لم يفعل ذلك ؟ فقال : لانها صفه الرحمن فانا أحب ان اقرأ بها » فقال : « اخبروه إن الله يحبه » .

الصديق ابو بكر رضي الله عنه وجزاه الله عنا كل خير : العجز عن درك الادراك إدراك » •

من عرف نفسه فقد عرف ربه

وقد سمعت عن التوحيد العملي والارادي ، وهو اخلاص الدين لله بالقصد والارادة(1) في مجلس ضمني مع شيخي العارف بالله تعالى الشيخ احمد الحارون المحجوب المس ، انه حضر مجلساً في دمشق ، يدرس في ادب الاتحاد ، وقال إنه غضب جداً وانزعج ، لأن مدرساً به ينكر وجود الإله في كل درس من دروسه ، وانه يحار بماذا يجيبه ، ليلقمه حجراً ••••

سكت الشيخ احمد هنيهة ثم قال له : يا بني •• انك حين تعود الى المانيا وتعاود الدرس ، لا بد وان تلتقي بهذا الاستاذ من جديد ، وعندئذ ليس عليك إلا ان تستأذنه بالكلام ، حين يكرر عدم وجود الإله ، وتقول له : يا استاذ ! احب ان اسألك سؤالاً ارجو ان لا تتحرج منه •

وفي حينه الجواب ولا بد يقول له : يا استاذ هل تعدون انكم من العقلاء ام من غير ذلك ؟ •

ويجيب الأستاذ : انني من العقلاء •

وتسألونه : اين هو العقل ؟

ويجيب : إنه في الرأس •

وتسألونه : ما هو حجمه ؟ واين حيزه ؟ وما هو شكله ؟ وما هو لونه وما هو قياسه وما الى ذلك ؟ •

ويجيب : لا أعرف ! •

---

(1) كما يقول الامام احمد بن تيميه في « علم السلوك » ج ١ ص ٥٤ •

وعندما نقول هذا نحصر الأسباب لكننا لا نستبعد الأخرى عند تحديد الاستناد عن العقل وهو جزء اسعر في جزء صغير ، فكيف يمكن ان نقول بعدم وجود إله ودون مقدمات يتحقق بهم الكون لا مع العلم بكل ما في الأرض والسماء ، كيف نفس حرد نفسه من اسباب الانكار والاصرار •

وعند التلميذ الى الشيخ الاحد ، وجرت المحاورة بينه وبين الاستاذ على النحو الذي حدده الشيخ حمد الحدون ، وقد نجح التلميذ وأسقط في يد الاستاذ وفشل •

وعند التلميذ اعتز وجهه على اساس العقيدة التي تعلمها ، ولم يقف الاستاذ على رقابه •

حتام نقول : ان علم التوحيد الذي نتحدث عنه بين دفتيه ، لانه مسطور في القرآن الكريم ، وفي الحديث الشريف ، من قبل ان تظهر اي خبر او وجود في قالبه العلمي كعلم ، على يد علماء السلف رضي الله عنهم ، وعلى يد العلماء ، سواء أكانوا من المعنيين في دور العلم في التوحيد والاعتقاد به اهم من المتكلمين ، دون ان يتركوا أي مجال للجدل والنقاش حول امور مسلم بها في الاصل •

بل ان التوحيد المسطور في القرآن ، قرآن المسلمين ، جاء به كل نبي من آدم عليه السلام الى محمد صلى الله عليه وسلم ، ومع ان الاحكام قد اختلفت الا ان التوحيد ظل على أصل واحد وفروع واحدة ، لا تتبدل ولا تتغير •

والشيخ الرسلان الذي عاش ... التوحيد ... علم التوحيد في نفسه ، عملا وتحلية وتخلقا وانطلاقا ، ... من مدرسته التي تكلمت عنها ان تصدر الاحكام الشرعية عن علم وبصيرة على حسب السنن والبصر ، ومرامه في هذا تربية النشء تربية ايمانية صحيحة ، حتى يتغرس التوحيد في القلوب ، ويتسرب الى كل مظهر من مظاهر النفوس ، ومثلما كان يفعل الائمة الاربعة ومن جاءوا قبلهم وبعدهم من العارفين بالله تعالى والعلماء العاملين •

[illegible] في توحيد [illegible]

[illegible] والارشاد والتوجيه الصالح ،

[illegible] وعوض عليه [illegible] ،

عرفون كيف يخدمون أمتهم باخلاص وتفان وبطولة .

---

(١) يقول الامام احمد بن تيمية في رسالة « الصوفية والفقراء » طبعة المنار بمصر « ص ١٦ » : اذا عرف ان منشأ التصوف كان من البصرة وانه كان فيها من يسلك من طريق العبادة والزهد ماله فيه اجتهاد كما كان في الكوفة من يسلك من طريق الفقه والعلم ماله فيه اجتهاد . ثم التصوف عندهم له حقائق واحوال معروفة قد تكلموا في حدوده وسيرته واخلاقه كقول بعضهم : الصوفي من صفا من الكدر ، وامتلأ من الفكر ، واستوى عنده الذهب والحجر . التصوف كتمان المعاني . وترك الدعاوي . واشباه ذلك. وهم يسيرون بالصوفي الى معنى الصديق . وافضل الخلق بعد الانبياء الصديقون كما قال تعالى : (فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً) ولهذا ليس عندهم بعد الانبياء افضل من الصوفي . لكن هو في الحقيقة نوع من الصديقين فهو الصديق الذي اختص بالزهد والعبادة على الوجه الذي اجتهدوا فيه فكان الصديق من اهل هذه الطريق . كما يقال : صديقو العلماء وصديقو الامرا . فهو اخص من الصديق المطلق ودون الصديق الكامل الصديقية من الصحابة والتابعين وتابعيهم .

فاذا قيل عن أولئك الزهاد والعباد من البصريين انهم صديقون فهو كما يقال عن أئمة الفقهاء من اهل الكوفة انهم صديقون ايضاً . كل بحسب الطريق الذي سلكه من طاعة الله ورسوله بحسب اجتهاده . وقد يكونون من اجل الصديقين بحسب زمانهم . فهم من اكمل صديقي زمانهم وان الصديق في العصر الاول اكمل منهم .

والصديقون درجات وانواع . ولهذا يوجد لكل منهم صنف من الاحوال والعبادات حققه وأحكمه وغلب عليه وان كان غيره في غير ذلك الصنف اكمل منه وافضل منه .

والصواب انهم مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله . ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده . وفيهم المقتصد الذي هو من اهل اليمين .

التوحيد في القرآن الكريم

يعد كتاب الله تعالى أصلاً لعلم التوحيد ، إذ تقف السموات والأرض ، يؤخذ منه العقائد ، قوة معصومة من الخطأ ، محفوظة من الريب ، لأنه كلام الله تعالى .

ويشتمل القرآن الكريم على مئات من آي الذكر الحكيم في التوحيد ، منها : عن وجود الله « ٢٣ » آية ، ووحدانيته « ١٧٨ » آية ، وصفات ذاته وصفات أفعاله « ٢٥٢ » آية ، وقدرته « ٣٠٨ » آيات ، واليوم الآخر « ١٧ » آية ، وأوامره « ٢٧ » آية ، ومحبته « ٤ » آيات ، والتوكل عليه « ٧ » آيات ، وخشيته « ٢٧ » آية ، وملائكته « ٢٣ » آية ، وجبريل « ٣ » آيات ، وميكال « آية واحدة » ، والشيطان « ٤٣ » آية ، وإبليس « ١١ » آية ، والسحر « ٢ » آية ، وأذى السحر « ٢ » آية ، والجن « ٤٨ » آية ، والخلق والخليقة « ٢٩ » آية ، والعدم « آية » ، ونكتفي هنا ببعض الآيات أمثلة في التوحيد الذي جاء في كتاب الله العظيم :

الوحدانية

« وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ، لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ ، وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » .

(القصص : آية ٧٠)

صفات الافعال

« وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ » .

(العنكبوت : آية ٦٠)

صفات الذات

«قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ» •

(الملك : آية ٢٩)

علم الله

«إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء» •

(آل عمران : آية ٥)

قدرة الله

«لله مُلْكُ السموات والأرض وما فيهن، والله على كل شيءٍ قديرٌ» •

(المائدة : ١٢٣)

اليوم الآخر

«وإنا إلى ربنا لمُنْقَلِبُونَ» •

(الزخرف : آية ١٤)

«وتبارك الذي له مُلْكُ السموات والأرض وما بينهما وعنده عِلْمُ السَّاعة وإليه تُرْجَعُونَ» •

(الزخرف : آية ٨٥)

أوامر الله تعالى

«قُلْ تعالَوْا أتْلُ ما حرَّم ربُّكُمْ عليكُمْ ألاَّ تُشْرِكوا بِهِ شيْئاً،

وبالوالدين إحساناً ، ولا تقتلوا أولادكم من إملاق ، نحن نرزقكم وإياهم ، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ، ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون » .

(الانعام : آية ١٥١)

« وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » .

(الانعام : آية ١٥٣)

حب الله

« ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله » .

(البقرة : آية ١٦٥)

التوكل على الله تعالى

« ومن يتوكل على الله فهو حسبه » .

(الطلاق : آية ٣)

« وعلى الله فليتوكل المؤمنون » .

(التغابن : آية ١٣)

خشية الله

« ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة ... او أشد قسوة ، وإن من الحجارة لما يتفجر منه الانهار ، وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، وإن منها لما يهبط من خشية الله » .

(البقرة : آية ٧٤)

« ... إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون » .

(البقره : آية ١٥٠)

الملائكة وجبريل وميكال

ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين » .

(البقرة : آية ١٧٧)

« من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين » .

(البقرة : آية ٩٨)

الشياطين

« وحفظناها من كل شيطان رجيم » .

(الحجر : آية ١٧)

« إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين » .

(الحجر : آية ١٨)

ابليس

« واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ، وما كفر سليمان »

(البقرة : آية ١٦٨)

«ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً» .

(النساء: آية ١١٩)

السحر

« واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ، وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر » .

(البقرة : آية ١٠٢)

الجـن

« وخلق الجان من مارج من نار » .

(الرحمن : آية ١٥)

« لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين » .

(هود : آية ١١٩)

البعث

« قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ، ثم الله ينشئ النشأة الآخرة » .

(العنكبوت : آية ٢٠)

« وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج » .

(الحج : آية ٥)

العـدم

« كما بدأكم تعودون » .

(الاعراف : آية ٢٩)

« الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش ، وسخر الشمس والقمر ، كل يجرى لأجل مسمى ، يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون » .

(الرعد : آية ٢)

دليل الاحتياج الى الله من كل الخليقة

« ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس » .

(الحج : آية ١٨)

وحدانية الله تعالى

« قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد » .

(الاخلاص : آية ١ و ٢ و ٣ و ٤)

« وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه ، بل له ما في السموات والأرض ، كل له قانتون » .

(البقرة : آية ١١٧)

التوحيد في الأحاديث النبوية

التوحيد والسمعيات

- ١ -

عن عبادة بن الصامت الأنصاري رضي الله عنه ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وان محمداً عبده ورسوله ، وان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه ، والجنة حق ، والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان عليه من العمل .

« اخرجه الشيخان والترمذي »

الايمــان

- ٢ -

عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان ، قال ابو سعيد : فمن شك فليقرأ : (إنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّة) .

« اخرجه الترمذي وصححه »

التوحيد

- ٣ -

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله من أسعدُ الناس بشفاعتك

قال : فقد حسبت ان لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك ، لما رأيت من حرصك على الحديث أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال : لا إله الا الله خالصا من قلبه .

« اخرجه البخاري »

الاسلام والتوحيد

- ٤ -

عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال له رجل : ألا تغزو ، فقال : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الاسلام بني على خمس : شهادة ان لا إله الا الله وان محمداً عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان .

« اخرجه الخمسة الا ابا داوود »

عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ذاق طعم الايمان من رضي بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد رسولا .

« اخرجه مسلم والترمذي »

شعب الايمان

- ٥ -

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الايمان بضع وسبعون ، وفي رواية بضع وستون شعبة ، والحياء شعبة من الايمان .

« اخرجه الخمسة »

وزاد في رواية . فأفضلها قول . لا إله الا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق .

الايمان بالكتاب والسنة

- ٦ -

عن مالك انه بلغه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : تركت فيكم أمرين لن

تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي ، أحدهما أعظم من الآخر ، وهو كتاب الله تعالى ، حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا على الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهم .

« اخرجه الترمذي »

التمسك بالسنة

- ٧ -

عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، ثم اقبل علينا بوجهه ، فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب ، فقال رجل : يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد الينا ؟ فقال : أوصيكم بتقوى الله تعالى والسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً ، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة .

« اخرجه ابو داوود والترمذي »

عن المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني وهو متكئ على أريكته فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله تعالى ، فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه وما وجدنا فيه حراماً حرمناه ، وإن ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حرمه الله .

« اخرجه ابو داوود والترمذي »

القسم الثاني

مصادر شروح الرسالة الأرسلانية ونوعيتها وتحليلها

الشريعة والحقيقة في شروح رسالة التوحيد

لقيت رسالة التوحيد التي كتبها الشيخ أرسلان الدمشقي ، عناية كبيرة من العارفين بالله والعلماء العاملين ، خلال قرون عديدة ، حتى أربى عدد شارحيها الذين وصلنا علم عن شروحهم على الاثني عشر وقد حاولت بشتى الجهود العثور عليها لأجمعها فلم أفلح ، لأن يد البلى والإهمال امتدت الى جزء من هذه الشروح ، فجعلته أثرا بعد عين .

لذلك اكتفيت بما وصلت إليه بعد جهد وتعب ونصب ، وهو خمسة شروح قدمتها في مؤتمري الثاني عن الشيخ أرسلان الدمشقي ، وما أردت من عملي هذا إلا أن يكون تكملة للخطوة التي خطت في المؤتمر الأول ، وإلا أن يكون حافزا لمن يقع بصره على شرح آخر جديد ، فيستكمل ما بدأت ، ويتمم ما تممت ويقتبس ما اقتبست ، حتى نستضيء جميعا بتلك المشكاة الدالة على الصراط القويم المستقيم .

تمس والشروح برسالة التوحيد ، حسب العقول والمشاعر ، لإقناع المخاطبين بحججه السديدة ، وهي منهج رفيع أمام كل من أراد التعمق في التوحيد بلغة القرآن الكريم الذي خاطب الأحياء بلغة الحياة ، كما خاطب العقلاء بلغة العقل ، مكررا براهين الحياة والتسلسل لإثبات الوحدانية ووجود الخالق الحكيم : (ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي) و (جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا) و (أنبت من كل زوج بهيج) ، وما الزوج إلا البرهان الأعظم ، برهان الوحدانية الذي جاء في القرآن ، برهان الدين والعقيدة ، وبرهان الحكمة والعقل .

العلم علمان : علم باللسان وعلم بالقلب

وحين الكلام عن علم التوحيد أعني الشريعة والحقيقة ، وهما علمان : علم الظاهر

للشريعة وعلم الباطن للحقيقة ، في ضوء قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « العلم علمان : علم باللسان وعلم بالقلب » ، وقد شرح العلمين العز بن عبد السلام(١) فقال

ان علم اللسان هو حجة الله للعباد ، وان علم القلب فهو علم اللدني الذي لم يسطر في الطروس ولم يحقق في الدروس ، بل هو إلهام من الله بغير وساطة ملك ولا سفارة رسول ، كما ان الخضر عليه السلام علم بعلم اللدني ما لم يعلمه موسى عليه السلام بعلم الوحي ، فقتل تلك النفس الزكية ، وهذا على ظاهر الشرع عدوان محض ، لكن ظهر تحقق فعله بعلم آخر لدني لم ينقل من الكتب والاوراق وانما جاء وحياً من الخلاق ، فوجب على موسى عليه السلام إنكار ذلك واستقباحه قياما بالحدود وعملا بالشريعة ، اذ هو مشرع ، ولو سكت عن الانكار لاستحق الانكار ، لذلك تأدب الخضر معه بقوله : (إنك لن تستطيع معي صبرا) ، وهذا عليه الأدب من الخضر عليه السلام ، لأنه علم أنه بداءة لا يعرف الشريعة فقال : (إنك لن تستطيع معي صبراً) على من يحترف الشريعة ، ثم ما اعلمه الخضر لم يدخل في علم الشريعة علم موسى عليه السلام ان الشريعة جسد والحقيقة روحها ، واذا لم تكن للشريعة حقيقة عرف ملاحها .

فالشريعة محققة والحقيقة مشاهدة ، ولا تباين بينهما ، اذ هما متلازمان ، والطريق الى الله تعالى له ظاهر وباطن ، فظاهره الشريعة وباطنه الحقيقة ، فبطون الحقيقة في الشريعة كبطون الزبد في لبنه والكنز في معدنه .

المراد من الحقيقة والشريعة

والمراد من الحقيقة والشريعة إقامة العبودية على الوجه المراد منك ، وكل شريعة ليست لها حقيقة ، فهي عاطلة ، وكل حقيقة لا شريعة معها فهي باطلة ، ومصداق ذلك قوله عليه الصلاة والسلام لحارثة : يا حارثة .. كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت

(١) في كتابه « زبدة خلاصة التصوف » ص ١٦ .

مؤمنا حقا .. فقال : لكل حق حقيقة فما حقيقة ايمانك ؟ فقال : عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي واظمأت نهاري ، فكأني انظر الى عرش ربي بارزا ، والى اهل الجنة يتزاورون والى اهل النار يتعاوون ، فقال عليه السلام : عبد نور الله الايمان في قلبه فالزم ... .

فالشريعة حق والحقيقة حقيقته ، والشريعة قيام بالاوامر والحقيقة مشاهدة الامر ، ويجمعهما كلمتان وهو قول ربنا : (إياك نعبد وإياك نستعين) فإياك نعبد : « شريعة » ، وإياك نستعين : « حقيقة » .

وكما قال شيخي المرحوم العارف بالله الشيخ احمد الحارون بحجر العسل: الشريعة والحقيقة توأمان ، وهما كالعين ونورها ، فالعين هي الشريعة ونورها هي الحقيقة ، وهل للعين ان ترى بدون نور ؟ .

معالجة سر هذا الكون الكبير

وجملة ما قال في متن رسالة التوحيد اثني عشر من مطلب بحث وفي شروحها ، انها تعالج سر هذا الكون الكبير ، وذلك مطلب شيء من مطلب حقيقة الاشياء المتفرقة التي يعالجها العلم الآن ويعالجها الصناعة بصورة اخرى ، والعقيدة في الفرد تعظم على قدر إحساسه بحقيقة سر هذا الكون وعظمته وخالقه ، والرسالة والشروح ضرب من ضروب الاستدلال والهداية لوقاية الفرد ، وتحمي جوانبه من ذهنية ونفسية وروحية ، ليعرف ربه معرفة اليقين ، وما يجب نحو الله من إنابة وعبادة ، مستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية العظمى ، وهنا في الحقيقة الطريق القويم ، نحو اهداء العبد المفقود ، ويصبح المسلم انسانا مؤمنا مستقيما : (وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا) ، والى القرآن والسنة يرجع المدرج المعرف على حقيقة توحيد الأئمة والجمع بين التمني والعمل على ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم واخرجه البخاري من حديث انس رضي الله عنه مرفوعا : « ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ».

والأمر الواضح [illegible] الذي [illegible] به الشيخ أرسلان الدمشقي ، قولاً في رسالته وفعلاً في عمله وجهاده المتواصل ، اعتداده بالأمة في أرض الشام وحماتها بين الناس ، ومن أجل ذلك كان في دعوته خلقاً نبيلاً ، كداعية إلى الله ، مكن له بها أن يحرض على الصليبيين في يوم جمعة على رأس أهل دمشق ، [illegible] من [illegible] ، [illegible] أنهم كانوا [illegible] على [illegible] في موقع معركة [illegible] ، يقودهم القائد الألماني كونراد ، كما أنه لم يكتف [illegible] بل [illegible] رجال الأمة على الأعداء [illegible] هامدة في [illegible] على [illegible] ، ويتعاونون مع السلطان نور الدين محمود بن زنكي ، كما أنه [illegible] على الحق ومجاهدته ، وإبراز شاراته في المجتمع [illegible] ، فقد كان [illegible] جوهر عقيدته التي استمدت [illegible] في كل معركة حاسمة في [illegible] بلاد الشام ، على يد الشيخ أرسلان في [illegible] على كل ذلك قوله تعالى : (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) .

وحسب القارئ [illegible] الموحد الشيخ أرسلان الدمشقي ، [illegible] شروحها [illegible] العارف بالله تعالى الشيخ عبد الغني النابلسي ، [illegible] في التوحيد [illegible] إلى عالم النور .

كيف تم تحقيق الشروح الخمسة لرسالة التوحيد؟

رأيت لزاماً علي ان ابدأ قبل نشر شروح الرسالة الارسلانية في التوحيد، بتقديم لمحة مبسطة عن توثيقها وتحليلها. ثم ان اتحدث عن السبل التي سلكتها في عملية تجميعها. خلال عدة اشهر، لم ادرك فيها اية فترة للراحة حتى امكن لي الوصول الى هذه الأمنية الغالية على نفسي: امنية القيام بدراسة شاملة عن حياة الشيخ ارسلان، وعن اعماله وعلمه وفلسفته وجهاده، ثم عن رسالته في التوحيد مع الشروح.

وقبل ان ابدأ بالدراسة المطلوبة، اعود للتأكيد بأن التحقيق لشروح رسالة التوحيد كانت شاقة ومضنية الى الحد الذي وجدت فيه فروقاً كبيرة جداً بين النصوص الصحيحة وبين النصوص المطبوعة او المخطوطة. ولا أغالي اذا قلت مثلاً بأن ما من صفحة من صفحات شرح العارف بالله تعالى الشيخ عبد الغني النابلسي، طبعة مطبعة التضامن بمصر عام ١٣٥١ هـ و ١٩٣٢ م، الا وفيها اخطاء كثيرة وعديدة، حتى ان هناك جملاً قد سقطت وجملاً قد بدلت، فغربت المعنى والمبنى للبحث.

وسعياً وراء الإيجاز، اكتفيت بنشر ما ترجحت عندي صحته من النصوص في المتن، مع الاشارة الى الاختلافات الواردة في طبعة التضامن او غيرها من الطبعات او المخطوطات حسب اللزوم وذلك في حاشية الصفحات، وقد اشرت الى الرموز بين المتن والشرح في مقدمة الشروح، حتى لا يختلط الأمر على القارئ.

١ ــ شرح عبد الغني النابلسي:

بدأت محاولاتي الاولى بتحقيق الشرح الذي وضعه العارف بالله تعالى الشيخ عبد الغني النابلسي رضي الله عنه، فهو اشهر من صدور الكتاب، وهو تحت عنوان «خمرة الحان ورنة الألحان» شرح رسالة الشيخ ارسلان، وقد طبع الطبعة الاولى عام ١٣٥١ هـ

و ١٩٣٢ م في مطبعة النصر الاخوي في مصر ، وقد يكون قد طبع حجراً مرات عديدة قبل ذلك ، غير ان التفتيش عن طبعة أخرى كان عبثاً .

وهذا الشرح الذي طبع في مصر ، أسهم سهماً كلياً في تغييب الشيخ أرسلان الدمشقي عن الجمهور ، بصورة مطلقة ، بعد مرور قرون على وفاته ، شأنه شأن شروح رسالة التوحيد التي سبق ان وضعها العارفون بالله والمتصوفة من قبل ، على ان الشيخ أرسلان ، لم يكن بطلاً وقف في وجه غزو الصليبيين ومنعهم من احتلال دمشق فحسب ، بل انه قدم لنا في التوحيد أروع رسالة في اوجز عبارة ، وكل ما فيها يدل على ما أودعه الحق في صاحبها وفي كاتبها ، من لباب التوحيد .

وقد عثرت في المكتبة الظاهرية على خمسة مخطوطات تحت الأرقام التالية : ٨٢٨٣ و ٤٩٠٠ و ٦٠١٢ و ٥١١٩ و ٨٣٦٤ ، وبعضها خطه حسن والبعض الآخر رديء وناقص .

وتبدأ المخطوطة الأولى تحت رقم ٨٢٨٣ ، وهي وقف نقيب السادة الأشراف سماحة الأستاذ محمد سعيد الحمزاوي ، وقد سطر في آخرها ما يلي :

« ان الفراغ من كتابه هذه النسخة الشريفه المنقوله من مسودة المؤلف الشيخ عبد الغني قدس الله سره العزيز ونور ضريحه نهار الاحد الحادي عشر من شهر ربيع الاول سنه ١١٥٩ على يد السيد الفقير اسماعيل بن خليفة الحموي . غفر الله له ولوالديه وللمسلمين » .

وقد بلغ عدد صفحاتها ٧٣ ، وهي على ورق من القطع الكبير ، وخطها حسن .

والمخطوطة الثانية ذات الرقم ٤٩٠٠ جاء في نهايتها :

« ان الفراغ من نسخها قد تم على يد الحقير محمد سعد الدين ابن الشارع عفى عنهما » .

ولم نستطع التعرف الى سنة كتابتها ، وتقع في [illegible] صفحة ٥٨ من القطع المتوسط ، وكتبت بخط يميل نحو الحسن .

والمخطوطة الثالثة التي كتبها محمد حمدي وذات الرقم ٦٠٢١ ، جاءت مع ثلاث رسائل للشيخ عبد الغني النابلسي ، وقد سبق في نهايتها انه معلومات عن سنة كتابتها او اهلها وما اليهما .

والمخطوطة الرابعة ذات الرقم ٥١١٩ ، مؤلفة من ٦٣ صفحة منها ٥٨ صفحة من القطع المتوسط وقد سطر في نهايتها ما يلي :

« تمت كتابتها على يد الفقير محمد بن حسن البيطار عفي عنه الثاني عشر من جمادى الثانية سنة الف ومئتين واربعة وخمسين . احسن الله ختامنا آمين » .

والمخطوطة الخامسة تحت رقم ٨٣٤٦ ، تتألف من ٧٢ صفحة من الخط الوسط والحجم الوسط وقد كتب عليها ما يلي :

« نقلت هذه النسخة من مسودة شيخنا المؤلف قدس الله سره العزيز وأطال عمره ، وقوبلت عليها وقرئت عليه ، حفظه الله تعالى وادام النفع به للانام بجاه محمد عليه السلام . وذلك في مجالس عديدة ، آخرها في أواخر احدى وثلاثين ومائة والف . وكتبه الحقير خادم نعال المؤلف ابراهيم بن محمد بن ابراهيم الدكدكجي ، لطف الله بهم جميعا والمسلمين .

ثم قوبل المؤلف ثانية على أصل مؤلفه قدس الله سره العزيز وأدام وجوده ، فصح بعون الله تعالى . وذلك في منتصف جمادى الاولى سنة ١١٣٢ على يد الفقير ابراهيم بن المرحوم محمد الدكدكجي ، غفر الله له .

كما ورد في آخر المخطوطة الأخيرة ما يأتي : قال مؤلفه ومن خطه نقلت :

. كتبه الفقير الحقير مصنفه عبد الغني بن النابلسي ، غفر الله ذنوبه وستر عيوبه . والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله اجمعين » .

ثم ثُبِّتَ في مكان آخر من المخطوطة ما يؤكد مراجعة الشرح من جديد ، بعد ان قرئ على المؤلف بالذات إبان حياته ، وهذا ما ورد بحرف الواحد :

. انتهت مقابلتها على خط مؤلفها ، قدس الله سره العزيز ونفعنا به وبعلومه ، وغفر لنا قصور ما فهمناه على غير موارده ، ورزقنا الفقه في دينه الحق القويم ، والهمنا رشدنا آمين ، في الروضة المشرفة من مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بطيبة المشرفة في مجالس ، آخرها يوم الجمعة آخ رجمادي الثانية سنة ثلاث ومائتين ، وحرره قاسم بن علي بن محمد التونسي الاندلسي ، عامله الله بلطفه في الدارين ، بجاه سيد الكونين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما والحمد لله رب العالمين .

وسطر بالخط الاحمر بعد ذلك :

. انتقل بالوفاة الى رحمة الله تعالى في سنة ١١٤٣ ، ومولده المبارك في سنة ألف وخمسين ، فيكون مدة بقائه في الدنيا الى وفاته ثلاث وتسعون سنة » .

وقد قمت بمراجعة النسخ جميعها لتحقيق شرح الرسالة ، واعتمدت في النهاية ، النسخة الاخيرة التي قرئت عليه في حياته ثم قرئت ثانية على نسخه الاصلية ، وأظهرت الفروق بينها وبين الطبعة المصرية في مطبعة التضامن التي اشرت اليها ، واكتفيت في التحقيق بنشر الأصول الصحيحة في المتن ، اما الاخطاء ففي الحاشية .

هذا وعالج الشيخ عبد الغني النابلسي رسالة التوحيد وشرح معانيها بسلوك اهل الحقيقة ، كشخصية كان لها الحظ الكبير من التصوف ، علماً ومصطلحات ومناهج ،

حرص على التقيد به في شرحه ، ونقرأ هنا المقطع من نسخة الشيخ ... واضحة الى اللغة التي كتب بها :

« يا لها من رسالة مشموله بالانظار الالهيه . معطره بالانفاس الطيبة والنفحات القدسيه . تتالق بروق المعارف من مطالع افلاكها . وتتناثر درر اللطائف من قلائد اسلاكها . تنفح في رياضها كمائم القبول . فليس من العجائب أني انشد في وصفها واقول » :

عن ارسلان جاء علم الحقائق	حيث اهدى رسالة للخلائق
وسقانا بكأسه منه صرفا	فسكرنا بسائغ الشرب رائق
كل حرف منها يشير لمعنى	سائق نحو ذروة المجد شائق
وعليها طلاوة وبهاء	حيث حازت اسرار كل الطرائق

٢ ـ فتح الرحمن :

وقمت بتحقيق الشرح الثاني لشيخ الاسلام زكريا الانصاري ، واعتمدت على نسخة عثرت عليها في المكتبة الظاهرية ، ووجدت فيها ما يصحح كثيراً من الاخطاء التي وردت في النسخة المطبوعة ... وقد جاء في آخر صفحة منها :

تمت الرساله بحمد الله تعالى وحسن توفيقه المسماه . فتح الرحمن شرح رساله الولى ارسلان . للشيخ الامام والبحر الهمام ابي يحيى زكريا الانصاري الخزرجى الشافعي . اعاد الله علينا من بركاته بمنه ويمنه آمين آمين ٠

اما الخط فقد استنبطت انه من خطوط القرن الثاني عشر ، ولم يذكر فيه اسم الكاتب كما لم يذكر سنة الكتابة ، وانما اكتفى بتذييل الشرح بما يلي :

تم الشرح المبارك بعونه وحسن توفيقه والحمد لله والصلاه على نبيه صلى الله عليه وسلم ٠

والشرح مع المتن عدد في ١٧ صفحة ، تحوي كل منها ٢٣ سطراً من قياس ٢٤ × ١٧ .

وقد اعتمد الفقيد الأنصاري في شرحه على الشريعة أكثر من الاعتماد على الطريقة والحقيقة ، شأنه في ذلك شأن رسالة القشيرية التي روعيت فيها جوانب الشريعة في كل موضع من مواضع الفقه أو الحديث في التصوف . والذي يظهر أن شيخ الإسلام مارس وضع مثل هذه الشروح ، بدلالة أنه شرح شرحه للرسالة القشيرية أيضاً ، وحين يقوى الفرد على إنجاز مثل هذا الشرح ، فإن ذلك يدل على باع طويل في مثل هذه المحاولات ، وقد غلب على الشارح نزعته الفقهية في الشرح ، وحاول التوفيق بين الاتجاه الفقهي والصوفي ، مما يدل على عقلية متفتحة وأسلوب يوائم بين وضوح وتعبيرات الفقهاء وبين تجليات الصوفية . كما عني الكاتب باستخلاص المفاهيم الرئيسية للمتصوفة ، وأكد على وجوب القيام بالحدود بوظائف العبودية على الوجه المراد من كل مكلف .

٣ ـ غاية البيان :

والشرح الثالث للعالم الصوفي والشاعر علي بن صدقة الشافعي تحت عنوان «غاية البيان في شرح رسالة أرسلان» ، وللشرح قصة ترتكز على أنني بينما كنت أقوم بتأليف الكتاب الأول للشيخ أرسلان الدمشقي ، إذ جاءني صاحب مكتبة في سوق المسكية سائلني عنه ، وقد سألني عن العمل والكتب الكثيرة المكدسة فوق طاولتي ، فأجبته : هذه هي مراجع أعود إليها ، في أثناء دراسة موضوعي الأول عن الشيخ أرسلان ، ولما علم صاحب المكتبة بذلك ، فاجأني بقوله : إن لدي مخطوطة عثرت عليه في مكتبة رجل من حي الأكراد وفي حوزته ، وفيه بحث عن الشيخ أرسلان ، واسمه صالح الكردي ، فرجوته أن يبيعني المخطوط ، وجاء به في اليوم التالي ، ووقفني على ثلاثة أشياء كنت أتوق إليها في دراستي ، وهي : أن الشيخ أرسلان عاش واحداً وثمانين عاماً ومذهبه شافعي ، وأنه لم يعقب ، وقد نقلت هذه الدراسة من المخطوط ، كما عثرت في الوقت نفسه على شرح رسالة الشيخ أرسلان علي بن صدقة الشافعي ، وهو شرح لم أجد مثيله في

في مكتبة جوته بفرنكفورت ، وبعد الشرح على بن علوان الحموي الذي لا توجد نسخته الا في توبنغن بالمانيا الاتحادية •

وقد كتب الشرح بخط جميل ، واختصره صاحبه على خلاف ما فعله العارف بالله عز الدين عبد الغني النابلسي الذي اسهب في الحديث عن التوحيد العلمي ، ويعتبر الشرح وسطا بين الشرحين والحقيقة في كل مقطع من مقاطعه •

٤ ــ شرح الرسالة الرسلانية :

اما الشرح الرابع فهو للشيخ علي بن علوان الحموي ، وقد فتشت عليه ، ورجوت فضيلة الفقيد المرحوم الاستاذ الشيخ محمد الحامد في حال حياته ، كما رجوت تلميذه الاول الاستاذ الشيخ محمد علي المراد ، عملا مع اصدقائه واحبابنا الاعزاء في مدينة ابي الفداء ، للعثور على نسخة من هذا الشرح ، لان صاحبه من ابناء حماة ، فكان الجواب ان الشرح غير موجود لدى عائلة المؤلف ، رغم ما بذل من مجهود في هـذا السبيـل •

وفي اثناء عملية التحقيق للشروح ، علمت ان نسخة وحيدة للشرح له محفوظة في المانيا الاتحادية ، ولدى اتصلت مع المختصين من العلماء والقائمين على المكتبات هناك ، وانتهت المخابرات الى ان الشرح كان بين جنبات مكتبة برلين التي بعثرت الى ثلاثة اقسام في الحرب العالمية الثانية ، احداها في فرنكفورت على الماين ، وثانيها في ماربورغ ، وثالثها في توبنغن •

وكانت البداية الى الغاية ، مخابرة المكتبات الثلاث ، وتوصلت بعد اتصالات دامت اربعة اشهر ، الى الحصول على المخطوطين من مكتبة توبنغن ، وهما تحت رقم ٢٤٢٩ و ٢٤٣٠ ، واحدهما ينقص عدة صفحات ، وقد ارسلت الى المكتبة الالمانية الفيلمين للشرح ، وظهريهما ، تقليهما ، وحضرت احدى الصفحات على الزنكوغراف ، كما ارسلت هديه

بدمشق ، وهو المؤلف الأول من كتابي أرسلان الدمشقي الذي صدر عام ١٩٦٥ ، وهذه جواب بالشكر وبأنه على دفعه المكتبة بمادته الكبيرة ، وتأثيره على التاريخين العربي والإسلامي ، من تكرر دورتها ، وفي مكتبة وفي مديرها الشكر والامتنان ، على الإسهام في اظهار هذا المخطوط الى حيز الوجود .

ويلاحظ ان المؤلف رحمه الله على ما اخذ حسب الشريعة اكثر من الحقيقة في عنده من رسالة التوحيد ، وتعبير الشرح في الدرجة الثانية من حيث ارتباطه بظاهر الشريعة أولا ، وهو يتهم من معتقداته بعقيدة دون المقتضى ، ويبسط فكرة التصوف على صورة قريبة من الأذهان ، مستخدما أسلوب تصوف دقيق ، دون ان يعمق في مصطلحات الصوفية الغامضة ، وذلك حرصا من قدرته لا يتهمهم عن دارسيه .

د ـ التعليقات الكمالية :

ان التعليقات الكمالية على رسالة أرسلان الدمشقي فقد شرحها العالم الفقيه مصطفى كمال الشريف ، وهي حديث شرح ، عثرت عليها مخطوطة لدى حفيده الأخ بالله تعالى السيد كمال الشريف ، وقد سمح لي بنقلها وتصويرها ، وهي في اربع صفحات ، والظاهر ان المؤلف لم يكمل شرحها في وقته ، [illegible] ، حيث اختار الشارح أسلوب الشرح على طريقة المقطع ، فكان يكتب المقطع ويتبعه بالشرح ، وعمد الى اظهار تطور النظرة الى علم التوحيد في هذا العصر ، وفي عصر الشيخ أرسلان الدمشقي .

وقد اوضح الكمال الشريف معنى التوحيد الذي تحدث عنه الشيخ أرسلان ومراتب الإحسان الثلاثة ، كما تحدث عن العقبات الأربع التي لا بد من زوالها من القلب ليتخلص المرء من شرك الخفاء ، وكل ذلك بلغة سلسة تلتقي مع آراء وأفكار واتجاهات أهل الحقيقة .

التوحيد جاء على لسان الرسل منذ آدم عليه السلام

والذي يهمنا هنا هو الأئمة [illegible] الرسل صلوات الله عليهم وسلامه

منذ آدم عليه السلام جاءوا بالتوحيد لله عز وجل : (وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون) .

وقد نشروا التوحيد بين الامم بوسائل وسبل مختلفة ، وقام الصحابة والتابعون وتابعوهم رضوان الله عليهم بدورهم في نشر هذه الناحية العظيمة من الدين ، وما يزال العارفون بالله تعالى والعلماء في كل زمان ومكان يحرصون على نشر هذه العقيدة ، الى ان جاء دور الشيخ ارسلان الدمشقي الذي اسهم في ذلك بنصيب وافر في رسالته بنشر علم التوحيد ، وهي التي ما زالت منذ ذلك العصر ، مصدراً للانتفاع بها ، متناً وشرحاً ، على يد العارفين والعلماء .

ونحن الآن ، وفي هذا العصر الذي طغت فيه المادية على كل شيء ، بحاجة ماسة الى مثل هذه الرسالة والى مثل تلك الشروح ، نستمد منها الطريق القويم ، كما نستمد العون من الله العلي القدير في نشرها وتعميمها .

وحسب القارىء ان يعلم ان الشيخ [illegible] رسالة الشيخ أرسلان هو امام المجاهدين والسالكين ، ليتعطش الى ان يقرأ كل ما تحتويه من علم التوحيد ، كما نطمئن الى ان ما بين جنبات شروحها فيض الهي لا يوصف ، يوفق الشريعة والحقيقة ، على يد عدد من أكابر العلماء في مختلف العصور التي عاشوها ، فلهم من الله الرحمة والرضوان ، ولهم من الله خير الجزاء .

هذا وقد عثرت لدى الاخ الوفي الاستاذ رياض المالح على نسختين مخطوطتين من فتح الرحمن ، ومن خمرة الحان ، فقابلتهما على ما لدي من نسخ ، واحداهما شرح شيخ الاسلام زكريا الانصاري الذي ولد عام ٨٢٣ هـ وتوفي عام ٩١٥ هـ وهي بخط جميل جداً ، كما ان الشرح المسمى خمرة الحان قد قوبل على نسخة المؤلف بالذات ، فاليه الشكر .

١٢ شرحاً لرسالة التوحيد

وفيما يلي اسماء من قاموا بشرح رسالة التوحيد :

١ ـ شرح الشيخ حسن بن موسى الباني الكردي المتوفى بدمشق سنة ١١٨٤ ، انظر الاعلام ، ج ٢ ص ٢٣٩ ومعجم المؤلفين ج ٣ ص ٢٩٧ وسلك الدرر ج ٢ ص ٣٥ وهدية العارفين ج ١ ص ٩٨ •

٢ ـ شرح شيخ الاسلام زكريا الانصاري « ٨٢٣ ـ ٩١٥ هـ » المسمى فتح الرحمن شرح رسالة الولي ارسلان ، انظر كشف الظنون ج ١ ص ٤٢٢ وخديوية ج ٧ ص ٧ و ج ٧ ص ١٠٣ •

٣ ـ شرح الشيخ عبد الغني النابلسي « ١٠٥٠ ـ ١١٤٣ هـ » المسمى بـ « خمرة الحان » نسخه مخطوطه محفوظه ومقابلة على نسخه المؤلف •

٤ ـ شرح رسالة الشيخ أرسلان للشيخ مصطفى بن كمال الدين البكري المتوفى سنة ١١٦٢ ، انظر هدية العارفين ج ٢ ص ٤٥٠ •

٥ ـ شرح محمد بن سعيد الكشف وسماه « الوجد في خالص التوحيد » ، انظر كشف الظنون ص ٤٢٢ •

٦ ـ الفتوحات الربانية في شرح الرسالة الرسلانية للشيخ محمد الشهير بمحصب الوزيري المالكي ، انظر كشف الظنون ج ١ ص ٤٢٢ •

٧ ـ فيض الرحمن على رسالة الولي أرسلان للعارف بالله علي بن حجازي البيومي الشافعي المتوفى عام ١١٨٣ ـ الخديوية ج ٧ ص ٩١ •

٨ ـ فتح الرحمن المريد في شرح كلام الولي أرسلان في علم التوحيد تأليف ابي الصفاء بن أبي الوفاء العراقي الحسيني ـ خديوية ج ٧ ص ٩٣ •

٩ ـ مواقع الالهام من محاسن الفضل والانعام ، وهو شرح رسالة التوحيد للشيخ أرسلان وقد بدىء الشرح بـ « الحمد لله الذي خلق آدم أبا البشر » ـ خديوية جزء ٧ ص ٧ •

١٠ ـ شرح الرسالة الرسلانية للشيخ علي بن عطوان الحموي المتوفى سنة ٩٣٦ هـ ، له ترجمة في معجم المؤلفين ج ٧ ص ١٥٠ ، نسخة هذا الكتاب في المكتبة الوطنية بتوبنغن في المانيا الاتحادية ، وعلى هذه النسخة اعتمد في تراجم « الاعلام » ، تحت رقم ٢٤٢٩ وقد كانت هذه النسخة في برلين قبل نشوب الحرب العالمية الثانية ، ولما اشتد أوارها، نقل الجزء الشرقي من المخطوطات في المكتبة الى توبنغن ، حفاظاً عليه من غدرات الحرب.

١١ ـ شرح الرسالة للشيخ شهاب الدين احمد بن محمد بن بدر الدين الحلبي الدمشقي المتوفى سنة ٩٧٩ هـ ترجمة في معجم المؤلفين ج ١ ص ١٤٦ ، نسخة من الكتاب في المكتبة الوطنية ببرلين تحت رقم ٢٣ ـ ٢٤٣٢[1] .

١٢ شرح رسالة الرسلان للشيخ عبد الرحمن الكردي ، نسخة مخطوطة من هذا الكتاب في المكتبة الظاهرية تحت رقم ٥٥٦٣ عام .

---

(١) المؤلف = لم نعثر على هذا المخطوط في مكتبة توبنغن التي حلت محل مكتبة برلين في اقتناء الكتب الاسلامية والشرقية المخطوطة والمطبوعة .

القسم الثالث

عرض شروح الرسالة الارسلانية الخمسة

بنصوصها الاصلية بعد تحقيقها

خمرة الحان ورنة الألحان
شرح رسالة الشيخ أرسلان
للشيخ عبد الغني النابلسي

ترتكز القواعد العلمية في تحقيق المخطوطات على ما يلي :

١ ـ احسن نسخه تعتمد للنشر نسخه كتبها المؤلف •

٢ ـ عند العثور على مثل هذه النسخه ، تقتضي التأكد بانها اخر صوره كتبها المؤلف قبل وفاته •

٣ ـ اذا لم نعثر على نسخه المؤلف ، يصار الى البحث عن نسخه قراها او قرئت عليه ، واثبت بخطه انه قراها او قرئت عليه •

٤ ـ ثم نسخه نقلت عن نسخة المصنف •

٥ ـ ثم نسخة كتبت في عصره •

واعتمادا على هذه النظريه العلميه نثبت فيما بعد ، نص شرح رسالـه الشيـخ ارسلان المسماه ، خمره الحان ورنه الالحان شرح رسالة الشيخ أرسلان ، للعارف بالله تعالى الشيخ عبد الغني النابلسي ، وقد اثبت في المتن النسخة الاصليه الصحيحة التي

قرئت عليه ابان حياته . ثم قوبلت على نسخة المصنف في جلسات متتابعة عقدت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رمزت للنسخة الاصلية بحرف (أ) ، اما النسخة التي طبعت في مطبعة الصعادي بمصر عام ١٣٥١ هـ و ١٩٣٢ م ، وقابلتها على النسخة المعتمدة ، فقد رمزت اليهـا بحرف ب . واكتفيت بنشر المهم مـن الاخطاء الواردة فيها ، تحقيقا لمبدأ الايجاز •

نص محتويات الصفحة الاخيرة من شرح النابلسي

وفي الصفحة [illegible] سطور [illegible] الصفحة الاخيرة من شرح الشيخ عبد الغني النابلسي [illegible] الدمشقي في [illegible] :

وكانت مدة المصنف ما تنوف على شهر . فالفن المعجمة الف والزاي سبعة واللام ثلاثون والالف واحد والنون خمسون . وجملة ذلك الف وثمانية وثمانون . وقد فرغنا من تصنيفه نهار الخميس الرابع والعشرين من شهر رجب المبارك من السنة المذكورة ، والحمد لله وحده ، تم •

نسخة المصنف قرئت على النابلسي ابان حياته

وفي القسم اليمني من الصفحة ورد ما نصه :

وقد نقلت هذه النسخة من مسودة شيخنا المؤلف قدس الله سره العزيز واطال عمره وقوبلت عليها وقرئت عليه حفظه الله تعالى وادام النفع به للانام بجاه محمد عليه السلام وذلك في مجالس عديدة آخرها في اواخر سنة ١١٣١ احدى وثلاثين ومائة والف. وكتبه الحقير خادم نعال المؤلف ابراهيم بن محمد بن ابراهيم الدكدكجي لطف الله بهم جميعا والمسلمين •

وفي [illegible] على [illegible] الشرح [illegible] :

ثم قوبل ثانيا على أصل مؤلفه قدس الله سره وادام وجوده ، فصح بعون الله تعالى وذلك في منتصف جمادى الاولى سنه ١١٣٢ اثنن وثلاثين ومائة والف وكتبه الفقير اليه ابراهيم بن المرحوم محمد الدكدكجي غفر الله له .

وذيل الشرح بما يلي :

انتقل بالوفاه الى رحمه الله تعالى في سنه الف ومايه وثلاث واربعين ، ومولده المبارك في سنه الف وخمسين . ويكون مدة بقائه في الدنيا الى وفاته ثلاث وتسعون سنه وأجرى الكاتب العمليه الحسابية لعمر المؤلف كما في الصورة الزنكوغرافيه .

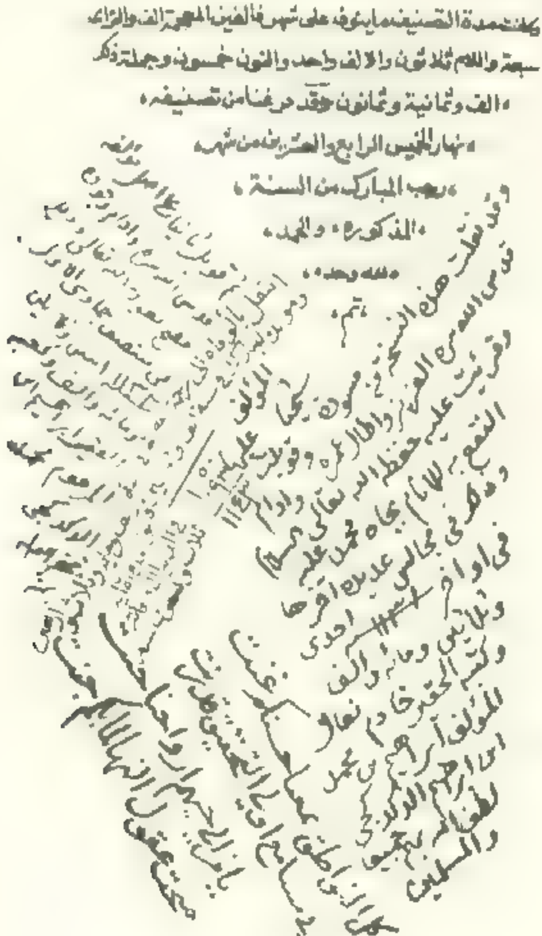

خمرة الحان ورنة الألحان

شرح رسالة الشيخ أرسلان للشيخ عبد الغني النابلسي

وبـه نستعين

الحمد لله الذي طهر قلوب أوليائه بماء اليقين من دنس الأغيار ، ورفع عن وجوه عقولهم قناع الغفلة والاغترار ، وألبسهم حلل المعرفة والاعتبار ، وما أُلْبِس عليهم آياته البينات في الليل والنهار ، والصلاة والسلام على مفتاح خزانة الغيب المطلق ، وكاشف أسرار العلم المغلق ، نبي ورسول حضرة[1] الحق محمد المختار ، قطب حركة الأدوار ، وعلى آله الهداة ، وأصحابه والتابعين الى يوم الدين .

أما بعد ، فيقول أسير الذنوب ورهين النقائص والعيوب ، عبد الغني بن اسماعيل بن النابلسي القادري طريقه ، النقشبندي حقيقه ، غلب الله تعالى على ذاته بذاته ، وعوضه عن صفاته بصفاته .

هذا شرح أمطرته سموات إلهامي ، وفاضت به علي في حضرة فتحي بحار التجلي السامي ، وضعته لرسالة الشريفة بل الجوهرة اللطيفة ، التي قذف بها بحر الفيض الأقدس ، في العالم الأنفس على لسان الأمجد الأفخم ، والضرغام الأعظم ، زبدة الأولياء ، وخلاصة الأصفياء ، بركة الإنس والجان ، سيدي الشيخ أرسلان ، المنسوب الى دمشق الشام ، لكونه نشأ فيها ومات بها ، عليه رحمة الملك العلام .

فإنها من رسالة مشحونة بالأنظار الإلهية ، معطرة بالأنفاس الطيبة والنفحات

---

(١) « ب » من حضرة الحق .

[illegible] لطائف من [illegible]
[illegible] فاسمع من المحدث الذي انشد في وصفهم [illegible]

عن أن [illegible] علم الحقائق [illegible] المخلائق
[illegible]
[illegible]
[illegible] أسرار كل الخلائق
[illegible] (١) في [illegible]
[illegible]
[illegible]

فقد [illegible] شرحت [illegible] بمعونة الله تعالى [illegible] على أبواب [illegible] بعد [illegible] في شرح [illegible] وهو حسبي ونعم الوكيل، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل •

مقدمة الكتاب

اعلم أولاً [illegible] في [illegible] واجب التوبة [illegible] الأحد بالنواصي •

[illegible] الله تعالى : (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) وقال تعالى : (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق) وحكي [illegible] عن عثمان عليه السلام أنه قال [illegible] وهو [illegible] : ([illegible]

(١) في النسخة ب : تقديم وتأخير في بيتي الشعر •

لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) ، وقال تعالى : (إنه من يشرك[1] بالله فقد حرم الله عليه الجنة ... الآية) ، وهذا الشرك المذكور في هذه الآيات مطلق من غير تقييد بشرك دون شرك ، فيشمل الشرك الجلي والشرك الخفي ، إذ النوعان شرك محقق سواء كان جليا واضحاً او خفيا مكتوما ، فإن اعتبر[2] في الشرك الجلي ظهوره لصاحبه وفي الخفي خفاؤه عن صاحبه فليس كل شرك في الارض كذلك ، لأن المشركين لا يعلمون أنهم مشركون في الله تعالى وإن عبدوا معه آلهة اخرى فعللهم انهم وجدوا على ذلك آباءهم او قصدهم أن تقربهم تلك الآلهة الى الله زلفى ، كما حكى الله تعالى عنهم ذلك في القرآن ، فبعضهم فهم مشركون ولا يعلمون أنهم مشركون ، وإن اعتبرنا في الشرك الجلي ظهوره لغير صاحبه وفي الخفي خفاؤه عن صاحبه فلا فرق حينئذ بين الجلي والخفي لأن الخفي ظاهر عند غير صاحبه ايضاً .

والشرك عند الله تعالى قسم واحد وإن انقسم الى نوعين عند المتكلمين[3] ، قال الله تعالى : (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) ، والعبادة اعتقاد وقول وعمل واحد ، نكرة وقعت في سياق النهي ، فتعم كل معقول ومحسوس ، فتشمل الشرك الجلي والخفي .

واعلم أن الشرك الجلي هو أن يظهر للعبد او لغيره منه اعتقاد[4] ان مع الله تعالى رب آخر يستحق العبادة من الخلق او مع الله تعالى غيره موصوف بصفة مثل صفاته تعالى، أو له فعل كأفعاله تعالى ، أو إسم كأسمائه ، او حكم كأحكامه .

والشرك الخفي هو خفاء شيء من ذلك عن العبد ، وهو فيه بسبب استيلاء الغفلة على قلبه فيرى الغافل عن معرفة نفسه جازماً أنه مشارك لله تعالى في الوجود وفي جميع

---

(١) « ب » ومن يشرك .
(٢) « ب » فان اعتبرنا .
(٣) « أ » المكلفين .
(٤) او لغيره اعتقاد .

الصفات التي منها السمع والبصر والعلم والحياة والقدرة والإرادة وغير ذلك ، وفي جميع الأسماء التي منها الحليم والكريم والمعطي والمانع إلى آخره ، وفي جميع الأفعال كالإحداث والتدبير والإعدام للمحدثات ونحو ذلك ، وفي جميع الأحكام كالتحريم والإيجاب والإحلال في الأمور المحدثة بغير ذلك وتشخيصها تحت أحكام القرآن والسنة ، ومع ذلك هو غافل عن شهوده غير منتبه لأمره قاطع بأنه موجود آخر مع الله تعالى موصوف بأوصاف مسمى بأسامي ، له أفعال وأحكام تصدر منه بحيث أنه إذا سئل ذكر أنه فيه واتصف في غفلته نفسه استبقاء لذلك ونسب ما فيه مما ذكر لله تعالى بطريق الإجمال ، وهو مصر في نفسه على عقد ذلك جهلاً منه بكيفية رجوع النسبة ، بمنزلة من حبس من عدوه في مكان فجاءه عدوه فمنعه فلم يجده فحاول أن يجده فقال له أنا في غير هذا المكان فسمع كلامه العدو فجاءه وهو لا يشعر بأنه يعلمه بكلامه .

وكذلك هذا الذي ، قلبه في غفلته ويحسبه نفسه عن غفلته بنفسه فينبه في حاله نفسه ولا يشعر حتى يسلم لله رب العالمين ، ولو شعر وأسلم لله رب العالمين فقد أشرك النفس بالله جهلاً عنه وهو لا يشعر حتى يسلم لله رب العالمين ، وهكذا دائماً أبداً حتى يشعره الله تعالى لا هو يشعر بنفسه ، وحتى يسلمه الله تعالى له لا هو يسلم لله تعالى بنفسه ، وحتى يحصل فيه ذلك من الله(1) تعالى لا هو يحصل ذلك من نفسه بنفسه ، وحتى يجد ذلك في نفسه لا يوجده هو بنفسه .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « تعرضوا لنفحات الحق فإن لله في أيام دهركم نفحات » ، والتعرض إنما يكون بالتنبه وإزالة الموانع ، وأصل ذلك الإيمان بالغيب عن العقل والحس ، والاستسلام له ظاهراً وباطناً حتى لا يبقى في العبد خاطر ينازعه في شيء من الحس ، ثم الأدب في معاملة الحق والتخلق بالآداب الشرعية أمراً ونهياً ، حتى تجد الجذب من قلبه إلى حضرة ربه من غير تكلف ، ويدخل في مقام الجذبة التي قال فيه عليه الصلاة والسلام : « جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين » .

---

(١) « ب » وحتى يحصل فيه ذلك في نفسه من الله .

فعند ذلك يدخل في تصرف الحق تعالى ويغيب عنه شيء من التصرف فيه فيسلم(١) من الشرك الخفي والجلي ويدخل في دائرة أهل التوحيد ، [illegible] عن الوفق •

قال تعالى : (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) فنفى رمى وما رمى كما انه موجود وما هو موجود ، فافهم إن كنت من أهل الفهم واحترز من تلبيسات الوهم •

واول قول الشيخ أرسلان قدس الله سره العزيز في هذا الشأن (كلك شرك) أي ذو شرك ساتعه كرحل عدل (خفي) عنك غير ظاهر لك فإن قلت هذا الخطاب يشمل الأنبياء عليهم السلام ومن عداهم ، والشرك ممتنع في حقهم ولو كان خفيا قلت إنه يشمل كل مستقل بوجود دون ربه فإنه في هذه الفرق ، والواقف فيه دون الجمع على ربه ، والأنبياء عليهم السلام منزهون عن ذلك ، وإن كانوا في الفرق الثاني فان الفرق الثاني جمع وزيادة فلا يشبه الفرق الأول الا في عين(٢) الحضرات فقط •

والدليل على وجود هذا الشرك الخفي من الكتاب والسنة : أما الكتاب فقوله تعالى: (وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون) فقد اثبت لهم الشرك في حال إيمانهم بالله تعالى فيكون شركا خفيا عنهم وهم لا يشعرون به وهذا في الأكثر ، وأما في الأقل فهم يؤمنون بالله وهم موحدون • وأما السنة فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « الشرك في امتي اخفى من دبيب النمل على الصفا » وهو صريح في الشرك الخفي ، ومنشأ هذا الشرك الخفي الوهم والخيال الفاسدان فيتوهم شيئا موجودا بوجود مستقل غير وجود الله تعالى ، ولا شيء موجود غير وجود الله تعالى ، قال الله تعالى : (كل شيء هالك الا وجهه) وقال تعالى : (كل من عليها فان

---

(١) « ب » فيسلم •
(٢) « ب » تعين •

ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) ، ومن تحقق بقوله تعالى : (الرحمن على العرش استوى) من غير تشبيه ولا تأويل فهم ذلك حق الفهم ، ومثل هذا الوهم ان الانسان اذا ارتفع عن قلبه قناع الطفولية وبدأ إدراكه في عالم الحس تكون عقلته قاصراً ومعرفته ناقصة فعند ذلك تنطبع في مرآة خياله صور الأشياء بسبب كثرة ورودها على حضرة حتى تعادل عقله ويضبطه حسه ويحققها وهمه ، فاذا كبر وبلغ لا يكاد يصدق بوجود شيء مما رواه ذلك على غير حس من علمه ، وهو لا يدري ان هذه الاشياء التي ادركها كلها آثار الحقائق العلمية وظلال الوجودات الأزلية بمنزلة السراب الذي يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه ، او بمنزلة الخيالات المنطبعة في المرآة يعطيها العقل الصغير حقائق موجودة ، والله الحقائق الموجودة ما يقابلها : (والله بصير بالعباد) •

فان قلت ان هذا الكلام يقتضي ان وجود الاشياء كلها اوهام وخيالات ، وهو مذهب باطل ، قلت : مرادنا ان وجود الاشياء اوهام وخيالات بالنسبة الى تسميتها أشياء حقيقية مستقلة كما قال النبي عليه السلام : « اصدق كلمة قالها الشاعر قول لبيد : » ألا كل شيء ما خلا الله باطل « يعني باطل بالنسبة الى الله ، والله هو الحق بالنسبة الى كل شيء ، ومع قطع النظر عن الله تعالى فكل شيء حق ، لانه خلق بالحق •

قال تعالى : (خلق السموات والارض بالحق) والمذهب الباطل كون وجود الاشياء اوهاماً وخيالات بالنسبة الى الاشياء في نفسها[1] فانه جحود وجود الحق تعالى الذي قامت به الاشياء وهو مذهب قوم من الضالين[2] المضلين •

ثم ان الشيخ رضي الله تعالى عنه حيث ذكر الداء احتاج ان يذكر الدواء لأنه طبيب الارواح فهو مثل طبيب الاشباح فقال[3] (ولا تبين) اي لا تظهر (لك)

(١) « ب » في انفسها •
(٢) « ب » مذهب القوم الضالين •
(٣) « ب » لانه طبيب الارواح فقال •

انه المشرك شهد سر التجلي (بوحدته) [illegible] في حضرة الجمع

الله ، وهو التوحيد الحقيقي الذاتي [illegible] حقيقة [illegible]

بجوهرهم كلهم موحدين آملون [illegible] آملون مثله ، ولكن

علمهم بحسبهم وتعرفهم [illegible] من عرف نفسه وعرف معرفة مثله ، فهو الذي

الكامل [illegible] من عرف نفسه وعرفه الى من [illegible] وهو اخص من الاولى ، ومنهم

الذي من ذلك وهم [illegible] من لم يعرف نفسه ولا عرفه ابدا وهم

الجاهلون الغافلون ، ولكن [illegible] عرفوا [illegible] وعرفهم في معرفتهم معرفة نفسه

لا حقيقة لانه [illegible] مقتضى قوى حواسهم[1] [illegible] لا [illegible] يقومونهم على ما هي عليه

وعرفهم على ما هو عليه ، وكلفهم من الله على حسب علمهم بانفسهم وعرفهم .

[illegible] . (لا يكلف الله نفسا ([illegible]) [illegible] في آية اخرى

(إلاَّ وُسْعَها) .

(الا اذا خرجت) اي تعففت (عنك) اي عن ذاتك وصفاتك وافعالك

واسمائك واحكامك بحيث تحققت بتوحيد الذاتي والصفاتي والافعالي والاسمائي

والاحكامي[2] وخرجت ذاتك اي نفسك [illegible] ظهورا [illegible][3] [illegible]

الاطلاق [illegible] وخرجت صفاتك الى [illegible] وافعالك الى افعاله واسمائك الى

اسمائه واحكامك الى احكامه ، فانت هو انت في حضرة [illegible] على ذاتك

[illegible] في حضرة [illegible] الاشارة [illegible] . (ففروا

الى الله) وقوله تعالى ([illegible]) . وفي

الحديث : « موتوا قبل ان تموتوا » .

---

(١) « ب » لمقتضى حواسهم .

(٢) « ب » بحيث تحققت بتوحيد تعالى الذاتي والصفاتي والاسمائي والاحكامي .

(٣) « ب » غير مقيد .

فان قلت : الشيخ رضي الله عنه قيد الخروج بقوله عنك ولم يذكر الخروج عن بقية الاغيار مع انه شرط في ذلك ايضاً ، قلت : الخروج عن الاغيار سابق على الخروج عن النفس بحسب ضرورة الوجدان ، كما ان زمن الشباب سابق على زمن الكهولة فاذا قلت للغلام حتى تصير كهلا ، معناه حتى تصير شاباً ثم تصير كهلا ، وههنا الخروج عن الاغيار رتبة اولى ، والخروج عن النفس رتبة ثانية ، فاذا ذكرت الثانية كانت الاولى مفهومة في ضمنها فلا حاجة الى ذكرها •

وبيان هذا ان نفس الانسان محجوبة عنه بالاغيار ، فاذا خرج عن الاغيار ارتفع الحجاب عن نفسه فعرف نفسه ، واذا عرفها خرج عنها فعرف ربه ، كما سيشير اليه الشيخ رضي الله تعالى عنه في آخر الرسالة بافصح مقاله •

ثم لما كان ظهور التوحيد الفطري الذي ثبت لك موقوفاً على خروجك عنك كما ذكرنا ، كان دوام هذا الظهور لك موقوفاً على اخلاصك في هذا الخروج ، ولهذا قال رضي الله تعالى عنه : (فكلَّما أخلصْتَ) اي في خروجك عنك بان خرجت عن هذا الخروج ايضاً لانه عندك انه منك ، وان كان في الحقيقة ليس منك بل انت ، وما منك من الله تعالى •

قال تعالى : (قُلْ كلٌّ من عِنْدِ الله) ، واليه الاشارة بقوله تعالى : « واسْجُدْ واقْتَرِبْ » ، فالسجود هو لحوق نفسك بارضها التي خلقت منها وهي العدم ، والاقتراب هو السجود الثاني ، وهو لحوق هذا اللحوق الذي ظهر لك بالعدم ايضاً (يُكْشَفُ) = بالبناء للمفعول = اي يكشف الله تعالى (لك) بان نظهر فيك وتجده في نفسك المعدومة ، وهذا الانكشاف ليس كانكشاف الاشياء المغطاة •

قال العفيف التلمساني رضي الله عنه من ابيات :

جميع خطاب اهل الله معنى   بلا حرف وكشف دون كشف

وقال بعض العارفين :

وقال احد العارفين :

توهمت قدماً ان ليلى تبرقعت   وان حجاباً دونها يمنع اللثم
فلاحت فلا ان ثم والله حاجب   سوى ان طرفي كان عن حسنها أعمى[1]

اي هو كشف كله ليس كما انكشف غطاء عن الآية او الستر عن الباب بل هو امر اذا ظهر ترى انه قبل ذلك لم يكن مستترا بشيء ، وانما الادراك كان ضعيفاً عن الوصول انه تنور فحقق ادراك ما كان ظاهراً (انه) اي الشأن او الذي انكشف لك (هو) اي الله سبحانه وتعالى الموجود وحده فقط بالوجود القديم الخاص به (لا انت) اي لا وجود لك ولكنه بل انت عدم محض حينئذ ، وان كنت عند ذلك[2] على ما كنت عليه قبل ذلك من غير تغير الا ان بصيرتك قويت فادركت ما لم تكن تدرك من قبل ، كمن رأى شبحا من بعيد وفي النظر فيه فتحقق انه انسان ثم امعن النظر فتحقق انه فلان حتى شرع في تدبير كلمات يقولها عند اجتماعه به ثم سار الى نحوه واشرف عليه فاذا هو صخر من الحجر ، فان الانسان الذي في بصره قد زال ولم يكن قبل ذلك مع انه كان محققا له فقد فني الانسان الذي هو فلان وبطلت العبارات التي دبرها له وظهر الصخر من الحجر الذي لم يكن ، وهذا معنى قولهم حتى يفنى ما لم يكن ويبقى ما لم يزل .

وقال تعالى : (ما زاغ البصر وما طغى) ، وهذا في نبينا صلى الله عليه وسلم حيث رأى ربه وقد زاغ بصر غيره وطغى فلم ير ربه حتى تذهب الزيغ والطغيان فيراه المؤمنون في دار الجنان ، واذا انجلى غبار الاغيار يظهر لك نور جميع الانوار وهو الله الواحد القهار[3] .

قال تعالى : (فأثرن به نقعا) ، فقد اشار تعالى الى ان العاديات ، وهي

---

(١) « ب » هذان البيتان من الشعر محذوفان .
(٢) « ب » وان عند ذلك .
(٣) : وللمؤلف نفعنا الله به قصيده في هذا المعنى مطلعها :
لو انجلي عن ناظريك الغبار   لرأيت الكؤوس كيف تدار
اذ اردتها فارجع لديوانه : « الحقيقه » .

او وجهت امواله بصور الجسم ... فرحت عند ... وقال ... الجسم ولصور ... القدم ، وهو الذكر الحكيم ، وهو ... لا ... الا هو العلي العظيم •

واعلم ان كل مثال من هذه الحوادث متصف بالوجود ، كما ان الحق تعالى متصف بالوجود ، ومفهوم الوجود واحد لا يختلف ... والاعتبارات ، فهو في القديم قديم وفي الحادث حادث ، كما انه ... وفي ... والوجود ... الماهية الموصوفة به على ... ، وهو في القديم مطلق وفي الحادث مقيد ، ولا كلام ... في المطلق ، لان الكلام فيه ... كلامه في ... ، ... عنه انه مطلق ... ، فهو مطلق عن الاطلاق ... في ... من هذه اعراض فيه او هو عرض فيها ... فيكون الحال لا يخرج عن كونه عينها اذ لا زائد عليه وان كثر ... اعراض ، والوجود عرض ، واي فيه ... هذه العرض العرض ... في ... ، ولزوم التسلسل ... امكن لا يقتضي وجود ... ولا ... ان العرض يتجدد في كل زمان ، ويتبدل في كل أوان ، والوجود الحادث العرض ... الوجود القديم ... بوجود القديم ، ولكن ليس مثل هذه العرض ... بحيث ... فيه العلم ... والنيص بالفرصاص • وان خلق[1] الله على ذلك مثلا ... مضروب ... الحوادث به مثلى ، قال تعالى : (وتِلْكَ الأمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ وما يَعْقِلُها إلا العالِمون) فان كنت من العالمين فاعقل المثال •

واعلم انه من اي وجه ضرب مثلا ولا ... على ... به ... الانوار المنتشرة في زوايا البيت ليلا فانها اثار نور المصباح ... فيه ... الانوار المنتشرة مثل قوة نور الملهبة في المصباح ... النور الذي هو اثر والنور[2] الذي هو مؤثر ، واياك ان تفهم من هذا المثل انه مثل القديم والحادث ... نور الملهبة والانوار المنتشرة ليلا في البيت ، جميع ذلك حادث والقديم منزه عن مشابهة ذلك ، ولكن جميع العلوم الحادثة اعتبارات لأولي الألباب ... من اي وجه الباب[3] (تستحضر)

---

(١) « ب » وقد خلق •
(٢) « ب » والنور •
(٣) « ب » من وجه الباب •

أي طلب مغفرة الله ومسامحته (مسبب) عن من الذنب العظيم الذي هو من قبيل قول الشاعر :

وإن قلت ما ذنبي أجابت بحسبي … وجودك ذنب لا يقاس به ذنب

وليس هذا الاستغفار عنه بسبب عدد من بعض الأذى ، وفي الحديث قول النبي صلى الله عليه وسلم إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم سبعين مرة » وفي رواية مائة مرة •

واستغفار النبي صلى الله عليه وسلم ليس من عين الأغيار بل من معين الأنوار لأنه دائم الترقي ، فكلما رقي الى رتبة في القرب الإلهي وجد الرتبة التي كان فيها قبل ذلك عيبا وحجابا فيستغفر منها •

قال الله تعالى له : (وقل ربِّ زدني علما) والوارثون له عليه السلام لهم نصيب من ذلك كما هو مأخوذ من إشارة قوله تعالى : (يا أهلَ يثربَ لا مُقَامَ لكم فارجِعُوا) فإن قلت : قول الشيخ رضي الله عنه لا ذات ، مفسدة التحقق بعدم الوجود ، وقوله : فنستغفر منك صريح في الوجود لثبوت المستغفر ، قلت : والأمر كذلك ، لأن هذه رتبة الكاملين الذين ينظرون بعينين لا بعين واحدة ، فإن من تحقق بعدم وجوده مع الله تعالى فقط فهو ناقص المعرفة ، ومن تحقق بوجوده مع الله تعالى فقط فهو أنقص منه ، والكامل في المعرفة من جمع بين الأمرين ووقف في الحقيقة البرزخية ، وذلك لأنه لا بد من حق وخلق ، إذ لولا الحق ما عرف الخلق ، ولولا الخلق ما عرف الحق ، ومن أنكر واحداً منهما فهو جاهل ومع جهله كافر ، والكامل متحقق بعدم وجوده مع الله تعالى إعطاءً للربوبية حقها ، ومتحقق بوجوده مع الله تعالى إعطاء للعبودية حقها ، فيعد وجوده ذنبا في تحققه الأول ويستغفر[1] منه في تحققه الثاني ، ويلزم من استغفاره منه عوده اليه فيستغفر منه وهكذا •

قال تعالى : (إن الله يُحِبُّ التوابين) ، والذنب دائم والتوبة دائمة ، والعبودية موضع الذنب والربوبية موضع التوبة ، ومراعاة الطرفين مطلوب ، والخلق[2]

---

(١) « ب » ويستغفر •
(٢) « ب » مطلوب الخلق •

في حضرة علم الحق ، والحق في حضرة علم الخلق ، فالحق حق ، والخلق خلق وحق ، والحق الحق فيه نص ، والخلق فيه ظاهر ، والخلق الخلق فيه ظاهر ، والحق فيه باطن .

وهذه هي المضاهاة الالهية المشار اليها بقوله عليه السلام : « إن الله خلق آدم على صورته » وفي رواية على صورة الرحمن .

(وكلما وحّدت) أي تحققت في هذا الانكشاف المذكور أنه هو لا انت (بان) أي ظهر واتضح (لك الشّرك) المعهود وهو الخفي الذي كان فيك وأنت غافل عنه (فتجدد به) سبحانه وتعالى بسبب ذلك (في كلّ ساعة) أي زمن يسير (ووقت) وهو أعم من الساعة لاطلاقه على الزمان الكثير بخلاف الساعة لغة (توحيداً) أي تحققاً انه هو لا أنت (وايماناً) أي تصديقاً بحقيقة[1] انه هو لا انت .

فالمراد بالتوحيد ظهور صفة[2] الوحدانية للعبد حتى يمحق كله فيها ولا يبقى له اثر الا مجرد التصديق القلبي بان ذلك حق ، والايمان هو التصديق بحقيقة ذلك والاعتراف به والاذعان له . فالتوحيد المذكور اضطراري لا تصرف للعبد فيه ، والايمان اختياري يمكنه التصرف فيه ، ولذلك قال تعالى : (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) وذلك لأن الايمان اختياري لهم فامكنهم الايمان به ، وأما التوحيد فلكونه اضطراريا لم يمكنهم الايمان به ، وانما أمكن بعضهم عناية من الله تعالى. وهذا التوحيد المذكور هو التوحيد القلبي المعتبر ، وأما التوحيد اللساني الذي اعتبره الشرع من حيث الظاهر للحكم الدنيوي كتوحيد المنافق فهو كثير وليس المراد هنا بالتوحيد ذلك أصلا ، ولا يذهب عليك ان التوحيد اضطراري كما ذكرنا فكيف يمكن تجديده لأنا نقول نجدده بتعاطي اسبابه المؤدية اليه من معرفة النفس والكون .

---

(١) « ب » بحقيقة .
(٢) « ب » صفته .

وفي الجمع بين التوحيد والإيمان إشارة إلى أن كلا منهما لا يعتبر بدون الآخر على المعنى الذي ذكرناه ، فمن عنده توحيد ولا تصديق له بحقيقة توحيده فهو هالك ، ومن عنده تصديق بحقيقة ذلك ولا توحيد له بالمعنى المذكور فهو غير ناج .

فإن قلت : قال الشيخ رضي الله عنه فيما سبق « فتستغفر منه » وقال هنا « فتجدد له توحيدا وإيمانا » ولم يذكر الاستغفار ، قلت : لأن في الأول يظهر لك أنه هو الآن فيكون ذنبك الذي هو الآن ذنب سبق منك لا أنت فيه فتستغفر منه .

وأما هنا فقد أثبت الشرك فلو استغفرت منه ألف مرة وهو مقيم فيك ما أفادك ذلك شيئاً بل يتعين عليك إزالته بأن تجدد توحيداً وإيماناً ، فإن التوبة من كل ذنب بحسب ذلك الذنب .

وفي قول الشيخ رضي الله عنه : « فكلما أخلصت تكشف لك وكلما وحدت تجدد لك » إشارة إلى أن هذا الكشف وهذا البيان يتجدد[1] بتجدد الإخلاص والتوحيد ويدوم الترقي فيهما بدوامهما ، وربما كان التوحيد كشفا لقوم وهو حجاب لقوم آخرين ، بل هو عندهم بعد فيحتاجون إلى الخروج عنه كما أشار إلى ذلك الإمام الهروي في آخر كتابه : « منازل السائرين » بقوله :

ما وحد الواحد من واحد	إذ كل من وحده جاحد
توحيد من ينطق عن نعته	عارية أبطلها الواحد
توحيده إياه توحيده	ونعت من ينعته لاحد

فإن توحيد الموحد يقتضي وجود موحِّد وموحَّد وتوحيد ، وهي ثلاثة أشياء ، في نفس كل موحد وإن كان يجهلها ، ومع التثليث أين التوحيد ؟ ونعت من ينعته إلحاد لأنه إنما نعته[2] بما فهم من نعوته الواردة عنه تعالى ، والذي فهمه منها بعيد عن حقيقة النعوت المقدسة إلى المعاني الحادثة التي فهمها ، والعدول عن ذلك إلحاد .

---

(١) « ب » يتجددان .
(٢) « ب » بنعته .

(وكلما خرجت) أي أعرضت (عنهم) أي عن جميع الأغيار ولم يقدم لهم ذكر لعدم إرادة غير مخصوصين ، وغلب جمعه المذكور على غيرهم لصعوبة الخروج عنهم بالنسبة إلى غيرهم لكمال الاحتياج إليهم في المهمات ، ومعنى هذا الخروج أن تجد نفسك خارجة بحقيقتها بمعرفة من خرجت عنه لأنه عنده صرف لابس ثوب الوجود استعارة لأجل تخيل(١) ذلك في الذهن وإنشائه بالحفظ فيه حجاب على الحقيقة(٢) (زادك) أي كثر نوراً وإشراقاً (إيمانك) أي تصديقك بالله تعالى وإذعانك له ، وذلك لأن التصديق بشيء يزداد إذا اقتصر النظر عليه ، وآيات الله تعالى في الآفاق وفي الأنفس إذا تفكر فيها المؤمن ازداد إيمانه فصار شهوداً للغيب ومعاينة له من وراء أستار الجلال والكبرياء ، قال تعالى : (ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم) فإيمانهم الأول كان تصديقاً والثاني شهوداً ولا شك أن الشهود زيادة على التصديق .

(وكلما خرجت) أي انفصلت (عنك) أي عن نفسك زيادة على خروجك عن سائر الأغيار فإن الخروج عن الغير يحتاج إلى مميز عن ذلك الغير وإلى خارج عنه ، والمميز والخارج هو النفس بلا شبهة فهي في مقام الغير ، وإن كان شهوداً ومعاينة فإن حجاب الغيب مسدول وستر العظمة لا يزول ، فإذا خرج عن نفسه أيضاً لا يبقى(٣) مميز ولا خارج فزال الحجاب وانقشع الستر والسحاب ، فعند ذلك (قوي) أي اشتد (يقينك) بالله تعالى حتى صرت عالماً ربانياً .

قال تعالى : (ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) . والرباني منسوب إلى الرب ، ولولا خروجه عن النفس ما نسب إلى الرب ، وغير الرباني النفساني وهو المنسوب إلى نفسه فيمده بها لا بربه ، يعني – في زعمه – وإلا فإن الكل قائمون بربهم ، والمراد باليقين سكون القلب إلى الله وعدم تحركه إليه

---

(١) « ب » وتخيل .
(٢) « ب » بالحفظ حجاب له على الحقيقة .
(٣) لا يبقى مميز .

محققاً ، والسعادة في الحضرة ... من الفناء فوق ، لأنه ذكر الخروج عنهم مع(١) الناس وهم الغيرون ، ... ، وذكر الخروج عن النفس مع الغير والنفس واحدة فيناسبها القوة .

ثم استشعر الشيخ رضي الله عنه بنوع تحصيل للسعادات في مرتبة المعرفة ترجع بنفس(٢) جميع الى الفرق فنبه عليه بقوله : (يا أسير) أي مأسور ... فعيل بمعنى مفعول ... (الشهوات) المباحة فضلا عن المحرمة ، وهي أنواع كثيرة ، شهوة مأكل ومشرب وملبس ومنكح ومسكن ومركب ومال وولد وبنين(٣) وجاه وخدم وعلم وتصنيف وغيره إلى غير ذلك ، وإنما كان أسيرها لميله إليها واشتغاله بها وزعمه أنها دون ربه ، وقدمها في الذكر لأنها أدنى مرتبة وأقوى مانع وأكثر وجود ، ولأنها تجري في جميع العوالم ، فإن قلت : الأنبياء عليهم السلام كانوا يستعملون الشهوات المباحة على اختلاف أنواعها ، فهذا سليمان عليه السلام قال : (رب هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي) ، فقد طلب حظا عظيما في الدنيا وحصل له ذلك ، قلت : استعمال الأنبياء عليهم السلام للشهوات استعمالا روحانيا(٤) فهي لذائذ لا شهوات ، واستعمال غيرهم لها استعمالا نفسانيا(٥) فلذلك سميت شهوات . وإذا كان الولي يصل إلى مرتبة فناء نفسه بروحه وتصير شهواته لذة روحانية ويعود شغله باطنيا لأجل غيبته ولأنه في الحقيقة ، فما ... بالأنبياء عليهم السلام وهم أكمل خلق الله تعالى؟ .

والحاصل أن الانهماك في الشهوات له روح وله نفس ، وتلك الشهوات التي انهمك فيها لها باطن ولها ظاهر ، فالروح تنهمك في الباطن والنفس تنهمك في الظاهر ، فإذا كان العبد ظاهريا محجوبا غافلا عن الباطن كان انهماكه انهماك شهوات نفس في أمر دنيء زائل وهو الظاهر ، وإذا كان العبد عارفا كان روحه منهمكة في أمر عظيم باق لا يفنى ،

(١) « ب » عنهم في .
(٢) « ب » به عين .
(٣) « ب » ودنيا .
(٤) « ب » استعمال روحاني .
(٥) « ب » استعمال نفساني .

وذلك الأمر النفسي عظيم من لازمه ذلك الظهور فلا بد منه ، ولهذا كانت الملائكة لا يزدادون ولا ينقصون في مقاماتهم لعدم معرفتهم بهذه الأمور العظيمة الباطنة[1] التي ظاهرها هذه الشهوات الجسمانية لأنها أسرار بين الله تعالى وبين الأرواح ، ولا تظهر للنفوس كما هي بل تظهر على خلاف ما هي عليه فهي مذمومة لذلك ، ومن لازم ظهور الأمر على خلاف ما هو عليه روايته وتناوله من حيث هو خلاف ما هو عليه (والعبادات) تنبيه لأنها أصرح في ذلك مما تقدم وهي جمع عبادة اسم لكل ما يتقرب به العبد إلى الله تعالى من أنواع الطاعات الظاهرة كأفعال الجوارح والباطنة كالإيمان والتوحيد والمعرفة وإنما كان أسيرها محجوبة لا لله تعالى ، وغير داخل لا إلى الله تعالى ، واشتغاله بها لا بالله تعالى ، بل هو غائب عن الله تعالى الذي هو غير غائب[2] عنه بعدم حيثه منه ، فالعبادات التي هذا شأنها عنده ذنوب له لا عبادات .

فإن قلت : كيف يصح هذا مع أن من العبادات معرفة الله تعالى وشهوده ، وفي ذلك لذة لا تعادلها لذة ، وهي المسماة بحلاوة الأنس والتوحيد فكيف تكون مذمومة ؟ قلت : هي لذة الروح لا لذة النفس ولذائذ الروح كلها محمودة لأنها مقصودة للروح من حيث ظهور الحق تعالى بها لا من حيث هي ، ولذائذ النفس كلها مذمومة لأنها مقصودة للنفس من حيث هي لا من حيث الحق تعالى الظاهر بها ، وإلى ذلك يشير الشيخ شرف الدين بن الفارض قدس الله سره بقوله :

فبي قبل نفسي الحسن مني بمنه أراكَ بها لي نَظْرةَ المُتَلفِّت
ومني على سمعي بلن إن منعت أن أراكَ فمِن قَبْلي لغيْريَ لذَّت

فهي لذة ان يراني موسى عليه السلام من حيث ظهور الحق تعالى له بها .

ثم أعقب ذلك بذكر ما يحتج على السالك من موانع الأحوال ، وبذلك صرح فيه بلفظ أسير حيث قال : (يا أسير) أي مأسور (المقامات) جمع مقام .

(١) « ب » الباطنية .
(٢) « ب » هو غائب .

كحمدات جمع حمدة وسجلات جمع سجل مجموع بلا عـ واتاه وان كان مذكراً

وهو الحالة المستمرة التي يدركها ... يجد بسببها في نفسه نشاطاً الى تلقي المدد من الحضرة القدسية ... فمن ذلك ، ولم يذكر الأحوال لانها فهمت بطريق الأولى ، وهي غير مستمرة بخلاف المقامات ، وانما كان أسيرها بوقوفه عندها لا عند ربه وطلبه لها لا لربه ، وتشغله بها لا بربه ، وهذا شأن من يطلبها من حيث هي مقامات لا من حيث ظهور الحق سبحانه وتعالى له فيها •

(والمكاشفات) جمع مكاشفة وهي بلوغ ما وراء حجاب العلم من المشاهدة الالهية احترازاً عن المكاشفة الصورية وهي كشف الصور مثل الاخبار بوقت قدوم الغائب[1] والاخبار بما وراء الجدار مما لم يشهد بالحس ونحو ذلك ، وتلك المكاشفة ليست في طريق الله تعالى بل هي قاطعة عنه ، ولذلك لم يختص بها ملة دون أخرى ، كذا حققه العارف التلمساني عفيف الدين قدس الله سره في شرح : « منازل السائرين » للهروي رحمه الله تعالى ، وانما كان أسيرها لانها من جملة الأغيار ، فالوقوف عندها قاطع عن الوصول إلى معرفة نور الأنوار • قال تعالى : (وإنَّ إلى ربِّكَ المنتهى) • ولا نهاية له تعالى فلا نهاية للمسير إليه ، فالعالم سائر من الأزل الى الأبد ، متقلب في الأطوار العلمية قبل الأطوار الوجودية • ومن كلام بعضهم : « لو رُفِعتْ إلى ذروة الأكوان ، وترقيت إلى حيث لا مكان ، ثم اغتررت بشيء طرفة عين فلست من أولي الألباب » •

ومما يحكى عن أبي الحسن النوري رضي الله تعالى عنه انه وقف ليلة كاملة بعد إحرامه بالصلاة على رؤوس اصابعه ، فسأله من حضره عن سبب ذلك ، فقال : طافت روحي السموات والأرضين واحدة واحدة وقيل لي هل أعجبك شيء في ملكي ؟ فقلت : لا ، فقال لي : أنت حينئذ عبدي حقاً •

وقال ابن الفارض رضي الله تعالى عنه :

قال لي : حُسنُ كُلِّ شَيء تجلَّى بي
تملَّى فقلتُ قَصْدي وراكـــا

(١) « ب » غائب •

من قوله تعالى (والله من ورائهم محيط) (أم ...) ... الاسير

... [illegible] الشهوات والعادات و... والمكاشفات المترتبة[1] على سبيل الترقي (مغرور) بسبب دخوله تحت اسر هذه الاغيار فلا يعد نفسه من جملة المقربين الاخيار ... ملتفت الى هذه الغير[2] محبوسا في حضرة القرب ومشتغلا عن مؤثرها ...

(أم ... مشتغل ...) اي محبوس بنفسه الظاهرة كالشهوات والحظية والعادات والمقامات والمكاشفات (عنه) اي عن[3] ... تريد القرب اليه والاقبال عليه وهو الله سبحانه وتعالى (أين الاشتغال) المعهود لك ، يعني اشتغالك ... (به) اي بالله تعالى (عنك) اي عن نفسك ، فضلا عن ... [illegible] ... الشهوات ولا عبادة ولا ... ولا مكاشفة ، ولا ... القصد الله تعالى وحده دون جميع ما عداه ... [illegible] ... كل ما سواه ثم ... كل ما سواه ، ... [illegible] ... تعالى ... وعرفت اليه تعالى ، لأن ... كله ... [illegible] ... الادب في دعوى ... على الله تعالى .

وقال ... [illegible] ... عن شيخه ابي العباس المرسي رضي الله تعالى عنه انه كان يقول : ... الوصول الى الله حتى ... عنه شهوة الوصول الى الله تعالى » .

ثم قال رضي الله تعالى عنه ... (وهو) اي من ... [illegible] ... (عن) عن ان يكون[4] ... [illegible] ... (وجل)

---

(١) « ب » المرتبة .

(٢) « ب » الى هذه الاغيار .

(٣) « ب » أي عن .

(٤) « ب » عز أن يكون .

(٥) « ن » وهو .

عن ان تكون صورة كصورة خلقه بجارحة : باصرة او حدقة ، وهو جليل عن ان يشتغل عنه احد (بصير) اي موجود رقيب بصير عالم حتى تفتر بصير (نَاظِرٌ) اي مبصر لكل ما لديه لا يخفى عليه شيء منها فكيف تشتغل عنه بنفسك ؟ .

ثم أكد ذلك بقوله (وهو معكم) ايها العباد المخلوقون بصفة القيومية الثابتة بذاته عليه لا اسم معه كما سبقه (أينما كنتم) اي وجدكم (في) عالم (الدنيا) اي وجودكم المخلوق فيها له نهاية (وفي) عالم (الآخرة) اي وجودكم المخلوق فيها لا نهاية له .

واعلم ان المعية صفة قديمة من صفات الحق تعالى وهي معيته[1] لكل مخلوق من جميع مخلوقاته بحيث لو لم يكن الحق تعالى مع ذلك المخلوق ، اي مخلوق كان ، لم يكن ذلك المخلوق ولا وجد ولا ظهرت له عين ، وحيث كان كل مخلوق في علم الخالق وعلم الخالق صفة من صفات الخالق فقد تصور الخالق من حيث صفته العلمية بصورة كل مخلوق لا من حيث ذاته ، ثم ظهرت صور المخلوقات التي في الصفة العلمية مترتبة على ما سبقت به الارادة الأزلية في العلم ، فلولا معيته تعالى بذاته وصفاته في حضرته العلمية لكل شيء ما كان وجد شيء ، فان كل شيء هالك من حيث هو شيء لا وجود مطلقاً الا وجهه تعالى ، وهو بوجهه تعالى متصوراً في حضرته العلمية بصورة ذلك الشيء المعدوم الذي لا يصح له وجود من نفسه ابداً ، فالله مع كل شيء بصورة ذلك الشيء وليس شيء مع الله تعالى مطلقاً .

فان قلت : كيف يتصور القديم المطلق في صورة مقيدة ولو في حضرة علمه ؟ قلت : تصوره في حضرة العلم امر من ضروريات العلم ولكن تصوره في مطلق عن الصورة ، لأن ذات المطلق عن الصورة في العلم عين العلم ، كما ان علمه تعالى بزيد مثلاً متضمن علمه بجميع ما يتصوره زيد في نفسه ، فما يتصوره زيد في نفسه يتصوره الحق بعلمه المطلق ولكن في ضمن العلم بزيد .

(١) « ب » معينة .

فاول ما يعلم الله تعالى هو نور محمد صلى الله عليه وسلم مطلقا عن جميع الصور، ثم علم جميع الصور منه فيه، فعلم الله تعالى مطلق عن جميع قيود الصور ومعلومه تعالى وهو نور محمد صلى الله عليه وسلم مطلق ايضا عن جميع قيود الصور من حيث هو معلومه تعالى، واما من حيث هو نور محمد صلى الله عليه وسلم فهو مقيد بجميع الصور ما كان منها وما يكون، ولهذا ورد في الحديث: «ان اول ما خلق الله تعالى نور النبي صلى الله عليه وسلم ثم خلق منه كل شيء» فما ثم الا الله تعالى متجلي على نور محمد صلى الله عليه وسلم، والصور حاثر فيه تعالى، وقد ألبسه الله تعالى حلة صفاته واسمائه فهو يصور هذا المتجلي عليه في صور لا نهاية لها[1]، ثم ينفيها عنه تعالى وهو حقيقة التسبيح الذي قال تعالى: (سبح له السموات السبع والارض ومن فيهن)، (وإن من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا)، فذكر تسبيحه هو معدوم وجوده فيما هو موجود وجود[2] عين ذلك الموجود، وهو نور محمد صلى الله عليه وسلم، ونور محمد صلى الله عليه وسلم المطلق كما ذكرناه معدوم وجوده تعالى المطلق في رتبة علمه تعالى به[3]، فهو الله في السموات وفي الارض، ولا سموات ولا ارض من حيث هي سموات وارض، بل الله الذي لا اله الا هو المنزه عن كل تشبيه وتكييف، المقدس عن كل تمثيل وتعريف وتوصيف، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

(فاذا كنت معه[4]) في وحدانيته انسلخت عن صور ما خلق تعالى في تفسيرات موجود معه سبحانه وتعالى، والا ففي حقيقة الامر لا وجود لك معه اصلا بل ما اظهره بك منه تسميه انت انت ذلك هو متصور بنور المطلق الذي علمه الله تعالى على اطلاقه ثم قيده بالصور، كما ان الصندوق والباب والكرسي هي ذات الخشب لا زائد عليها، والصندوق والباب والكرسي بعد زوال حقيقته الخشبية عدم صرف، فلا وجود الا

---

(١) «ب» لا نهاية له.

(٢) «ب» فيما هو وجود.

(٣) «ب» وهو نور محمد المطلق كما ذكرنا معدوم لوجوده تعالى المطلق في رتبه علمه تعالى به.

(٤) المؤلف: في متن رسالة التوحيد جاءت الجمله: فاذا كنت معه اما في الطبعه وفي المخطوط فقد وردت «فاذا كنت».

لمحتشب ان وحد الصندوق والمت والكرسي وإن لم يوجد • ولا نص حيث ذكره لك هذا الامام ان الحق تعالى لعلم كحتشب بهذه الاشياء المصنوعة بل بنور محمد صلى الله عليه وسلم كذلك • فاذا وصلت الى الحقيقة المحمدية وصلت الى الحق فلا تحتاج احدا علمك حينئذ (حجبتك) اي سر حقيقتك المصورة من النور المحمدي بالتوجه القديم التي هي حقيقة القديم من حيث حضرته العلمية كما ذكر (عنك) فصار عقلك محجوبا زائغا بانه ذهب في معرفته كل مذهب ولا يهتدي اليه تعالى مع انه معك وهو اقرب اليك منك (واذا كنت) اي وجدت (معك) اي مع حقيقتك المصورة من النور المحمدي بالتوجه القديم التي هي حقيقة القديم من حيث حضرته العلمية ، كما يشير الى ذلك قوله تعالى : (فمنِ اهتدى فإنما يهتدِي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها) • وفي الحديث : « منْ عرَف نَفْسه فقدْ عرَف ربهُ » • وقال تعالى : (أفمن هوَ قائمٌ على كلِّ نَفْسٍ بما كسبَتْ) •

(إستعبدك) اي جعلك عبداً (له) تعالى ولا تركك معك في حقيقته العلمية لانه تعطيل لمقام العبودية فانت حينئذ عبد صرف ورب صرف وهو مقام محمدي شريف • قال تعالى : (سبْحان الذي اسْرى بعبْدِه) • وقال تعالى : (وإنهُ لما قام عبْدُ الله يدْعوهُ) • ولله در القائل :

لا تدعني الا بيا عبدها   فانه أشرف اسمائي

ويمكن ان نقول في معنى هذا الكلام كله : « اذا كنت معه بان كنت ناظراً اليه تعالى مشتغلا به تعالى عن نفسك حجبك عن نفسك فلا تجد نفسك معه تعالى وبقي هو تعالى ولا انت وهذا مقام الجمع •

واذا كنت معك اي مع نفسك لا معه تعالى بل كنت معرضا عنه تعالى مشتغلا بنفسك عن الاشتغال به وهو مقام الفرق استعبدك له اي جعلك عبداً له تعالى واتعبك بانواع التكاليف الشاقة » •

ثم اخذ الشيخ رضي الله عنه بين الايمان واليقين حيث وقعا في كلامه السابق فقال : (الايمَانُ) اي التصديق الكامل بالله تعالى والاذعان له والانقياد اليه على اتم الوجوه انما هو (خُروجكَ) ايها المريد اي اعراضك بالكلية إعراضاً وجدانياً لا تخيلياً لان النفس تخيل للعبد ما ليس موجوداً فيه انه موجود فيه ويكون على خلاف ذلك، وعلامة صدقها أن لا تجد في البصيرة غير وجود الحق سبحانه وتعالى (عَنهُمْ) اي عن جميع الاغيار وعلى جماعة المذكور كما ذكرنا فيما سبق ، وانما كان الايمان الكامل خروجك عن جميع الاغيار لأن التصديق بالحقيقة الظاهرة بصور جميع الاغيار باعتبار الحضرة العلمية كما ذكرنا لا يمكن على ما هي عليه الا بعد ذهاب ما التبست به من جميع صور الاغيار ، فاذا انمحت عن عين بصيرتك كل الصور وظهرت لك الحقيقة على ما هي عليه فوجد[1] الايمان بهذا حينئذ كما قال الشيخ عبد الهادي[2] السودي اليمني قدس الله سره العزيز :

لو تخلت عنهم ظُلَمُ[3] وانمحوا عن عالم الصور
شاهدوا معناك منبسطاً سرياً في سائر الفطر
ودروا ان الحجاب هم عن جمال المنظر النضر
وقضى يعقوب حاجته وانتهى زيد الى الوطر

(واليَقينُ) بالله تعالى هو سكون القلب الى الشيء واطمئنانه به حتى لا يبقى في القلب حركة الى سواه بالكلية (خُروجكَ) ايها المريد اي اعراضك اعراضاً وجدانياً كما ذكرنا (عنكَ) اي عن نفسك زيادة على خروجك عن جميع الاغيار بحيث ينمحي تعين وجودك من عين بصيرتك ويجد الحق ظاهراً للحق لا لك لانك معدوم وهو موجود .

وهذا اليقين له ثلاث مراتب : مرتبة علم اليقين وهي فهمك لما ذكر في تعريف

(١) « ب » فوجدت .
(٢) « ب » عبد الوهاب .
(٣) « ب » لو تلاشت عنهم الظلم .

اليقين والاطلاع على دليل صحته ذلك من الكتاب والسنة حتى لا يبقى عنده شبهة في صحته وصدقه • ومرتبة عين اليقين وهي وجدان ذلك في نفسك وشهوده فإن في ذوقك به بحيث تستغني عن حكايته وعن الاستدلال على صحته • ومرتبة حق اليقين وهي ان تجد ذلك فيك وتجد فهمك لذلك في عين وجدانك له ، وتنمحي وجودك مع الحق تعالى في عين وجودك الحادث فترجع الى ذلك في عين فهمك لذلك • وفوق ذلك مراتب اخرى اكثر من هذه •

ثم شرع في بيان مراتب الاحسان واليقين بطريق الاجمال فقال(1) : (إذا زاد) اي قوي واشتد (ايمانك) المذكور الذي هو خروجك عن الاغيار في وجود الواحد القهار (نقلت) ايها السالك اي نقلك الحق تعالى وتم من ايمانك اذ لا مدخل للنفس في ذلك (من حال) وهو الاستغراق فيه من مشهد اقرب الى الله تعالى (إلى حال) آخر اعلى منه • وذلك بان ينقل من حال شهودك الاغيار احكام(2) الواحد القهار ، الى حال شهودك جميع ذلك افعاله الصادرة عنه بالارادة والاختيار ، ومنه الى شهودك كل ذلك اسماءه الحسنى المسمى بها من غير انحصار ، ثم منه الى شهودك ذلك صفاته تعالى مشرقة الانوار ، ثم منه الى شهودك ذلك ذاته سبحانه وتعالى العلية المنزهة المعظمة الاسرار حتى تصل الى رتبة اليقين فوق رتبة الايمان المتين فترقى الى مقامات عالية ، ومراتب رفيعة سامية وذلك قوله : (وإذا زاد) اي قوى واشتد (يقينك) المذكور الذي هو خروجك عنك بعد خروجك عن جميع الاغيار (نقلت) اي نقلك الحق تعالى بلطفه (من مقام) وقد سبق تعريفه ، والمراد رتبة من مراتب اليقين (إلى مقام) ارقى منه •

فمن رتبة علم علم اليقين الى رتبة عين علم اليقين الى رتبة حق علم اليقين ثم الى رتبة علم عين اليقين الى رتبة عين عين اليقين الى رتبة حق عين اليقين ثم الى رتبة علم حق

(١) « ب » الاجمال وهي ان تجد ذلك فيك وتجد فهمك لذلك في عين وجدانك له وينمحي وجودك مع الحق تعالى في عين وجودك الاجمالي فقال •
(٢) « ب » شهودك الاغيار الى احكام •

اليقين الى رتبة عين حق اليقين الى رتبة حق حق اليقين ثم رتبة حقيقة حق اليقين كذلك • وهكذا في مراتب اخرى غيبية ومعارج سنية ، وتفصيل هذه المقامات وبيانها لا يليق بهذا المختصر •

(الشريعة) المحمدية وغيرها في حق كل امة ، كذلك قبل النسخ ، وهي البيان الالهي المستفاد من الوسائط الناطقين عنه على المقتضى لمتثل امره على فعلاً او تركاً قطعاً او ظناً او تخييراً ، والمختص بذلك كل مكلف لجميع الاحوال ، وظهور الفرق بين الهدى والضلال (جعلناك بيك) ايها العبد المكلف اي انت المختص بها جميعها ايماناً واستعمالاً (حتى تطيعه) سبحانه وتعالى بحسناتك واقوالك واعمالك فيكون هو مقصودك من ثوابك على ما تصدر منك من طاعته الباطنة والظاهرة •

وتقطع نظرك عن طلب غيره من ثواب الآخرة او الدنيا (منة به تعالى) يعني لا تطلبه من غيره فان غيره لا يوصلك اليه لانه عاجز عنه مثلك والعاجز لا يقدر على ايصال نفسه ما لم يوصله هو تعالى اليه فكيف يوصل غيره ، وقد قال تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم مع انه افضل الخلق عنده : (إنَّكَ لا تَهدِي مَن أحبَبتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَشاءُ) • وقال تعالى له ايضاً : (لَيسَ لَكَ مِنَ الأمرِ شَيءٌ) فمن دونه بالفضيلة اولى ان لا يهدي من احب وان لا يكون له من الامر شيء ، واما قوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم : (وإنَّكَ لَتَهدِي إلى صِراطٍ مُستَقيمٍ) فمبني على خطاب الله تعالى له صلى الله عليه وسلم ، وهو في مقام التحقق ارادته ومحبته وجميع صفاته في ارادة الحق تعالى ، ومحبته وجميع صفاته كما قال تعالى عنه في هذا المقام : (مَن يُطِعِ الرَّسولَ فَقَدْ أطاعَ اللهَ) واما آية : (إنَّكَ لا تَهدِي مَن أحبَبْتَ) فقد خاطبه تعالى بها ، وهو في مقام الفرق الذي قال عنه صلى الله عليه وسلم : « إنَّهُ لَيُغانُ على قَلْبي وإني لأستَغفِرُ اللهَ في اليومِ سَبْعينَ مرةً » •

ومقام الفرق يقتضي الفرق وثبوت النفس بالحق تعالى ، وغير الله تعالى لا يوصل اليه تعالى ما لم يكن الله تعالى هو الموصل وحده وسواء كان الغير مرشداً كاملاً من بني آدم او من غيرهم •

[illegible] ([illegible]) [illegible]
[illegible] عبادة [illegible] والاعتقاد
[illegible] ([illegible]) [illegible] والزور في
[illegible] ولا استعانة [illegible]
[illegible] الا من عند [illegible]
[illegible][2] [illegible] الآخرة او مجازاة من [illegible] عليه
[illegible] والشرعة [illegible] الاحي كما [illegible]
مشتقة من الشرع وهو [illegible] (شرع لكم من الدين) اي بين
واظهر[3] [illegible] في اعراضه التي
[illegible] موصوف بها [illegible]
[illegible] ولا على الصفات
بها [illegible] مصفاً بها [illegible] جميعها من هذا القبيل
وان [illegible] على [illegible]
وعلى [illegible] من حين
خلقه [illegible] واحتمل
[illegible]
[illegible] لدعوى بحدوث امر
او الامتناع من امر .

وان [illegible] الحدوث [illegible] وارادت
الحدوث [illegible] بالحدوث [illegible] الاعراض
لا تأثير له في شيء من اعمالك .

(١) « ب » عبادة .
(٢) « ب » عبادتك له ولا لاجل غيره .
(٣) « ب » بين لكم واظهر .

قال الله تعالى : (لا يَقْدِرُونَ على شيءٍ مِمَّا كَسَبُوا) وانما وجوده فلك يرتفع عنك اسم المجبور ويصح نسبة القدرة اليك المختار لان لك قدرة وارادة واختيارا وان كانت قدرتك وارادتك واختيارك لا تأثير لشيء منها مطلقاً فصدر الخير من افعالك بسبب انه مرضي لله تعالى بطريق الاحسان الروحاني ، والشر منها انه غير مرضي له تعالى احسانا ايضا روحانيا ، موافقا لكتاب الله وسنة رسوله وصدر محجوبا قبل ثم كل محجوب فحينئذ انت قائم تأمر الله تعالى على بصيرة منه ، والله تعالى لا يأمر بالفحشاء ولا بالمنكر تلبس في افعالك فحشاء ولا منكر بل جميعها طاعات لله تعالى حتى ترجع الى غيبك فتقوم به وتغفل عن قدمك تأمر الله تعالى على بصيرة فتعود الى فحشائك ومنكرك ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم .

(والحقيقة) اي حقيقة الشريعة هي حقيقة الامر الالهي على ما هو عليه لا على حسب فهم القاصرين عنه ، فلا فرق بينها وبين الشريعة الا بحسب كمال الفهم وقصوره ، وكمال الفهم انه يحصل للعبد من ربه بلا واسطة او قصور الفهم يحصل للعبد من ربه بواسطة اعتماد العبد على نفسه واتكاله عليها بتقدير الله تعالى عليه ذلك ، فالله يضل من يشاء بنفس من يشاء ، ويهدي من يشاء به تعالى لا بنفس ولا غيره ، والنفس قائمة به تعالى ، فاذا اضل به كان هو المضل بلا واسطة الا انه تعالى اوجد مدخلية(١) في ذلك العبد الذي اراد ان يضله اعتبار مدخلية نفسه واستقلالها، فعامله تعالى بما فيه فاعطى خلقه ثم هداه الى خلقه ذلك كما قال تعالى : (أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) ، والهداية تستعمل في الضلال ايضاً ، قال تعالى : (فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ) فهي في هذه الآية مطلقة في الخير والشر لمناسبة كل شيء .

(له) اي الحقيقة له سبحانه وتعالى وحده لا شريك له فيها مشارك ولا منازع منازع لان بيانه الحقيقي مختص به لا يعلم احد على ما هو عليه غيره تعالى ، كما قال

---

(١) « ب » أوجد في ذلك العبد .

تعالى : (إن الدين عند الله الإسلام) . ولكن الدين الإسلام عند الله لا يعلمه أحد غير من هو عنده لا غيره . وبهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين . أي يفهمه إياه لا يفهمه غيره تعالى ، لأن الدين عنده لا عند غيره حتى يفهمه ذلك الغير .

ودعا النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنه فقال : اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل . . . ولو كان النبي صلى الله عليه وسلم الذي هو عبد مخلوق فضله الله تعالى على جميع العباد يقدر أن يفقه أحداً في الدين الذي عند الله ما قال : « اللهم فقهه في الدين » كما لم يقل : « اللهم بلغ عني أمرك ونهيك » بل بلغهم هو ذلك ، والله تعالى لا يفقه أحداً في الدين حتى يصير ذلك العبد عنده تعالى كما قال : (إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته) . وقال تعالى : (إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر) . وما دام العبد عند نفسه لا عند ربه ، فجميع فهمه في الدين قاصر ، ومن قصوره عن فهم من هو عند ربه يظن أن ما فهمه هو وأمثاله من الدين الإلهي شريعة وما فهمه من هو عند الله حقيقة ، ولا يدري أن التفاوت الظاهر بينهما كالتفاوت بين الخطأ والصواب ، ولكن طلبه ذلك فاسد والدين الإلهي واحد ، ولكن الصواب ليس كالخطأ ، ولهذا ورد أن من اجتهد وأخطأ فله أجر واحد ومن اجتهد فأصاب فله أجران ، فمن كانوا عند نفوسهم اجتهدوا كلهم وأخطأوا فلهم أجر واحد ، قال تعالى : (لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها) أي من ذلك الفهم القاصر في الدين الإلهي ، وقال تعالى في آية أخرى : (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) ، أي بحسب قصورها أي لأنها نفس فهي قاصرة ضعيفة ، وقال تعالى : (ورهبانية ابتدعوها) ، يعني بفهمهم دينا على خلاف ما هو عليه عندنا ، ثم قال تعالى : (ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله) ، يعني ما جعلناها مفروضة عليهم واعتبرناها منهم إلا لأنهم طلبوا بها مرضاة الله تعالى أي رضاه عنهم وهم قاصرون لأنهم عند نفوسهم ، فعذرنا ما عليهم ، فأثبتوا بها في

وبعضهم من أخطأ فله أجر واحد ، وهو ابتغاء مرضاة الله تعالى لا غير فهو من أنه خطأ ، والخطأ لا أجر له ، ومن كانوا عند ربهم اجتهدوا أيضا وأصابوا كلهم فلهم أجران : أجر الاجتهاد طلب مرضاة الله تعالى وأجر الصواب الذي أفهمهم إياه من هم عنده وهو الله تعالى .

فاجتهاد الفريق الأول يسمى عندهم شريعة وهي معتبرة عند الله تعالى وقد كلفهم الله تعالى بها ، واجتهاد الفريق الثاني يسمى حقيقة عند الفريق الأول ويسمى عند الفريق الثاني شريعة وحقيقة ، وقد كلفهم الله تعالى بها ، ولهذا قال : (حتى تطلبها) أي الحقيقة بالله تعالى حتى تطلب الله تعالى طلب ذوق ووجدان لا فهم تخيل[1] وهو معنى كون ذلك الطلب (به) أي بالله سبحانه وتعالى لا بعقلك ولا بحولك ولا بقوتك فإن العقل ليس في وسعه من الطلب غير الوجه بحولها وقوتها ، وحولها وقوتها لا يقتضيان[2] إلا فهم المطلوب وتخيله لا ذوقه ووجدانه ، والذوق والوجدان لا يوصل إليهما إلا الله تعالى الذي لا حول ولا قوة لأحد إلا به ، فإذا ترك العبد حوله وقوته اللذين به تعالى وطلب[3] به تعالى وحده لا بواسطة غيره وجد مطلوبه ووافى محبوبه .

(له) أي الطلب لأجل الله تعالى لا لأجل نفسك لتحصيل نعيمها أو اتخاذ من حظوظها أو للترقي في المقامات العلية والعروج في المراتب السنية فإن ذلك كله قواطع وموانع كما سبق (عنه) أي امتنع عن الطلب بغيره على أنه لا مؤثر غيره مطلقاً ، فكل طالب إنما يطلب به تعالى ، ولكن إما أن يعرف ذلك فيكون طلبه به تعالى ، أو لا يعرف ذلك ويحجبه ظلمة نفسه وكدورة طبعه فلا يكون طلبه به تعالى بل بنفسه ـ في زعمه ـ فيعامله الله تعالى[4] ـ بزعمه ـ ويحكم عليه بمقتضى علمه وعلى حسب حكمه كما قال النبي عليه السلام : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى » (وحل) أي عقيم عن كون الطلب لأجل غيره تعالى مطلقاً ، إذ كل طالب لأجل غرض مستتر

(١) « ب » (حتى تطلبها) أي الحقيقة بالله تعالى طلبة ذوقية لا فهما تخييليا .
(٢) « ب » بحولها وقوتها وهما لا يقتضيان .
(٣) « ب » فإذا ترك العبد حوله وقوته اللذين له تعالى وطلبه .
(٤) « ب » فيعامل الله تعالى .

ان عرفه ... احتجب عنه [illegible] .

فمقصوده هو ان ... [illegible] ... ان عرف ذلك فيكون عنده ... تعالى ولا عرف فيكون عنده لاحد غيره تعالى – في زعمه – .

... في الموضعين ... مطلوب ... على مشابهة كل مطلوب [illegible] سواء ... [illegible] ... الا كل شيء ... الله بعض . فقال (حينئذ) ... (لا حين) اي لا ... من موجود منها من ... في هذا وجود التقدم والتاخير يسمى بالساعة واليوم والليلة والاسبوع والشهر والسنة والقرن والحقب والدهر ، وترتيب الكائنات بالتقدم والتاخر ليس ... في حضرة علمه تعالى ولا في حضرة ... ، وانما هي موجودة في هاتين الحضرتين وجودا واحدا جمعا محيطا بها احاطة واحدة ، ثم في ظهورها عن هاتين الحضرتين تظهر مرتبة بتقدم بعضها على بعض ، وتاخر بعضها عن بعض ، على حسب ما تقتضيه الارادة الازلية .

فكون شيء اظهر منها اسبق في القرب الى الله تعالى من جميع[1] ... ، وبعضها اقرب الى بعض من بعض وابعد كذلك فلا يتصور ان يكون شيء من الاشياء مع الله على زمان ، فكيف يكون معه على ... ، ولا يتصور ان يكون لاول شيء ظهر من الكائنات زمان فكيف يكون معه على زمان ؟ ولا يتصور ان يكون للرحمن زمان فكيف يكون معه على زمان ؟ .

(ولا بين) اي لا ... هو الامر الموجود ... من رائحة الكائنات بعضها على بعض ، ... بعضها بعض ، ... لا خلاء موجود بين الكل ... الارض ... ، وبعضها ... بالهواء ... ، والهواء لاصق ... ، ... لاصق ... ، وجميع الافلاك والامكنة العلوية لاصق بعضها ببعض الى الكرسي والعرش ، والكرسي لاصق بالعرش ، ... سائر الكواكب والمواليد الارضية لاصق بعضها بالارض وبعضها بالماء وبعضها بالهواء وبعضها ... ، وجميع

(١) « ب » في القرب الى الله تعالى جميع .

الكائنات علوه وسفليه متراكم بعضه على بعض وتراكم اجزاء الشيء الواحد بعضها في بعض(١) ، ثم ان الشيء الاسفل يسمى مكانا للشيء الاعلى منه ، والاشياء المحيطة بالشيء الواحد تسمى حيزا لذلك الشيء الواحد ، وهكذا في كل شيء ، ومجموع الكائنات كلها لا مكان لها ولا حيز ، فكيف الله تعالى يكون له مكان او حيز ؟ .

ثم شرع في بيان الشريعة والحقيقة حيث ذكرهما فقال معطوفا بالفاء (فالشريعة) المذكورة فيما سبق والمطلوب معرفتها انها تسمى شريعة ، وسميت بذلك لانها اذا عطشت الامة ترد اليها فترتوي منها (حدود) أي مقادير قدرها الشارع لمصلحة العباد الدنيوية والاخروية ورتبها على اسباب محصورة كالحد بشرب الخمر والزنا والسرقة ونحو ذلك ، او غير محصورة كالصلاة والزكاة والصوم والحج واوقاتها وما اشبه ذلك (وجهات) أي اعتبارات ، وهي اما جهات الفعل كالفرض والواجب والنفل والصحة ، واما جهات الترك كالحرام والمكروه والبطلان ونحو ذلك (والحقيقة) التي تقدم ذكرها وحقيقة الشيء في الاصل ماهيته التي هو بها ثابت في نفسه لا يتيسر علم العلم بها ، فان العالم به ما علم منه الا مقدار قوة عقله وحقيقته ، فقد علم استعداده لا حقيقة ذلك الشيء بل وما حقيقة ذلك الشيء الا(٢) مقام المرآة التي رأى فيها مقدار استعداده ، وبعضه من العلم به مقدار صورة ذلك الاستعداد الذي فيه غير هذا لا يكون ابدا ، والعلم بحقيقة شيء من الاشياء لا يكون ابدا الا بطريق الاتحاد مع ذلك الشيء في ماهيته لا من حيث ذاته هو بها في نفسه فانه قد يعلمها على حسب استعداده ايضا ، فيكون كعلم غيره بها ، بل من حيث ماهيته المنبه له في الوجود المميزة عن غيرها بعوارضها بل يرجع الى اصلك واصلها ، ثم ينزل عنها من حيث اصلها الذي هو اصلك فتتحد بها فتعلمها على حسب ما هي عليه علما لا تعلمه هي بنفسها عنها فهذه الحالة هي الحقيقة عند علماء الحقيقة .

(١) « ب » بعضه على بعض .
(٢) « ب » الشيء كله .

وهذا قال (لا حد) أي للحقيقة ، لأن الحدود قيود تضبط الحقيقة كلها ، والحد بالقيود ليس علماً بالحقيقة بل العلم بالحقيقة مطلق عن القيود ، والمطلق عن القيود لا حدود له فلا حد للحقيقة (ولا جهة) لها أيضاً لأن الجهات اعتبارات الماهيات المقيدة والعلم بالاعتبارات ليس هو علماً بالحقيقة بل علم الحقيقة مطلق عن جميع الاعتبارات فلا جهة للحقيقة .

ثم شرع في ذكر تفضيل الحقيقة على الشريعة فقال (القائم) أي الموجود الثابت (بالشريعة) المحمدية المذكورة ، والمراد المدرك مواضع قيود أحكامها منه ومن غيره ، العامل بها فعلاً وتركاً عن علم وحضور (فقط) أي دون الحقيقة (مخلص) أي لله تعالى (علمه ومجاهدته) التي هي علمه وعمله ، لأنه مع نفسه حيث هو في رتبة[1] الشرك الخفي ، فمجاهدة نفسه من الله هو عليه وفضل حيث سلم بها من الشرك فهي مجاهدة نفسه من الشرك الخفي .

قال تعالى : (ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين) فهي مرتبة[2] نفسية له ، وبهذا تفضل الله تعالى عليه به (والقائم) أي الموجود الثابت (بالحقيقة) الشرعية[3] المذكورة ، هي مدرك للأمر الإلهي الذي قامت به السموات والأرض وما فيهما على ما هو عليه إدراكاً غيبياً بعلم لدني منه لا منه ، ولم يقل فقط كما قال في الشريعة ، لأن الحقيقة لا يمكن أن تكون بلا شريعة أبداً بخلاف الشريعة[4] وبهذا خرج أن قوله فقط في الشريعة وما يحتاج إليه في الحقيقة (مخلص) الله تعالى (علمه بربه) التي هي معرفة أمر الله الذي قام به كل شيء وهو[5] الحقيقة .

---

(١) « ب » مرتبة .
(٢) « ب » مرتبة .
(٣) « ب » بالحقيقة اي الحقيقة الشرعيه .
(٤) « ب » بخلاف الشريعه تكون بلا حقيقه .
(٥) « ب » هي .

والخلق [illegible] الأول يدعى

عالم الأمر وهو واحد ، كما قال تعالى : (وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر)

ومعرفته تسمى عند الحقيقة ، والثاني يسمى عالم الخلق وهو كثير كما قال تعالى :

([illegible] لعلكم [illegible]) . ومعرفته تسمى عند الشريعة ، والمراد بمعرفته معرفة

[illegible] ، وهي معرفة [illegible] لا تعرف بالعقل والحس ، وكلا العالمين

[illegible] (الا له الخلق والامر) وقال : (وله ملكوت السموات

والارض) وقال ([illegible] في السموات وما في الارض) وقال نبيه صلى الله

عليه وسلم : ([illegible] من الأمر شيء) ، والحقيقة والشريعة [illegible]

[illegible] ، وهما [illegible] ليس الا الامر والخلق واحد ، وان

[illegible] الامر [illegible] الخلق [illegible] الامر ، والامر [illegible] الخلق ، وكل شيء

في الخلق هو صورة امر واحد ، وقد [illegible] الامر وكثرت صورة [illegible]

[illegible] صورة من صور الخلق [illegible] الامر [illegible] الامر به ، فاذا كان

صورة [illegible] الامر [illegible] الامر في نفسه عن تلك

الصورة الاولى [illegible] الصورة الاولى ، وصورة ايضا

عن [illegible] الاولى التي هي مصادرة بها ، وهكذا في جميع

صور العالم كله : العالم العلوي والعالم السفلي .

[illegible] الامر [illegible] ، وهو في حقيقته [illegible] كما قال تعالى

(تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن ، وان من شيء الا

يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) والتسبيح هو اسريه ،

[illegible] شيء [illegible] كل شيء الذي كنى

عنه تعالى بقوله : (انما أمره لشيء اذا اراده ان يقول له كن فيكون)

وانما [illegible] كل شيء [illegible] ولكن لا يفقه الناس سريه كل

شيء ، [illegible] شيء [illegible] لا [illegible] عن ذلك الشيء ، فالتشبيه [illegible]

[illegible] لا ينفعه [illegible] الا الاسم [illegible] ، واما غيره من العصر من فيتفاضل بعضهم على بعض (١) ولعل بعضهم [illegible] ، وهو يرى [illegible] منهم [illegible] الشريعة لكمال [illegible] ، وهو يرى ما يعملون .

قال صلى الله عليه وسلم : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى » [illegible] ، والعلم الحقيقي هو الذي امر الله تعالى نبيه عليه السلام ان يطلب الزيادة منه بقوله : (وقل رب زدني علماً) اي علماً بك ، اذ العلم بغيره راجع في حقيقته الى العلم به ، باعتبار ان كل شيء هو صورة ذلك الامر الواحد كما ذكرنا ، ولا اعتداد بعلم الشيء من حيث ظهوره فقط من غير معرفة كنه ذات ذلك الشيء بل هذا العلم بهذه الطريقة القاصرة ليس بعلم أصلاً كما قال تعالى : (والله يعلم وانتم لا تعلمون) . مع ان علم الناس في هذا العصر الذي هو علم الاشياء من حيث ظهورها فقط كما قال تعالى : (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) . فنفى الله تعالى ان يكون هذا علماً ، فتعين ان يكون امره لنبيه عليه السلام بطلب الزيادة من العلم هو امره بالعلم به تعالى ، وهو علم الحقيقة كما ذكرنا .

واما علم الشريعة فلم يأمر الله تعالى نبيه عليه السلام بطلب الزيادة منه ، بل كان النبي صلى الله عليه وسلم ينهى اصحابه رضي الله عنهم عن كثرة سؤالهم عنه ، ويقول لهم : « اتركوني ما تركتكم » ، ولما نزل قوله : (ولله على الناس حج البيت) سأل الاقرع بن حابس النبي عليه السلام : « أفي كل عام يا رسول الله ؟ » ، فلامه بقية الصحابة رضي الله عنهم على سؤاله هذا مخافة ان ينزل انه في كل عام مع ان سؤاله في علم الشريعة ، وقد انزل الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم حين كانت الصحابة رضي الله عنهم يكثرون السؤال عن احكام الشريعة : (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم — الآية —) .

(١) « ب » بعضهم .

قال البيضاوي رحمه الله تعالى : روي انه لما نزلت الآية : (ولله على الناس حجّ البيْت) قال سُراقة بن مالك : أكلَّ عام ؟ فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أعاد ثلاثا ، فقال : لا ... ولو قلتُ نعم لوجبتْ ولو وجبتْ لما استطعتم فاتركوني ما تركتكم فنزلت الآية (يا أيها الذين آمَنوا لا تَسألوا عن أشياءَ .. الخ .) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم كان يخطب ذات يوم ، غضبان من كثرة ما يسألون عنه مما لا يعنيهم فقال : انا لا أُسأل عن شيء إلا أجبت[1] ، فقال رجل : اين انا ؟ فقال في النار ، وقال آخر من أبي ؟ فقال : حذافه : وكان يدعى لغير ابيه[2] فنزلت[3] : (يا ايها الّذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء = الآية =) انتهى .

والحاصل ان مسائل علم الشريعة انما كانت واقعة حال يجب السؤال عنها ويجب تعلمها[4] كما قال الفقهاء : « ان من اراد البيع والشراء يجب عليه تعلم كتاب البيوع وان من اراد النكاح يجب عليه تعلم كتابه ، ومثل هذا الطهارة والصلاة والصوم والزكاة والحج ونحو ذلك ، وما زاد على ذلك مما لا حاجة له اليه في ذلك الوقت لا يجب عليه تعلمه ولا السؤال عنه بل امر الله تعالى بالسؤال عنه الا في وقت الاحتياج اليه للعمل . لا لعلمه فقط من غير عمل » .

فالمراد من علم الشريعة ليس مطلوبه تحقيق المراد من علم الحقيقة ، فان عند كلمة الارشاد عنه دلالة على [illegible] وحشته وهيبته وعظمته وقرب اليه

(١) « ب » كان يخطب ذات يوم غضباناً من كثره ما يسالونه عنه ما لا يعنيهم . فلما اكثروا عليه غضب ثم قال للناس : سلوني عما شئتم فلا أسأل عن شيء الا اجبت .
(٢) « ب » وقال آخر من ابي ؟ فقال حذافه : فقام آخر فقال من أبي ؟ قال : ابوك سالم مولى شيبة وكان يدعى لغير ابيه .
(٣) « ب » فلما راى عمر رضى الله عنه ما في وجهه فقال يا رسول الله انا لنتوب الى الله تعالى عز وجل فنزلت .
(٤) « ب » تعليمها .

معنى ، تركوا عمله وكثر ثوابه ويزداد مرتبه وترتفع رتبته عند الله تعالى .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : " ركعتان من عالم بالله أفضل من ألف ركعة من جاهل به " ، وأما علم الشريعة بنفسه فمن ازداد منه من غير عمل به ازداد حجبا عنه من الله تعالى وازداد شرفا وبعدا عن الله تعالى وازداد كبرا في نفسه وافتخارا على الناس وعجبا بنفسه وتدللا على غيره بماله من عمله الظاهر وعلمه الذي لا عمل له به . فإن قيل : كلامنا مع غير العامل بعلمه بل مع العامل به ، قلت : نحن كلامنا في علم الشريعة فقط من غير معرفة علم الحقيقة ، فإن صاحب علم الشريعة من غير حقيقة غير عامل بعلمه لأنه مشرك شركا خفيا ، ولا شرك في الشريعة[1] مطلقا ، وهو لا يعرف غير أحكام الله تعالى التي حكم بها على كل شيء ، وأما معرفة الله تعالى التي تزيل عنه الشرك الخفي ، وبحقائق الأشياء على ما هي عليه ، فلا يعرف ذلك إلا كما يعرف العامة من أهل الأسواق وغيرهم ولا يعرف نفسه أيضا على ما هي عليه ، إذ لو عرفها لعرف ربه ويعرف كل شيء ، ويشهد الله تعالى في كل شيء كما كان يقول بعضهم: " ما رأيت شيئا إلا رأيت الله فيه " ومعلوم أن رؤية الله تعالى عند هذا القائل من غير تشبيه ولا تكييف ، وكيف يعد هذا الفقيه الذي هو والعامة سواء في معرفة الله تعالى غير أنه خير عن العامة بمعرفة أحكام الله تعالى التي حكم بها على كل شيء من غير زيادة معرفة بالحاكم ، ولا لكل شيء أن يرى الله تعالى في كل شيء مع التنزيه التام إلا بطريق الاستدلال كرؤية العميان ، مع أن الله تعالى هو الظاهر على ما هو عليه من غير تغيير ، ومع ذلك هو الباطن فلا يحيطون به علما ولا يدركونه فهما ولي من النظم في هذا المعنى :

قد بالغ في الظهور والكتمان ... حتى حارت به أولوا العرفان[2]
والسر على التحقيق كالإعلان[3] ... قد أودعه في هذه الأكوان[4]

(وشتان) أي بعد وعدم تساوي (ما بين المجاهدة) التي هي

(١) « ب » الحقيقة .
(٢) « ب » حتى لقد حارت اولو العرفان .
(٣) « ب » والسر في التحقيق كالاعلان .
(٤) « ب » اودعه في هذه الاكوان .

[illegible] على [illegible]
بالشريعة فقط كما ذكرنا .

([illegible]) التي هي [illegible] والتفصيلية [illegible] به من [illegible]
على من [illegible]
[illegible]
[illegible] على [illegible] .

[illegible] رضي الله عنه [illegible] ([illegible]
[illegible]) [illegible] الله [illegible]
[illegible] ([illegible]) [illegible] في [illegible]
[illegible] فالله [illegible]
عنده واحد من هذه الثلاثة .

[illegible] ([illegible]) [illegible]
[illegible] في [illegible] من [illegible]
[illegible] سواء
[illegible] فيها وان
[illegible] وعمله . والتي [illegible] قديم
[illegible] في [illegible] الله [illegible] واحدا [illegible]
الشيئين يغاير هذين الشيئين بالذات والصفات .

[illegible] ([illegible] لا [illegible]) .
[illegible] على [illegible]
[illegible] الله [illegible]
[illegible] على [illegible] بقي [illegible][1]

(١) « ب » تبقى مرتبة الاولى .

الأولى وربه عمله ال[illegible]
[illegible] (٢) .
[illegible] (٣)
[illegible] وهو المطلوب .

([illegible]) [illegible] الأمر الإلهي في [illegible]
[illegible] ([illegible]) [illegible]
[illegible] ربه وجاهد نفسه حتى أتاه اليقين فقعد من وجوده وظهر له أن حقيقة العابد منه هي [illegible] كما قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين)، [illegible] لله تعالى فهو الشكور .

[illegible] (وقليل من عبادي الشكور) . والشكور هو الله تعالى [illegible] عبداً عابداً لأن [illegible] يهدي الى صراط مستقيم .

---

(١) « ب » ومرتبة عمله الثالثة مساويين عنده في الدخول تحت مرتبة واحدة .
(٢) « ب » وهي الاثنان ومرتبة الله مرتبة أولى أخرى ثالثة لهذين الاثنين غير مساوية لهما كمساواتهما في مرتبة الاثنين .
(٣) « ب » بالنظر الى وجود الله تعالى الثالث لهذين الاثنين بالنظر الى وجود الله تعالى عن كشف .

ثم شرع الشيخ قدس الله سره في ذكر المقامات الثلاثة : مقام أهل البداية ، ومقام اهل العناية ومقام أهل النهاية ، فقال : (الأعْمَال) وهي فعل الاوامر القطعيه والظنيه والكف عن المناهي القطعية والظنية على وجه الاخلاص والخضوع لله تعالى (مُتَعَلِّقَةٌ بِشَرْعِ الشَّرِيفِ) اي منوطة به وتابعة له ومعلومة منه وموقوفة عليه وراجعة في معرفتها اليه بحيث لا حركة للمكلف ولا سكون في ظاهره وباطنه مما يسمى عملا واعتقاداً الا وله في الشرع الشريف حكم مخصوص لا يعلم الا من الشرع ولا يعرف الا منه ، ولهذا كانت معرفة الشرع اول المقامات في السير الى الله تعالى ما لم يندرج العبد في المقام الثاني اذا كان من اهل الجذب الصحيح اعتناء من الله تعالى به ، والواقف في هذا المقام الأول منقطع عن الله تعالى لعدم ترقيه الى ما بعده •

(والتوكل) على الله تعالى ظاهرا وباطنا بترك الاهتمام والاعتماد على غير الله من جميع الاسباب الشرعيه ، كالطاعات للثواب والمخالفات للعقاب ، أو العاديه كالأكل للشبع وشرب الماء للري ولبس الثوب لستر العورة أو دفع ألم البرد أو الحر ونحو ذلك ، أو العقلية كاستعمال الحواس لادراك الجزئيات او الفكر لادراك الكليات وما اشبه ذلك •

فان اعتماد المكلف بقلبه على شيء من هذه الاسباب والركون اليه وطمأنينة قلبه به يمنعه من التوكل على الله تعالى لا الاشتغال بهذه الاسباب كلها مع عدم الاعتماد عليها بالقلب وعدم طمأنينة القلب بها فان ذلك لا يمنع من التوكل عليه تعالى ، وهذا هو المطلوب من المكلف في معاطاة الاسباب دون الاول •

(متعلق بالايمان) بالله تعالى انه خالق الوجود كله ، كما قال : (وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً) ، وان لا تأثير لسواه تعالى مطلقاً في أثر ما يعني ان التوكل منوط بذلك وتابع له ومأخوذ منه وموقوف حصوله عليه ومستند في وجوده اليه بحيث لايمكن المكلف ان يتوكل عليه تعالى الا بعد إيمانه وتصديقه أنه تعالى هو المنفرد وحده بايجاد جميع الكائنات وتحريكها وتسكينها في خير أو شر ونفع أو ضر ، ولا تأثير

سبب من الأسباب مطلقاً ، وإذا لم تكن عنده الملكة المستحقة لجميع ذلك فإن التوكل على الله تعالى بعيد عنه غير ممكن حصوله له لاعتراضه عن الأسباب الموصلة إليه وعلى الله قصد السبيل ، والواقف في هذا المقام منقطع عن الله تعالى أيضاً لعدم ترقيه إلى ما بعده مما هو المقصود .

ومنها أي المقامات قوله : (والتوحيد) أي إفراد الله تعالى بالوحدانية في الوجود ، فلا وجود لشيء من الأشياء مطلقاً إلا بوجوده تعالى بحيث إن وجوده تعالى هو ذلك الوجود الذي وجد به ذلك الشيء ، ولا وجود لذلك الشيء من نفسه وجوداً[1] آخر غير وجوده تعالى ، أما ذات الشيء في ذاته وشخصه فليس وجود الله تعالى لأنه هالك باطل ، ووجوده تعالى حق ، قال تعالى : (كل شيء هالك إلا وجهه) ، أي إلا ذاته ، وذاته هي وجوده القديم الذي قام به كل شيء وبهذا لم يختلف وجود كل شيء لأنه واحد واختلفت الأشياء وتعددت وكثرت وتميز بعضها عن بعض من حيث ماهياتها وصورها ومقاديرها وأزواجها ونعوتها ، لأنها غيره تعالى وتقدس عنها علواً كبيراً ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : أصدق كلمة قالها شاعر قول لبيد :

« ألا كل شيء ما خلا الله باطل » ، والباطل في مقابلة الحق ، وقال تعالى : (خلق السموات والأرض بالحق) ، أي أوجدها به تعالى ، فهو وجودها الذي هي موجودة به بحيث لو زال زالت ولم يبق لها وجود آخر غيره تعالى توجد به ، فجميع الأشياء معدومة هالكة باطلة لا وجدت ولا توجد ولا هي موجودة ولا شمت رائحة الوجود مطلقاً ، لأن الوجود قديم حق وتعالى وتقدس القديم الحق أن يحل في هذه الأشياء أو يتحد بها ، وإنما أظهر تجليه عليها التجلي القديم الأزلي ، فلما رأت تجليه عليها توهمت أنها موجودة معه بوجود آخر غير وجوده وهي موجودة به لا معه ، فالوجود له والماهيات والمقادير والكيفيات والصور لها لا له ، فهي على ما هي عليه من العدم ، وهو على ما هو عليه من الوجود ، ورؤيتها موجودة إنما هو مجرد وهم منها وغفلة وعدم معرفة بما هو عليه الأمر في نفسه ، وهذه الرؤية الوهمية هي الشرك الخفي

---

(١) « ب » بوجود .

الذي يبقى التوحيد الصحيح ، وقد استولت على عامة الناس وأكثر المسلمين ، قال تعالى : (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) .

(متعلق بالكشف الصحيح) الرافع لهذه الرؤية الوهمية المذكورة ، يعني منوط به وتابع له وموقوف عليه ومأخوذ منه ومستند اليه ، والكشف هو رفع الحجاب عن عين القلب ورؤية الأشياء على ما هي عليه ، وقد يطلق بالأخبار عن الأشياء المستقبلة والماضية البعيدة عن الحضور أو الحاضرة التي لا تعلم في العادة ، فيكون كشفاً تكون معه حجب عن الحق لتعلقه بغيره تعالى ، والالتفات الى هذا النوع من الكشف نقصان في كمال أهل الله تعالى ما لم يوجد منهم بلا قصد إليه ، والكشف المطلوب شهود الله تعالى في كل شيء على التنزيه التام وعدم الغفلة عنه في جميع الأحوال ، ثم الكشف به تعالى عن كل شيء وشهود كل شيء قائماً بالله تعالى ، موجوداً بوجود الله تعالى متحركاً ساكناً به تعالى .

والكشف انواع شتى لاتحصى ، فان لكل انسان ذوقا⁽¹⁾ خاصاً وكشفاً مستقلاً على حسب استعداده وقبوله لتجلي الحق تعالى عليه .

ثم شرع الشيخ رضي الله عنه في ذكر احوال المحجوبين وبيان ما هم عليه من الانحراف عن الحق المبين فقال : (الناس) اي الموجودون عند نفوسهم من الخلق المكلفين ، مشتق من ناس اذا تحرك والانس مقابل الخلق⁽²⁾ ، وهو اصطلاح القرآن العظيم في قوله تعالى : (يا أيها الناس) في كل موضع ، أي يا أيها المكلفون المتحركون بأنفسهم – في زعمهم – لا بربهم فيكونون بخلاف العارفين القائمين بربهم معهم في مسمى الناس من باب التغليب للاكثر على الأقل في الآية دون عنده الشيخ قدس الله سره ، ولهذا قالوا إن كل آية فيها يا أيها الناس فهي خطاب لأهل مكة ، لأن فيهم الكافرين والمؤمنين ، والكافرون أكثر ، وكل آية فيها يا أيها الذين آمنوا فهي خطاب لأهل المدينة ، والمقصود بها المؤمنون خاصة ، وهو اصطلاح قوم في الآيات المكية والمدنية .

---

(١) « ب » فان لكل ذوقاً خاصاً .
(٢) « ب » إذا تحرك ويقال للخلق .

(المفتون) أي الواقعون في الفتنة والحيرة المتحيرون (عن سبيله) سبحانه وتعالى الذي خلق السموات والأرض ، وهو في مقابلة المضل عنه هو أعلم من ضل ، (بالمهتدين) وهم الأولياء الذين عقلوا الأشياء على صورها نفسها ، أي بربهم ، وهو من خلقه إنه من الروح بسره بلسان المحمدي على الأمر وعقله ، وعقله ... عليه في معرفته به حتى تحققوا وعلموا ، وفي معرفة الأنبياء عليهم السلام والقوم الآخر وبقية السمعيات ، ففهموا خلاف المعقول وآمنوا بغير المراد ، وفي معرفة الشريعة والدين اعتقادا وعلما وعملا ، فابتدعوا وحرفوا الكلم واستهزءوا وهم لا يشعرون ، بحيث لو سمعوا حقيقة معنى ذلك على الوجه المطابق عن كشف الله تعالى له عن المعنى المراد وتولى سبحانه تعليمه وأراد به خيرا فقهه في الدين وألهمه رشده ، كما جاء في الحديث الشريف : من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ، ويلهمه رشده لجحدوا ذلك ولم يفهموا ما فهمه من ذلك ، ولا شموا رائحته من حقيقة المعقول ، لأن الله تعالى لا يريد بهم خيرا كما هو مفهوم المخالفة من هذا الحديث المذكور .

وقال تعالى : (أولئك الذين لم يرد الله أن يطهروا قلوبهم – الآية –) فتراهم يغلطون أنفسهم ويقولون : هذا شيء لا يقبل العقل ويدين الله تعالى به ، وهذا كلام المخالفين مع أنهم يعتقدون أن دين الله ليس بأمر عقلي وإنما هو من الوحي الخارج عن أطوار العقول ، وما قولهم ذلك إلا ليس تفقهه الله في الدين وألهمه رشده الأمثل القويم الدين ولو في حق النبي عليه السلام إنه مجنون وقالوا به جنة[1] ، وقال فرعون إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون ، وسبب ذلك في حق النبي عليه السلام أنه جاء من الله تعالى بما لا تقبله العقول ولا تقدر على إدراكه إلا بتفهيم الله تعالى وتعليمه .

وهكذا دين الله تعالى من أول الدين إلى آخرها فليس في قوة العقل إدراك ذلك بنفسه إلا بتعليم الله تعالى له وتفهيمه له ، فالعقل مخلوق في الإنسان يشوف ما يعرض الله عليه من أمر الدين والشريعة فيصدق بجميع ذلك الإيمان بالغيب ، فإذا عرض الله عليه

---

(١) « ب » وقالوا أو به جنة .

المعنى الإلهي الصحيح بطريق النفث والإلهام(1) قبل ذلك فكان له فقهاً في الدين وإلهاماً رشده، وأما إنه يخوض بفكره مع الخائضين فلا ينتج له إلا الهلاك مع الهالكين .

(و) الناس (يتيهون) أيضاً (عن الأحرار) أي عن منازلهم العلية ومراتبهم السامية (بالهوى) أي بميل نفوسهم وعشقهم لما سوى الله تعالى من محبة جمع أو جاه من زاد أو محبة صنعة أو أحسان معصية أو شغف بالوصول منه تعالى وتحصيل القرب لديه ونحو ذلك كله هوى نفساني وميل إلى غير الله تعالى، وهو حجاب وطرد وبعد عن الله تعالى، ومن صحب هذا الحب إن سلم له الإيمان بالله تعالى على العمى والغفلة كان أدنى أهل محبته كلهم، وإن سلب عنه فقد أدبه مع الله تعالى بمحبته ما سواه – في زعمه – خلد في النار مع الأبدين، وهوى – في زعمه – لأن المحبة لا تكون إلا لله تعالى، والميل النفساني لا يكون إلا له تعالى، سواء جهل ذلك المحب أو عرفه، فمحبة الغير والميل إلى الغير إنما هو من الغير، ولا غير إلا في الزعم للجهل بحقيقة الأمر، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «حبك الشيء يعمي ويصم»، وأصدق: «الحب إليك لزعمك المغايرة بنفسك» .

ثم ذكر الشيء مع أنه هالك إلا وجه الحق تعالى إليه فالعمى والصمم إنما هما عن وجه(2) الحق تعالى إلى ذلك الشيء، فلولا العمى والصمم عن وجه الحق تعالى إلى نفس المحب ما كان العمى والصمم عن(3) وجه الحق تعالى إلى ذلك الشيء المحبوب، فلو زال العمى والصمم عن وجه الحق تعالى إلى نفس المحب لكانت(4) تلك المحبة بعينها هي محبة الله تعالى نفسه، فظهرت ظهوراً خاصاً في حضرة إلهية خاصة(5)، وآخر كلمة سمعتها من فم شيخ من مشايخي في طريق الله تعالى أن قال لي: المحبة نسبة إلا لله تعالى أو

---

(1) « ب » بطريق الفيض، أي الفتح على قلب السالك بالصدق في طريق الله تعالى، والالهام .

(2) « ب » الا وجه الحق تعالى اليه فالعمى والصم عن وجه .

(3) « ب » الحق تعالى الى نفس المحب ما كان العمى والصم عن .

(4) « ب » وجه الشيء الى نفس المحب وإلا لكانت .

(5) « ب » في الحضرة الالهية .

كلام(١) هذا [illegible] رحمه الله على من
معان كثيرة، منها ما ذكرته في هذا الموضع والله ولي التوفيق».

[illegible] (فمتى طلبت) [illegible] أنها أريد كما
طلبت [illegible] (الشيخ) [illegible] معرفة شرعه (بعقل)
أي حصلت به في معرفة ذلك معتمدا على قوة إدراكه مستمدا منه معرضا عن الاستمداد
من الله تعالى وحده (فقد ضللت) عن الصراط المستقيم ووقعت في أربع عن
سواء الصراط(٢) القويم حتى تطلب ذلك بربك لا بعقلك من ربك لا من عقلك، ويمن
الله تعالى عليك بفضله [illegible] وطرقه [illegible]، ويتولى
تعليمك بنفسه [illegible] من عقال عقلك ويخرجك
من ظلمة جهلك، (ومتى طلبت الآخرة) بأن تكون فيها مرتقيا إلى الدرجات
العاليات [illegible] كما طلبت الدين (بالهوى) أي بما تميل إليه نفسك
من الطاعات فضلا عن [illegible] (فقد ضللت) عما طلبت ووقعت(٣)
عما قصدت، لأن ذلك لا يكون بهوى النفس قطع هيهات ... هيهات ...، وإنما
ذلك بتخليص [illegible] في جميع الأحوال الظاهرة والباطنة وعزل
النفس عن توليه ذلك بالكلية، بحيث لا [illegible] ولا تحسن [illegible] بنفسك
[illegible]، وحقق أن [illegible] أقبح عندك من معصية
[illegible] وعدم [illegible]، لأن المعصية دون الشرك [illegible] والله عليم بالمتقين.

وإذا تم لك [illegible] على أعلى الدرجات
في الآخرة وكنت مع: (الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين وحسن أولئك رفيقا).

واعلم أن كل من [illegible] فهو عابده بهوى

(١) «أ» كلام.
(٢) «ب» الطريق.
(٣) «ب» وذهلت.

نفسه بل عابد هوى[1] نفسه ، فهو عبد هواه لا عبد مولاه ، كما دخل جماعة من الفقهاء المنكرين على الغوث رضي الله عنه ببغداد ، فقال لهم : مرحبا عبيد عبدي ، فاشتد إنكارهم عليه بزعمهم عدم تشريفهم بأنهم عبيد الله تعالى ، فأجابهم بعض الفقراء : إنكم عبيد الهوى لامتثالكم أمر نفوسكم فتحكم بكم لا بربكم ، والهوى عبده لامتثاله من ربه لا أمر نفسه ، فأمامه بربه لا بنفسه فهو مسلم له تعالى لا حركة له ولا سكون ظاهرا وباطنا إلا بربه لا بنفسه ، وأنتم منازعون له تعالى تتحركون بنفوسكم وتسكنون بها في بواطنكم وظواهركم ، غافلون عن شهود الله تعالى فأنتم عبيد الهوى دونه . قال الله تعالى : (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون) فعبيد الهوى يعلمون أنهم عبيد الله تعالى بعقولهم كيف شاء بقدرته وإرادته ، ولكن الله ختم على سمعهم فلم يسمعوا من الحق تعالى ما يسمعونه وختم على قلوبهم فلم يشهدوا من الحق سبحانه ما يشهدونه وجعل على بصرهم غشاوة فلم يروا الحق تعالى فيما يرونه مع وجود علمهم به تعالى فيهم ، فهم[2] يسمعون من غيره ويشهدون غيره ويرون غيره ويعلمون أنه خالق كل شيء ، فقد أضلهم الله تعالى على علم : (فمن يهديهم من بعد الله والله خبير بالعباد) ، وقد قال تعالى لداود عليه السلام : (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) أي احكم بذلك الحق لا بنفسك ، فإن الحاكم هو الحق تعالى ولكن بنفسك مظهر حكمه ولا تتبع الهوى أي هوى نفسك في الحكم فلا تحكم بها أي بقوتها فيضلك عن سبيل الله أي عن طريقه المستقيم ، وكذلك أهل الله تعالى إلى يوم القيامة لا يحكمون على شيء مطلقا بنفسهم بل بربهم ، فهم يحكمون بالحق سواء كان حكما شرعيا أو عقليا أو عرفيا ، فما اتبعوا الهوى وما ضلوا عن سبيل الله بل اهتدوا إليه سبحانه وما سواهم ضالون .

قال تعالى : (وما ربك بغافل عما تعملون) يعني وإن كانوا غافلين عما

---

(١) « ب » هو .

(٢) « ب » علمهم به تعالى فهم .

المعقول (بالحواس) في المحسوسات وحيث تعجز العقول عن ذلك في موصوف بصفات الجمال والكمال ذات وصفات به وافعال قديمة ابدية مع الاعتراف انه العجز عن درك الادراك ادراك من غير سؤال عن شيء من ذلك ولا تنبيه على شيء منه ولا تعمق في البحث في معرفة ذلك ولا تكلف ولا تردد فيه وهو ما كان السلف الصالحون من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم اجمعين قبل ظهور المبتدعة في الدين المخالفين عقولهم واعتزالهم فيه فصاروا عنه زائغين[1] ولو صبروا حتى خرج اليهم الحق المبين من جانب الله تعالى لا من جهة عقولهم لكان خيراً لهم كما صبر السلف رضي الله عنهم وآمنوا بالغيب ، معترفين بكمال العجز عنه حتى فتح الله في الدين وفهمهم اسرار ما ورد به الشرع .

(المشرق) بحسه وعقله في المحسوسات والمعقولات قائماً (بنور) أي بوجود (الله) عز وجل الذي نور به جميع الكائنات اي أوجدها من كتم العدم ، قال تعالى : (الله نور السموات والأرض) اي منورها بنوره القديم الذي لا تشبه جميع الانوار ، ليس من جنس الاشعة ولا يتلون[2] بلون ولا ينقص بما اشرق عليه ولا ينفصل عنه بل هو وجود حق تطلع به المعدومات فتظهر موجودة من غير انفصال به ولا اتصال عنه ، قال تعالى : (صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون) . فاذا تحقق المؤمن السالك بهذا النور وجد النور على ما هو عليه من عدم الانفصال والاتصال ووجد المعدومات كلها على ما هي عليه من العدم الاصلي وعرفها من حيث هي ، فترقى من مقام الايمان الى مقام معرفته فيقال فيه كما قال الشيخ رضي الله عنه (في عارف) بالله تعالى صاحب الكشف والشهود الذي صار كله نورا لما ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول في دعائه : اللهم اجعل لي نورا في قلبي ونورا في قبري ونورا من بين يدي ونورا من خلفي ونورا عن يميني ونورا عن شمالي ونورا من فوقي ونورا من تحتي ونورا في سمعي

(١) « ب » لا يزالون عنه زائغين .
(٢) « ب » متلون .

ونوراً في بصري ونوراً في شعري ونوراً في بشري ونوراً في لحمي ونوراً في(1) دمي ونوراً في عظامي ، اللهم أعظم لي نوراً وأعطني نوراً واجعل لي نوراً واجعلني نوراً ، ومعنى ذلك أن يجعلني أذناً بك وأسمع بك وأبصر بك وأحفظ بك من جميع جهاتي واستعين بك في سائر أحوالي وأفعالي وشهوداتي في جميع أعضائي وجوارحي(2) بك وأنس بي وأنا بك ، لأن النور هو الله لا نور سواه وجميع الأنوار الحادثة لا أثر لها في شيء مطلقاً فليس مراده بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن كان هذا مقام العارف بالله تعالى أن يصير كله نوراً ومن [illegible] أن يجد الوجود كله وما سواه هو عين وجود الذي هو وقته قال عنه إنه (مستتر) في ذاته وظهوره (به) أي بالحق تعالى لا بحسه ولا بعقله ولا بنوره على أن يبصره فهو مؤمن (بنيه) أي بالحق تعالى لا إلى سواه ، إذ لا سواه تعالى في تصاريف العارف مطلقاً ، وقد أشار الشيخ أبو مدين رضي الله عنه إلى مقام المؤمن ومقام العارف بقوله في أبيات له :

عرفنا بها كل الوجود وجوده ... [illegible] بها كل المعارف الكونية

فقوله عرفنا بها كل الوجود ، إشارة إلى مقام المؤمن الذي ينظر بنور الله ، وقوله : إن بها كل المعارف إشارة إلى مقام العارف الذي ينظر به تعالى إليه ، ومن مقام العارف قول من قال : ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله قبله وبعده ومعه ، فمن رأى الله تعالى قبل كل شيء احتجب به تعالى عن رؤية كل شيء وهو مقام العارف ، ومن رأى الله تعالى بعد كل شيء احتجب بالله تعالى بشيء عن رؤيته كل شيء وهو مقام العارف أيضاً لكن الأول أعلى لأنه رآه من عند الله وهذا [illegible] قرآن والثاني عنده فرقان ، قال الله تعالى (إنا أنزلناه قرآناً عربياً) وقال تعالى (إنه [illegible] الحكيم العليم) والقرآن واحد والكلم جمع كلمة ، فالواحد هو الفرد الجامع [illegible] القرآن كثير بمعرفان ، وإنه من رأى الله في كل شيء فهو عارف الجامع بين الحق والخلق ، فليس بمحجوب عن الحق بالخلق ولا عن الخلق بالحق ، فيعرف بهذا الحق حق

(1) « ب » ونوراً دمي .
(2) « ب » واجنح .

بماذا الخلق خلق وبماذا الحق حق وبماذا الخلق حق(1) وبماذا الحق ليس بخلق وبماذا الخلق ليس بحق وبماذا الحق والخلق موجودان كما علمته ، وبماذا الحق والخلق موجودان لا كما علمته ، وبماذا الحق والخلق معدومان كما علمته ، وبماذا الحق والخلق معدومان لا كما علمته ، الى غير ذلك من العلوم التي اختص بها هذا العارف دون العارفين من قبله ، فهذا العارف الذي يشير به الناظم على انه على ثلاثة اقسام والله ولي الهداية والانعام .

ثم خاطب رضي الله عنه المؤمن المذكور منبها له إلى مقام العارف الذي هو أعلى منه فقال : (ما زلت) أي مدة دوامك (إياها) ايها المؤمن الواقف خلف حجاب نفسك حيث أراك الله آياته(2) في الآفاق (و) في نفسك ، وبهذا لم يتبين لك بعد أنه الحق فأنت في مقام الإيمان بعد خروجك من الأمر الطبيعي الى الأمر الشرعي ، وخروجك من الوسواس الفكري الى مرتبة علم اليقين (معك) أي مع نفسك لم يرك الله تعالى آياته فيها حتى تعلم أنه الحق بخروجك عنها (أمرتك) أي وجدت أمرك متوجها عليك بطاعتك واجتناب المنهيات لأنك متكلف(3) بإبراز نفسك عن بقية مخلوقات الله الداخلة تحت تصرفه فالمقت بسبب ما تكلفت أنت به فوقعت في الكلفة التي اسمعته وتعب في الدنيا فيما سبب في الأمر والنهي بتوزع نفسك وشغلك نفسك ، وفي الآخرة بحساب ونصب الميزان ووضع الصراط وعطائك كتاب أعمالك الذي كتبته عليك الحفظة بما وأنت لا تشعر ، كل ذلك بسبب قيامك بنفسك — في زعمك — (فقد) علمك الله تعالى بك وأراك آياته في نفسك أيضا كما أراكها في الآفاق فعلمت أنه الحق (غبت) أي بعدت واضمحلت بالكلية (عنك) أي عن نفسك وجملتك (بل غبت) أي صرت متوليين(4) غيبك مصرفين لك ظاهرا وباطنا .

---

(1) « ب » وبماذا الخلق خلق وبماذا الخلق حق .
(2) « ب » آيه .
(3) « ب » مكلف .
(4) « ب » متولين .

قال الله تعالى : (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور) وقال تعالى : (وهو يتولى الصالحين) وإذا تولاك الله تعالى كنت وليا له تعالى ، فعيلا بمعنى مفعول ، فتجد مراد الله تعالى منك متوجها عليك وأنت هو كاشف عن طاعتك ومعصيتك المقدرة عليك الواقعة منك لا محالة ، ولم تكن متكلفا بإقرار نفسك عن نفيه ، فهو [illegible] تحت تصرف ربك فلا تكليف عليك أي لا كلفة ولا مشقة عليك في [illegible] في امتثال الأوامر واجتناب النواهي(1) من غير منازعة نفسك في شيء من ذلك ، وفي الآخرة [illegible] الجنة بغير حساب ولا توزن عملك ولا تمر على الصراط ولا تشعر به ولا تخشى من كتاب ولا يحزنك الفزع الأكبر .

وقال تعالى : (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) .

(ومن تولاهم) أي من تولاه الله تعالى وتولاهم أي الصالحين من قوله تعالى : (وهو يتولى الصالحين) (بعد فنائهم) عن نفوسهم بحيث لم يبق لهم حركة ولا سكون(2) ولا وجود إلا به تعالى ، وهو تحققهم بحقيقة قوله تعالى : (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) ومن عداهم تولت عليهم نفوسهم المعاندة لله تعالى كما ورد في الخبر : « عدو نفسك فإن انتصبت [illegible] قال خالفوها كانوا محسنين وإن اطاعوها كانوا من الهالكين » .

ثم قال رضي الله عنه مخاطبا الآخر فقال : (ما دمت) أيها المؤمن بالغيب المحجوب بنفسك عنك (أنت) أي موجود مع نفسك مع الله تعالى وقد من الله تعالى عليك ووفقك لإرادته (فأنت مريد) له تعالى حينئذ ، والمريد تعبه بحسب مراده ، فمريد الله تعالى العظيم تعبه عظيم .

واعلم أن كل شيء من الإنسان وغيره مريد لله تعالى مقبل عليه في عين إرادته له سواه — في زعمه — إذ لا سوى لله تعالى إذ : (كل شيء هالك إلا وجهه) ولله در القائل :

---

(1) « ب » النواهي .

(2) « ب » بحيث لم يبق لهم حركة ولا سكون ولا .

لذا موسى إذ هو عن حجبه — رأى الله ولكن ليس يدريه

فمن رأى نفسه شهد وجه الله تعالى في كل شيء وشهد كل شيء هالكاً فنياً وتحقق بأنه مريد لله تعالى على كل حال في نطقه وعقله ، ومن بقيت نفسه معه شهد كل شيء ولا يشهد وجه الله تعالى أبداً فلا عذر يتحقق بأنه مريد لله تعالى أبداً ، بل لو تصيب وجه ارادته غير الله تعالى في عين ارادته لله تعالى عنده والله بصير بالعباد ، وقد خطر لي من النظم في هذا الوقت قولي :

وما الكسب سوى علم برزت به — ما أنت فيه فأنت الكامل الناقص

فلا تره غيره فالحس تشهده — من حيث الآن ياذا الساكن الراقص

عسى تحل عقال العقل عقدته — عسى شعور شعور برسل العاقص[1]

(فإذا أمسك) الحق تعالى ، وفيه إشارة الى أن الفناء والبقاء ليس داخلين تحت مقتضى إرادتك واختيارك بل هما حالتان يقيم الله تعالى في احدهما من اراد من عباده ، قال تعالى : (ما يَفتحِ اللهُ للنَّاسِ من رحمَةٍ فلا مُمْسِكَ لها وما يُمْسِكْ فلا مُرسِلَ لهُ مِن بَعْدِهِ) .

(عنك) أي عن نفسك ووجودك بأن أراك آياته في الآفاق ، والآيات عين الآفاق فخرجت عن الآفاق الى آياته ثم أراك آياته في نفسك ، والآيات عين نفسك فخرجت عن نفسك الى آياته فعلمت انه الحق ، قال تعالى : (بَلْ هو آيات[2] بَيّنات في صُدورِ الذين اوتوا العِلم) وهذه هي آيات[3] القرآن العظيم الذي نزل به جبريل الأمين على قلب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولم يزل ينزل الى يوم القيامة بملك الالهام الذي هو من أعوان جبريل عليه السلام على قلوب العلماء الذين هم ورثة محمد صلى الله عليه وسلم ، وإذا نزل عليهم لم يكن غيرهم ، والى هذا المعنى أشار قدوة المحققين الشيخ محي الدين ابن العربي رضي الله عنه بقوله :

---

(١) « ب » عسى شعور شهود برسل العاقص .
(٢) « ب » آت .
(٣) « ب » وهذه من آيات .

أن اعراف واسع اسمي — وروح روح لا نزول أواي
وواي عند مورد عقيق — محبة وعندك سنني

إلى آخر الأبيات ...

(فأنت مراد) للحق تعالى حينئذ ، فإنه ما أقامك إلا لأنه أرادك كما أنه من أقام مع نفسه ما أبقاه إلا لأنه ما أراده ، فإن الله تعالى ما أراد أحداً إلا وأخذه من نفسه إلى عنده ، وإذا أخذه إلى عنده(1) وأبعده عن نفسه فلا يبقى عند نفسه بل عند ربه ، وفي معنى (إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته) فمفهومه أن الذين عند نفوسهم مستكبرون عن عبادته ، واستكبارهم هو دعوى نفوسهم معه تعالى ، وإذا أراد الحق تعالى عبداً سلبت عنه الإرادة واختطفته الجذبة الإلهية ، وفي الحديث : « جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين » ، وفي خطاب الله تعالى لموسى عليه السلام ما يشير إلى ذلك بقوله تعالى : (واصطنعتك لنفسي) (ولتصنع على عيني) ولله در القائل :

وإذا السعادة لاحظتك عيونها(2) — نم فالمخاوف كلهن أمان
واصطد بها العنقاء فهي حبالة — واقتد بها الجوزاء فهي عنان

ولنا من النظم في هذا المعنى :

رب شخص تقوده الأقدار — للمعالي وما لذاك اختيار(3)
غافل والسعادة احتضنته — وهو منها مستوحش نفّار
يتعاطى القبيح عمداً فيعطى — جميلاً وفلسه دينار
كلما قارف الذنوب أتته — توبة طهرته واستغفار
وعليه إن زل عين من اللـ — ـه تقيه ويستر الستار
فهو منه ذاته شرقي — لا به حيث تشرق الأنوار

---

(1) « ب » أخذه عنده .
(2) « أ » وإذا السعادة لاحظتك عيونها .
(3) « ب » للمعالي وما لذاك اختيار .

وفي كل شيء له آية ... حتى ... [illegible] واليهار

[illegible] ... ذكر ... وهو ... ي وعنه شط المزار

[illegible] ... وإذا ... حسه فهي ... [illegible]

حكم ... [illegible] ... وحقيق بأنها ... [illegible]

وبعظ ... [illegible] ... أنه الله فاعل مختار

ثم ذكر الشيخ رضي الله تعالى عنه نتيجة أخرى فقال : (استفق) بوجود الحق تعالى (الآن) في كل حال من الأحوال بمعاينة الله تعالى انما هو (في غيبتك) ايها المؤمن بالغيب ، المحجوب بنفسه (عَنْكَ) اي عن وجودك بنفسك (ووجودك) في غيبتك (به) أي بالحق سبحانه وتعالى ، فتبقى غائبا عن وجودك الذي كنت حاضراً فيه ووجودك الذي به عز وجل ، وفي الحقيقة لا وجود لك بك ، وإنما انت متوهم أن لك وجوداً بك ، فإذا زال عنك توهمك أن وجودك بك ظهر لك أن وجودك ... وجودك به تعالى من قبل[1] ولكن انت غائب عنه ، وبهذا انت مؤمن بالغيب جاحد للشهادة ، فإذا رجعت به تعالى صرت مؤمناً بالغيب والشهادة ، وكنت ان ربك عالم الغيب والشهادة فانت حينئذ عالم الغيب والشهادة ، فيجب عليك ان تكلم بالشهادة وهي شهادة الحق تعالى في كل شيء[2] قال تعالى : (ولا تَكْتُمُوا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثمٌ قلبُهُ ولا تكن على الغيبِ بِضَنينٍ) أي بخيل ، قال الله تعالى يقول عن نبيه : (وما هُوَ على الغَيبِ بِضَنينٍ) فأنت حينئذ تحت حكم ربك علمت وانت صانع بك ما يشاء (فكَمْ بيْنَ ما) أي الذي ، والقياس من لاستعمالها فيمن يعقل وما فيمن لا يعقل قال المتنبي :

ويلحقني في حمل ... [illegible] ... شر على الحر من سقم على بدن

في كل أرض وطئتها امم ترعى ... تخصي إذا جئت بستفهامها بمن

يعني اذا استفهمت عنهم عوملت ... من هم فقد اخطأ لأن من لمن يعقل وهم

---

(١) « ب » أن وجودك به تعالى من قبل .
(٢) « ب » وهي شهادة الحق تعالى اي شهوده تعالى في كل شيء .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] ([illegible]) [illegible] ([illegible]) [illegible] ([illegible]) [illegible]

[illegible] في موضع [illegible]
[illegible] وكذلك جميع ما ورد من ذلك مؤول [illegible] والتقدير : [illegible] أصحاب اليمين [illegible]

[illegible] ([illegible]) [illegible] ([illegible]) [illegible] ([illegible])

أي العارف الذي (يكون) أي يوجد ويتكون ([illegible]) أي بالحق سبحانه [illegible] ([illegible]) [illegible] ([illegible]) [illegible] (وإن [illegible] لهم الغالبون) .

واعلم ان [illegible] حملة [illegible] عين [illegible] ولا غير [illegible] الامر [illegible] على [illegible] ذات الله تعالى [illegible] على وجودهم [illegible] :

وكلهم هو فاسمع وهو غيرهم [illegible] شمس طلوس

واما [illegible] على [illegible] ومنهم المحجوب [illegible] في بعض الاوقات [illegible] والاسماء [illegible] في اكثر الاوقات [illegible]

والمحجوب مراده بقوله : يكون بأمره •

ثم [illegible] ([illegible]) [illegible] ([illegible]) [illegible]

[illegible] ([illegible]) [illegible] ([illegible]) حيثية جميع

([illegible]) [illegible] او علم انه

[illegible]

(١) « ب » المتقدمون •
(٢) « ب » الالهية •
(٣) « ب » وهو عينهم كما قلت •
(٤) « ب » وكلهم هو فاسمع وهو عينهم •
(٥) « ب » الأمر •

لا لله تعالى ، بتعرضك عبد وهي حجب بينك وبين ربك ، فالاسباب حجب ...
الاسباب التي هي حجب بينك وبين المسببات ؛ ... بالامر الالهي الذي هو واسطة
بينك وبين ربك فتخضع لك الاسباب التي هي وسائط بينك وبين المسببات ، فكان ذلك
لك جزاء وفاق (وإن كُنْتَ قَائِماً بِهِ) أي بالحق عن وجه عن كشف وشهود
(تَضَعْضَعَتْ) أي تحركت واضطربت ... عن خضوعها وانقيادها كلها[1]
(لَكَ) أي لأمرك الذي هو أمر الله تعالى حيث ... قائم به تعالى (الأكْوان)
اي الموجودات جميعاً •

واعلم ان الكائنات بأسرها ما وجد منها وما لم يوجد بعد مستندة الى الحق تعالى وهي
مترتبة في الوجود ، فما سبق منها يسمى سبباً لما هو بعده مترتب عليه[2] ، فمن قام بأمر
الحق تعالى عن غفلة وحجاب قام بنفسه ... فيسمى السبق ... والمسبوق مسببا
فتخضع له الاسباب باعتبار أمر الحق تعالى الذي هو قائم به وخضوعها لأمره تعالى لا
لنفس ذلك العبد ، ولكن ... كانت ... العبد قائمة بأمره تعالى التبس عليه الخضوع
فظنه لنفسه فخوطب من حيث ... : خضعت له الاسباب ، كما ان بعض الناس
لما اشتغلوا بالتكاثر والتهوا به عن شهود الحق تعالى ، وظنوا ان التكاثر مؤثر مستقل
بالوجود مع الله تعالى خاطبهم الله تعالى من حيث ما هم فيه من الظن فقال : (أَلْهَاكُمُ
التَّكَاثُرُ) والقياس ان يقال ألهاكم بالتكاثر ، والله تعالى يقول : « انا عند حسن
ظن عبدي بي » ، يعني ان ظن بي اي منفرد بالتأثير وجدني كذلك وأن ظن بي أن
معي[3] مؤثراً غيري أريته الأمر كذلك إضلالاً له ثم حاسبته على حسب ما أريته •

ثم قال : « فليظن بي خيراً » ، أي فليظن الانفراد بالايجاد ونحو ذلك من
الخير ، فان الحق تعالى ما تجلى شيء إلا بما استعد له ذلك الشيء كما سئل الجنيد
رضي الله عنه عن المعرفة والعارف فقال : « لون الماء لون[4] إنائه » يشير الى ما ذكرنا ،

---

(١) « ب » وانقيادها •
(٢) « ب » لما هو بعده •
(٣) « ب » وإن ظن أن معي •
(٤) « ب » لون الماء لون •

ومن قدر أمر الحق على الشيء ومشهور فيه بحكم ... ولا سبب فتخصيص بعض الأكوان الغائبة بأن الله مع بعض غيرهم إنه هو الحق تعالى الذي قام به هذا العبد ... هذا العبد ... من الله تعالى : (هو الذي سخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه) . والتسخير إنما هو لله تعالى لا لغيره ونسبته للعبد كما أن السجود من الملائكة عليهم السلام لله تعالى ونسبته لآدم عليه السلام في قوله : (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) ، وهذا هو التسخير بعينه ، والملائكة هي مما في السموات وما في الأرض جميعه منه ، وأن حقيقة آدم عليه السلام هي حقيقة الإنسان الكامل ، والممتنع عن السجود له إبليس والشياطين عليهم اللعنة ، وسبب امتناعهم عن السجود أنهم نسوا منه تعالى كالملائكة لغفلتهم عنه تعالى بسبب غلبة عالم الخلق عليهم على عالم الأمر ، والملائكة الغالب فيهم عالم الأمر على عالم الخلق ، ولهذا لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وقال تعالى عنهم : (وهم بأمره يعملون) .

ثم شرع الشيخ رضي الله عنه في ذكر المقامات السلوكية على ترتيبها بحسب الوجدان في طريق الله تعالى فقال : (وأول المقامات) جمع مقام وتقدم الكلام عليه ، يعني أول ما يجده السالك إلى الله تعالى بعد مفارقة صور الغفلة فظاهر يجده في قلبه (الصبر) ، وهو تحمل النفس جميع الشدائد والمصائب دون الشكوى إلى أحد وتجرع مرارات الأمور مع تكلف الطاعات ظاهراً وباطناً وإخلاء الصدر من الضجر ومن الشعور بكون النفس متحملة لذلك ومتجرعة له[2] وهذا المقام لا يتم [illegible] إلا لأهل الجذبة الإلهية بحيث لا يشعر العبد بعد ذلك نفسه أنها في ضيق أو رخاء ، وذلك لا يحصل إلا بتوفيق الله تعالى من غير اعتمال ولا تكلف (على) جميع (مراده) أي مراد الحق تعالى لأنه الفاعل المختار والحاكم الذي لا معقب لحكمه وهو الواحد القهار ولا يكون ولا يوجد إلا ما أراده واختاره من الخير والشر والنفع والضر إلى غير

(١) « ب » جامه .
(٢) « ب » متحملة ومتجرعة له .

العبد وان لم يصبر ، فالصبر لا يزيد من المصائب والشدائد ، والضجر لا ينقص شيئاً منها قال تعالى : (لئِن[1] صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ للصابرين) ، يعني صبركم خير من عدمه ، وأما مراد الله تعالى فهو كائن لا محالة صبرتم أو لم تصبروا ، وقال تعالى: (واصْبِرْ وما صَبْرُكَ إلا بالله) ، يعني ان الصبر أمر قدره الله تعالى عليك فيسره اليك عند المصائب إن كان لك صبر في علمه وتقديره ، وإن كان لك ضجر أبرزه إليك من غير صبر فأنت موضع لجريان الحكم الأزلي والتقدير ، وأمره لك بالصبر في قوله تعالى : (إصْبِرْ) هو تكوين الصبر فيك تكويناً خاصاً كما امر تعالى عن تكوينه العام بقوله : (إنما أمرنا لشيْءٍ اذا اردْناه[2] أنْ نقولَ لَهُ كُنْ فيكون) ، فقوله : كن أمر بالتكوين ، فيكون ذلك الشيء المأمور بالتكوين لا محالة من غير مخالفة للأمر لأنه انما كان بالله فلا يمكنه المخالفة وهو قوله : وما صبرك الا بالله في التكوين الخاص ، وكذلك القول فيمن لم يصبر وضجر فالله تعالى يقول اضجر وما ضجرك الا بالله ، ولكن لم يرد الاخبار عن ذلك لأنه شر والشر يستر ولا تنسب تكوينه إلى الله تعالى إلا بطريق العموم كما قال تعالى : (قُلْ كُلٌّ من عند الله فما لهؤلاءِ القومِ لا يكادُونَ يَفْقَهُونَ حديثاً) وقال تعالى : (اللهُ خالقُ كُلِّ شيْءٍ) وقال : (وخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فقدَّرَهُ تَقْديراً) وقال : (وكُلُّ شيْءٍ عِنْدَهُ بمقْدَار) الى غير ذلك من الآيات الصريحة بأنه تعالى مكون كل شيء من خير وشر ونفع وضر ، فجميع ما هو واقع في الدنيا مما هو مقدر من الأزل من خير أو شر فهو بارادة الله تعالى سواء كان مع ذلك برضاه كالطاعات او بغضبه وسخطه كالمخالفات ، وكله واقع صادر من المخلوقات بتكوين الله تعالى له وتكوينه تعالى لشيء إنما هو بطريق الأمر لذلك الشيء ، ثم إن ذلك الشيء يمتثل ما أمره الله تعالى به ولا يمكنه مخالفته أبداً على كل حال ، ثم ان الله تعالى اخفى قضاءه وقدره عن خلقه لتقوم بذلك الحجة على الخلق ، ولا فرق في الحقيقة بين أمر التكوين وأمر التكليف ، غير أن أمر التكوين عام

---

(١) « ب » ولان .
(٢) « ب » إنما قولنا لشيء اذا اردناه .

أمر التكليف خصوص وأمر التكوين عموم وأمر التكليف بعض .

فأمر التكوين فهو قوله تعالى (إنما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) . فهذا الشيء مطلق من غير تخصيص فهو يشمل كل شيء فلا يعصاه شيء مطلقا من هذا الوجه . وأما أمر التكليف فهو قوله تعالى : (آمنوا بالله ورسوله) ، وقوله تعالى : (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) ، وقوله تعالى : (ولا تقربوا الزنى) . يعني كفوا عنه ، والنهي أمر في المعنى لأنه طلب الكف عن الشيء لا بمعنى العدم ، وهذا الأمر الذي هو أمر التكليف إنما خوطب به في الحقيقة من قدر الله عليه امتثاله في الأزل ، فقوله تعالى (آمنوا بالله ورسوله) خطاب من قدر تعالى عليهم الإيمان ، وهو تفصيل قوله تعالى للأعيان المقدر عليهم : كن فيكون ، وكذلك قوله : (أقيموا الصلاة) خطاب من قدرت عليهم الصلاة ونحو ذلك ، وأما من لم تقدر عليهم الإيمان والصلاة وقد قدر عليهم الكفر والكف عن الصلاة أو سببها فتفصيل تكوين ذلك فيهم تقديره كن كفرا فيهم فيكون وكن كفا عن الصلاة فيكون وكن سببا لها فيكون ولكن لا يقال هكذا في تفصيل أمر الله تعالى وإن كان صوابا في حقيقة الأمر أدبا مع الله تعالى لأنه تعالى لم يرد هكذا في تفصيل أمره تعالى ، لأن الشريعة تفصيل أمر السعداء فقط ، لأن كل شريعة تفصيل مجمل أمر نبيها[1] المرسل فيها إلى قومه ، وكل نبي قومه السعداء منه[2] فشريعته تفصيل أمرهم الذي هو أمره ، وأما الأشقياء فمعلوم تفصيل أمرهم بمخالفة لأمر السعداء ، وبضدها تتبين الأشياء ، فإنذار الأنبياء عليهم السلام لأممهم وتبشيرهم إنما هو للسعداء فقط لأن أمر الله تعالى للسعداء والأشقياء إنذارهم وتبشيرهم وقع من الأنبياء عليهم السلام بطريق التبعية لأجل إقامة الحجة عليهم من الله تعالى ، قال تعالى : (لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون) أي على أكثر الخلق وهم الكافرون فيستحيل إيمانهم حينئذ لإخباره تعالى عنهم بعدمه وإن كان إيمانهم ممكنا في نفسه ، ثم قال تعالى في سبب عدم إيمانهم

(١) « ب » لان كل شريعه تفصيل لأمر مجمل أمر به نبيها .
(٢) « ب » قومه السعداء منهم .

(إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون) ، وهذا كناية عن تكوين ضد الايمان فيهم وضد التوحيد .

ثم أخبر تعالى عنهم أن انذاره وعدمه سواء في حقهم لأن أمرهم أمر آخر غير أمر السعداء فقال : (وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) . ثم صرح تعالى بأن إنذاره إنما هو للسعداء فقط حيث قال : (إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب) وهذا أوصاف السعداء فقط .

ثم خصص تعالى التبشير الى الانذار وأشار الى انه مخصوص بالسعداء كالانذار بقوله : (فبشره بمغفرة وأجر كريم) مع ان صدر الآية قوله تعالى : (لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم فهم غافلون) يفيد وقوع الانذار في حق الاشقياء ، والجواب عنه انه إنذار بطريق المفهوم بهم كما ذكرت لا حقيقة الانذار حيث لم تكن لهم خشية منه ولا بركة تعود عليهم فيه فهم ليسوا اهله بل هم أهل التكذيب والجحود ، ويؤيد هذا ما نقله السلمي رحمه الله تعالى في حقائق القرآن في قوله تعالى : (إذهب إلى فرعون إنه طغى) .

قال لنا ابن عطاء الله رحمه الله : الاشارة الى فرعون وكان مبعوثاً في الحقيقة الى السحرة فان الله تعالى لا يرسل انبياءه الى اعدائه ولم يكن لأعدائه عنده من الخطر ما يرسل اليهم انبياءه ولكن بعث الانبياء إليهم ليخرج الاولياء المؤمنين من بين الاعداء الكفرة » انتهى .

فإن قلت : يلزم مما ذكرت ان امر الله تعالى ونهيه ليس شاملا للعصاة المخالفين فيلزم ان لا يكونوا مكلفين بذلك وان لا يكونوا عصاة ولا مخالفين وهو باطل ، قلت : لا يلزم عدم تكليفهم بذلك الامر والنهي وإن كان ذلك[1] وارداً في حق غيرهم لأنهم قابلون موافقة بحسب العادة الظاهرة لهم وبعرضهم أن توجه عليهم أمر ضد ذلك ونهي عن ذلك ، لأن امرهم ونهيهم اختصاص بهم من الشريعة بهذا الاحتمال لا تفصيلا

(1) « ب » كذلك .

وتسميتهم عصاة ومخالفين إنما هو بالنسبة إلى ما وردت به الشريعة فقط من أمر السعداء ونهيهم ، قال تعالى في أمر الخاصين بهم : (نحن خلقناهم وشددنا أسرهم وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا) فتحصل من هذا كله أن أمر الله تعالى واحد وهو أمر التكوين فقط كما قال تعالى : (وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر) وهو متوجه من الأزل على الإيجاد بما قدره الله تعالى على عباده السعداء والأشقياء ، فالحقيقة هي معرفة هذا الأمر الواحد ومعرفة إطاعة جميع العباد السعداء والأشقياء له من غير مخالفة ، وأما الشريعة فهي بيان هذا الأمر الواحد ، وتفصيله في المأمورين بحسب استعداد كل مأمور على حدة ، إما تفصيلا بعينه على حاله غير أنه عدل من العموم إلى الخصوص وهو جميع الشريعة حيث وردت في حق السعداء فقط ، وإما تفصيلا بمعنى البيان بطريق المخالفة لذلك الخصوص في أمر السعداء مع ستر خلاف ذلك الخصوص من الله تعالى على البيان وهو حق العصيان ، والمخالفة في حق الأشقياء العاصين المخالفين لأمر السعداء الذي هو أمر نبيهم عليه السلام ، قال تعالى : (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) يعني عن خصوص أمره بسبب خصوص آخر متوجه عليهم[1] ، وفي هذا القدر كفاية في تحقيق هذا البحث وبيانه أوضح من ذلك موكول إلى الكشف الصحيح عند أهله والله أعلم .

(وأوسطها) أي أوسط المقامات في سلوك الطريق إلى الله تعالى بعد وجدان مقام الصبر على مراد الله تعالى أن يجد السالك في قلبه (الرضا) أي القبول وطمأنينة السر (بمراده) سبحانه وتعالى بحيث لا يجد عنده تكلفا في قبول ذلك الذي يريده الله تعالى سواء كان خيرا أو شرا أو نفعا أو ضرا ولا يرى في قلبه حرجا منه . قال الله تعالى في أهل هذا المقام : (رضي الله عنهم ورضوا عنه) وقال تعالى : (واتبعوا رضوان الله) وقال تعالى : (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية) ، ورضاؤهم في الحقيقة هو رضا الله تعالى عنهم وجميع ما يريده الله تعالى خير ، والرضا لا يكون إلا بالخير ، وأما الشر فهو مصروف عن الخير

(١) ب : خصوص أمر آخر متوجه عليهم .

بعدد خلق الله من النفوس التي هي الألواح والكراسي للعروش ، وكل عرش هو المستوى الرحماني وكل كرسي هو موضع تدلي القدمين : قدم الخير وقدم الشر .

وعوالم الله تعالى بعدد الانفاس ، وفي كل نفس عوالم لله تعالى لا يعلمها الا هو ويعلمها من يشاء من عباده فيعرفون ما يرون به عليهم ، فيجد عوالم اهل الطاعة كلها ملائكة مسبحة مقدسة لله تعالى ، وعوالم اهل المعصية كلها شياطين مطلقة مختلفة الاشكال والصور ، وفيهم ملائكة محبوسة بسلاسل من حديد يسبحون الله تعالى فيخلق الله تعالى من تسبيحهم ملائكة على غير صورهم مطلقة تسبح الله تعالى ايضاً بلغات غير لغات الاولين[1]، قال تعالى : (ويخلق ما لا تعلمون) .

(وآخرها) أي آخر المقامات بعد وجدان مقام الصبر ووجدان مقام الرضا (أن تكون) نفسك بحسب الوجدان قائمة (بمراده) سبحانه وتعالى في جميع الاحوال فيرون بعد الصبر على مراد الله تعالى والرضا بمراده تعالى فلا تجد ما تظهر لك منك أو من غيرك مشقة تصبر على تلك المشقة ولا لذة وفرح ترضى بتلك اللذة وذلك الفرح بل تجد جميع ذلك صادراً منه تعالى على مقتضى ارادته المقدسة فلا يبقى لك وصف من نفسك أبداً وتبقى اوصافك ظهور اوصافه تعالى لك على حسب استعدادك ، وهذا هو الاحصاء الوارد في قول النبي صلى الله عليه وسلم : « إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة » يعني من ظهرت عليه واتصف بها دخل جنة الذات الأزلية وتنعم بالصفات والاسماء بين امريه ومن النظم في هذا الباب قولي :

خادم الله يخدم العز بابه[2] وتقود العلا بسر ركابه
وله من رضا الاله وشاح وعليه سهامه ومهابه
والسعيد السعيد من شملته نظرة منه أو حبته خطابه
طوبى ان كنت يوماً تراه راضياً عنك قد أصبت صحابه
واذا كان ساخطاً فيك سرعة انما الله ساخط فتشبه[3]

---

(١) « ب » بلغات الاولين .
(٢) « ب » يخدم العز والتفاخر بابه .
(٣) « ب » انما الله ساخط فتنابه .

ذكر الشيخ رضي الله عنه طريقه ساوى فيه بين العلم والعمل الذي هو المجاهدة بالشريعة الموصلة الى عين الكشف (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) فقوله (فعلم) يعني علم الشريعة والدين المتعلق بالاعتقاد والمتعلق بالعمل على الوجه الأتم (طريق العمل) أي موصل الى العمل وملجئ اليه في الحال مع نية الإخلاص إذ كل علم عمل به عالمه ولو اعتقادا كالعلم بالربا مثلاً ، فهو علم ان الربا حرام وتعتقد حرمته فاجتنابه عمل بعلمه واعتقاد حرمته عمل آخر بعلمه ، فإذا فاته اجتنابه لم يفته اعتقاده ، والاعتقاد أفضل من الاجتناب لأنه من الأعمال ، والاجتناب من عمل الجوارح ، وترك الإيمان كفر ، وترك عمل الجوارح فسق ، فلم يخل علم من عمل مطلقاً .

واما الحديث الوارد بالوعيد لمن لم يعمل بعلمه لا فعلاً ولا اعتقاداً مطلقاً ولاشك في أنه حينئذ اشد من كفر عابد الوثن لأنه عبد الوثن على جهل منه ، وهذا الكافر على علم فلا جهل منه (والعمل) بالعلم المذكور الذي هو علم الشريعة والدين اعتقادا وامتثالا بالجوارح واجتنابا وإخلاصا (طريق العلم) أي علم الحقيقة ، يعني موصلا ومفضيا الى حصوله من غير تأخر ، قال الله تعالى : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) أي العاملون بعلمنا الذي أرسلنا به رسلنا لنعلمنهم(١) من لدنا علما وسنهديهم ، وهو العلم اللدني الذي علمه الله تعالى للخضر عليه السلام كما قال تعالى : (آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما) وقال تعالى : (واتقوا الله ويعلمكم الله) ، فطريقة التقوى وهي العمل بعلم الشريعة والدين كما ذكرنا ، وهذا العلم اللدني هو معتبر في مسمى العلم وهو افضل من العلم الكسبي لأن العلم الكسبي هو علم الشريعة والدين ، وهو العلم بأحكام الله تعالى اعتقادا وعملا ، وهذا العلم اللدني هو العلم بالله تعالى ذاتا وصفات وأسماء وأفعالا وأحكاما على وجه الكشف والشهود ، ولا شك ان العلم بالله أشرف من العلم بأحكامه لتعلق الأحكام بغيره تعالى دون العلم به ، ولأن الكل أشرف من البعض .

---

(١) « ب » لنعلمهم .

فإن قلت : العلم بالحكمة الله تعالى من جملة العلم بالاعتقادات الشرعية ، وهي العلم بالله تعالى ذاتاً وصفات وأسماء وأفعالاً فقد دخل العلم اللدني في العلم الكسبي ، قلت : نعم العلم بالاعتقادات الشرعية داخل في العلم بالحكمة ، وهو العلم بالله ذاتاً وصفات وأسماء وأفعالاً ، لكن لا يعتبر ذلك في الشرع الا اذا كان على وجه العجز والتسليم كتسليم الأكمه بالألوان ، فالعلم على هذا الوجه ليس بعلم الا حكماً شرعياً بل هو جهل محض بالله تعالى وتقليد للأنبياء عليهم السلام فيما جاءوا به عن الله تعالى ، وأما اذا كان على وجه الفهم والدخول بالعقول في معاني ذلك الوارد فهو بدعة وضلال وليس بعلم شرعي أصلاً ، فليس هذا من العلم اللدني الكاشف صاحبه عن تجليات الحق تعالى في كل شيء من غير تشبيه ولا تعطيل الى غير ذلك من المعارف والحقائق .

فإن صاحب العلم اللدني هو الوارث للأنبياء عليهم السلام لأن علوم الأنبياء عليهم السلام وهبية لا كسبية ، والعلم الشرعي كسبي لا وهبي ، والعلم الكسبي علم النبي يكتسبه العبد بنقله عن غيره حتى يمثله ويدونه عنه بالوسائط وتتلقاه أفهام الرواة وينتهي العلم به ميت عن ميت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والعلم اللدني(1) علم الله تعالى يهبه تعالى الى العبد بلا واسطة وليس ينال كل عبد بل لا يحصل الا لعبد حي بحياة الإلهية أماتت نفسه المقبل على ربه القائم في باطنه وظاهره بربه لا بنفسه ، فهو علم من الحي الذي لا يموت الى الحي الذي لا يموت ، وصاحب العلم الكسبي عبد جاهل يتحقق بحسب علم غيره وهو النبي صلى الله عليه وسلم لا غيره ، وصاحب العلم اللدني عبد لا جاهل عنده لأنه لا علم له من نفسه بل علمه من ربه تعالى ، (إنما يخشى الله من عباده العلماء) أي العارفون به تعالى عن الكشف والشهود ، فإنه من لا معرفة له عاجز عن معرفته فكيف يخشاه ، وهل نتصور خشية من شيء لم يعرفه ؟ .

وللشيخ شرف الدين بن الفارض قدس الله سره أبيات في العلم الكسبي والوهبي من تائيته وهي قوله :

(1) ب : والعلم الكوني .

ولا تك ممن طيشته دروسه ... بحيث استقلت عقله فستقر(1)

فثم وراء العقل علم يدق عن(2) ... مدارك غايات العقول السليمة

تلقيته عني ومني أخذته ... ونفسي كانت من عطائي ممدي

فعلم الدرس هو العلم الكسبي ، وعلم النفس هو العلم الوهبي كما قال عليه السلام : من عرف نفسه فقد عرف ربه ، وقال تعالى : (ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) أي بسبب علم الدرس حصلوا علوم النفس ، وكونوا ربانيين لا نفسانيين وهو قول الشيخ رضي الله عنه : « العلم طريق العمل والعمل طريق العلم » ، فالعلم الأول علم الدرس والثاني علم النفس ، فعلم الدرس وسيلة الى علم النفس ، وعلم النفس مقصود فهو أفضل من خادمه الذي هو علم الدرس والله بكل شيء عليم •

(والعلم) الذي مذكور (شروط المعرفة) أي موقوف إليها فلا يعرف الله إلا به فإذا أراد تعالى(3) عرفك علماً من عنده خصصك به فتعلمه بعلمه ، وأما العلم الذي أمرك بتعلمه فهو عليك وتوصلك الى معرفته عجزك عن معرفته ووقوفك على الأدب معه وعلى حدوده ، فإذا تأدبت معه واتقيته علمك علمه بنفسه فعلمته به لا بك كما قال تعالى : (واتقوا الله ويعلمكم الله) (والمعرفة) بالله على الاستعداد من علم الذي الوهبي (شروط الكشف) عن الغيب ورفع حجاب الشك والريب ، وقد سبق تعريف المكاشفة وهي الكشف(4) بمعنى واحد (والكشف) المذكور (شروط الفناء) في الحق تعالى بحيث لم يبق من العبد ولا من غيره في تصوره شيء ، وبقي الحق في عينه فقط متجلياً ، وهذا هو الوصول الى الله •

قال النبي صلى الله عليه وسلم في هذا المقام : كان الله ولا شيء معه وهو الآن على

---

(١) « ب » بحيث استقلت عقله فاستفزت •

(٢) « ب » فثم وراء العقل علم يدق عن •

(٣) « ب » فاذا اراد الله تعالى •

(٤) « ب » المكاشفة وهي والكشف •

عنه كذلك ، ومعفواً عنه كان في حق من تحقق بمقام الدوام والاستمرار لا المضي والانقطاع لكونه تعالى (وكان الله غفوراً رحيماً) أي فإنه يزل مستمراً كذلك .

ثم اعلم أن هذه المقدمات الستة التي ذكرها الشيخ رضي الله عنه في طريق السلوك أي ما يتعلق بالعلم والعمل قد تضمن مراتب الحجب الأربع بعبارته الإلهية من غير لبس ولا خفاء [illegible] في الحلق و [illegible] وافٍ بالسلوك والاجتهاد والمجاهدة الشرعية فهو [illegible] ولا [illegible] بعد قطع مسافة العلم الكسبي والعمل ، فإن الحجب الأربع [illegible] المقدمات وإن كان حجب [illegible] في العلم الكسبي والعمل به فهو [illegible] وهذه المقدمات الستة المذكورة هي مقدمة العلم الكسبي الشرعي ثم العمل به على الإخلاص من غير بدعة ، ثم العلم اللدني الوهبي الذي [illegible] العمل مع الإخلاص الخالي من البدعة ، ثم المعرفة بالله تعالى ، ثم الكشف عن الحق في أنواع [illegible] عن كل معقول ومحسوس بحيث يضمحل سوى المعقول ، [illegible] رضي الله عنه بحيث أمر [illegible] ومشغلة المدققات متكلماً عن حضرة [illegible] في مقام الفناء عن نفسه فهو ناطق بحسب حدسه ([illegible]) محبوباً ([illegible]) يا أيها الواصل الى مقام الكشف بفنائه عن سائر الأغيار[1] [illegible] قال تعالى : (يحبهم ويحبونه) [illegible] عنه الأغيار فهم في قبضة [illegible] سواه فاطلعوا على محبته بهم فوجدوا في [illegible] عن كل شيء ، وإذا اضمحلت [illegible] في محبته [illegible] وجعلوا أن شمس محبته أشرق على أقمار محبوبه ، وإن [illegible] هو بعينه نور شمس حبهم ، فوصلوا [illegible] في محبته ثم كشف لهم عن وجه [illegible] حضرة [illegible] ، وبهذا قال الشيخ قدس الله سره العزيز (وفيك) – الواو للحال – أي مستقرة فيك (بقيّةٌ) منك (لسوانا)

(١) « ب » بفنائه بسائر الأغيار .

ى عمر ، ا شبه هي قدمت ... من ستر الاغيار (وذا حولْتَ)
عنك (السوى) كله ... سعيت وجهدت في اضمحلال ... عنك
(تسمــ ـ) ... على ... واجتهدت ... (عنك) أي عن نفسك
(تصلحت ـ) ... ولا حولت سوى ... صلحت ، وهذا هو
الصلاح الذي قال عنه تعالى : (إن ولي الله الذي نزل الكتاب وهو
يتولى الصالحين) ، فما تولاهم الا بعد صلاحهم ولولا صلاحهم ما تولاهم ، والفساد
بعد هذا الصلاح ، وهو ... بعد ... مع ربه قال تعالى : (ولا تفسدوا في
الارض بعد اصلاحها) ، والارض هي النفس كما ان السماء هي الروح ،
والافساد فيها بالقيام بها دون ربها وصلاحها قبل هذا الافساد هو الفطرة[1] التي فطر
الناس عليها وقال تعالى : (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس)
اي بما كسبت ايديهم من الاعمال التي يعملونها بنفوسهم لا بربهم ، فالبر بر
الجسوم والبحر بحر النفوس ، وفسادهما ... صلاحهما ، وقال النبي عليه الصلاة والسلام :
« ان في ابن آدم مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي
القلب » والمراد به هنا القلب ، لان الصلاح والفساد ناشئ منه ، والقلب بمعنى ...
صلاح كله كما قال تعالى : (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب[2]) يعني لا نفس ،
لان اصحاب النفوس لا عبرة لهم بشيء لاستقلالهم بنفوسهم دون ربهم بخلاف اصحاب
القلوب فانهم مع ربهم لا مع نفوسهم (فأوْدَعْنَاكَ) يا ايها الذي صلحت لنا
(سرّ ...) الذي به ... عن الغير من الاكوان وهو غيب الذات الاقدس في
حضرة التجلي الاقدس ، والامانة رفع الحجاب عن العين بعد محو نقطة الغين وظهور
الواحد بعد ... قال تعالى : (يعلم السر وأخفى) ، فالسر ما به قيام
الاوصاف والاسماء ... وهو حضرة الله تعالى مما يلي الكائنات ، والاخفى ما
لا وصف ولا اسم من ... عليه وهو حضرة الله تعالى مما يلي غيب الغيب المنزه

---

(١) « ب » الافساد وهي الفطرة .
(٢) « ب » ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب .

عن العموم ولا معقول ، وقد ذكرنا نسب هذا من العلم في ديوان « سحر الاحداق ونفث الاشواق » قولنا :

شرف ناسوتي بلا هوته — من جل عن نعتي ومعقوته
محجب خلف سجوف الورى[1] — صدا الفتى يثبت عن صوته
عنه به الالباب مشغولة — تحصيلها دل على فوته[2]
وكل من قد مات في حبه — ادرك ما يرجوه في موته

فالناسوت الجسم ، واللاهوت الروح ، ولما نسب الله تعالى الاجسام الى الخلق قوله : (تعجبك اجسامهم) قلت : ناسوتي ، وحين نسب الروح اليه تعالى بقوله : (ونفخت فيه من روحي) قلت : لاهوته ، وقولي : جل عن نعتي[3] ومعقوته ، نعتي نعته لي على مقدار ما جاء في حقه في لسان الشرع ومعقوته هو من حيث هو لا من حيث هو ، وهذا المعنى الاول في المصراع الاول هو مقام السر الاعظم الذي اشرنا اليه ، وفي المصراع الثاني مقام الاخفى المذكور ، والله اعلم بحقائق الامور .

(إذا لم يسق عليك) ايها السالك في طريق الله (حركة) باطنة ولا ظاهرة مستوية في زعمك (بشنيت) بحيث كنت كالميزاب تمر فيه مياه الحركات الباطنة والظاهرة من العلم إلى العمل وهو بيت بعيد لا تعرف به فيما يمر فيه كما قال ابن العربي رضي الله عنه : « من جملة مشايخي في طريق الله تعالى ، الميزاب[4] كان يمر فيه فطر من اعجب علمت منه معرفة الله تعالى » او نحو هذا الكلام ، وفي قوله : عليك بشيء اي ان سبقه الحركات الباطنية والظاهرية[5] الى المعنى فهي لا يمكن العبد التخلص منه الا بمعونة من الله تعالى ، يشير اليه قوله تعالى : (يا معشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات

(١) « ب » محجب خلف سجف الورى .
(٢) « ب » تحصيلها دل على قوته .
(٣) « ب » وقوله : جل عن نعتي .
(٤) « ب » في طريق الله تعالى الميزاب .
(٥) « ب » الحركات الباطنة والظاهرة .

والأرض ... (إلا ...) ... هو المعرفة من الله ... (...) في الله ... شهودك إياه في ... من علماء الراسخين (وإذا لم يبق ...) ... (...) ... زالت[2] من بصرك وبصيرتك كزوال ... على ما هو عليه ... أخر عن الأوصاف الأولى ، وكذلك زوالك انت من بصرك وبصيرتك ... الأوصاف القاصرة عنك وتبدلك بأوصاف أخرى كاملة فلم ... بل ... وهو الحق تعالى ، والله يرى الله (...) حيث لا وجود ... ولا غيرك حينئذ في بصرك وبصيرتك وانما الموجود هو الله تعالى وهو كمال التوحيد ... لا وجود شيء فيه مع الله تعالى ، فإن وجودك ... في ... من كمال التوحيد ، فلما زال وجودك عنك كمل ... كمال اليقين بالله تعالى ، فلما زالت حركاتك عنك لنفسك كمل يقينك .

(...) وهو القلب ... من الأسرار وانطوى عليه من الأسرار وهم علماء الحقيقة الكاشفون عن حقائق الأمور في جميع الأطوار (مع المتقين) الله تعالى في كل شيء على الإشراف المطلق فلا يغيب عنهم على كل حال فهم ينظرون إليه ... بقلوبهم ... على ما هو عليه في كل شيء كما ان ابصارهم ... عليهم ... كل شيء ... الباطن والظاهر فمن نظر بباطنه ... كل شيء ... وهو ... الذي قال : (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) ومن نظر بظاهره الى كل شيء رأى ظاهر كل شيء وهو ذلك الشيء الهالك .

(١) « أ » عنك .
(٢) « ب » بان زلت .

قال تعالى : (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) وفي الآخرة يعلمون ان الله هو الحق المبين ، فالدنيا كلها عبث إلا الحق والآخرة لا عبث فيها لحق فان جميع ما فيها لله لا مع الله ، والدنيا جميع ما فيها مع الله لا لله ، ولهذا كانت ملعونة ، ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه كما ورد في الحديث وقال تعالى : (إنما الحياة الدنيا لعب ولهو ... الآية) وفي الحديث : « كل لهو ابن آدم حرام إلا ثلاثة » وذكرها بقوله تعليمه قوسه(1) وتأديبه فرسه وملاعبته زوجته ، وهذه الثلاثة هو كل ما يقصد به ابن آدم في الدنيا من الشجاعة والفروسية لدفع الأعداء وكف الأذى ، وبقائه بالنسل فلبقاء النسل وتكثير ذريته فهو لهو بحق لا عن الحق وما عداه حرام ، فالحياة الدنيا بغير الله حرام والآخرة حينئذ خير وأبقى ، وأما الله تعالى فليست الحياة هي الحياة الدنيا(2) بل هي الحياة الباقية التي لا تزول والتي ينقل صاحبها من دار إلى دار لأنه شهيد يشهد الله تعالى في كل شيء ، قال تعالى : (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) وصاحب هذا المقام قتل نفسه في محبة الله بسيف المجاهدة الشريفة في حرب أعدائه من الهوى والشياطين كما يشير اليه قوله تعالى : (فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ) ، وإنما أمرهم بالتوبة أولا لأنهم كانت حياتهم لهو عن الحق تعالى وكل لهو حرام ، ولا خلاص لهم إلا بقتل أنفسهم ، فتوبتهم قتل أنفسهم وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم : « موتوا قبل أن تموتوا » ، وهو موت الاختياري قبل الموت الاضطراري ، وهو موت عيسى عليه السلام الذي قال الله تعالى فيه : (يا عيسى إني مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة) والذين اتبعوه هم الذين ماتوا الموت الاختياري وما عداهم هم الذين كفروا ، أي ستروا الحق عن حقيقتهم الإنسانية التي هي عين وجوده ، وأخبر تعالى في هذه الآية أن

(١) « ب » بقوسه .
(٢) « ب » فليست الحياة فيها هي الحياة الدنيا .

عن أمور الآخرة فهم يشهدون الله تعالى في أرضه يتورعون في وجوده فوق أعمالهم من أهل اللعب واللهو كما قال تعالى : (ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) .

(وأهْلُ الظَّاهِرِ) وهو النفس والحس الذي يحجبون عليه من الحجاب والغفلة عن الحق تعالى ، وهم علماء الشريعة فقط من غير معرفة حقيقته[1] القائمون بنفوسهم في كل ما امتثلوه أو اجتنبوه الداعون إلى الله تعالى على غير بصيرة[2] بل بأنفسهم (مَعَ الإيمانِ) بالله تعالى إيماناً بالغيب كإيمان الأكمه بالألوان ، فهم يتقربون إلى الله تعالى بنفوسهم وعقولهم فلا يرونه لأنهم يتقربون بغيره فلا يرون إلا غيره ، أولئك ينادون من مكان بعيد ، وكونهم مع الإيمان بالغيب أنهم ليسوا في شهود كفروا ، فهم واقفون مع الإيمان بالغيب لا مع الله تعالى كأهل الباطن الذين هم مع الله تعالى في جميع الأمور .

ثم بين رضي الله عنه تفاصيل كل فريق منهم وكيفيته في مرتبته حيث قال : (فمتى تحرك) باطناً أو ظاهراً (قلبُ صاحبِ التعيين) الذي هو من أهل الباطن ، والمراد حركة مسموعة عنده أي قلبه بحيث يقول في نفسه : تحرك قلبي من غير أن تكون تلك الحركة صادرة عن ربه في شهوده ذلك (نَقَصَ نَقْصُهُ) لله تعالى بسبب تلك الحركة التي حركها قلبه فادعاها لنفسه دون ربه (ومتى لم يحضرْ له خاطِرٌ) في شيء غير شهود الله تعالى في ذاته الذي خطر له شهوداً بالله تعالى لا بنفسه على أسرته المطلق (كَمُلَ نقصُهُ) بالله تعالى حيث زوال شهود الغير من عين بصيرته واقتصاره على شهود الحق تعالى في كل ما يشهده الحق تعالى لا بنفسه ، وما أحسن قول سيدي علي وفا المصري قدس الله سره .

تجرد عن مقام الزهد قلبي ... فأنت الحق وحدك في شهودي
أأزهد في سواك وليس شيء ... أراه سواك يا سرَّ الوجود

(١) « ب » الحقيقة .
(٢) « ب » على بصرة .

(ومتى تحرك قلب صاحب الإيمان) بالله تعالى الذي هو من أهل الظاهر حركة نفسية أو ظاهرية صادرة عنه من نفسه (بغير الأمر) الإلهي الواحد الذي به قيام كل شيء على حسب ما هو فيه من الشأن (نقص إيمانه) بالله بسبب تلك الحركة التي تحرك بها قلبه بنفسه لا بأمر الله تعالى في زعمه (ومتى تحرك) قلبه (بالأمر) الإلهي لا بنفسه في زعمه كما هو في حقيقة الأمر كذلك وإن لم يشعر (كمل إيمانه) بزوال نسبة شيء من الأشياء عنده إلى غير أمر الله تعالى الذي قام به كل شيء على مقتضى إيمانه بذلك إيمانا غيبيا .

واعلم أن صاحب اليقين الذي هو من أهل الباطن لا حركة له في بصيرته إذ لا وجود له عنده بل الوجود كله عنده لله تعالى وحده على اختلاف حضراته تعالى ، ولهذا متى تحرك قلب صاحب اليقين نقص يقينه لكونه وجد عند نفسه بسبب حركة نفسه ، ومتى لم يتحرك فيقينه كامل ، وأما صاحب الإيمان الذي هو من عند أهل الظاهر فله حركات في بصيرته وله سكنات لكونه موجودا عند نفسه ، ولكن حركاته وسكناته ووجوده عنده بأمر الله تعالى لا بنفسه ، وعنده الوجود قسمان : وجود الله تعالى قائم بنفسه ووجود العالم قائم بأمر الله تعالى ، ولهذا متى تحرك قلب صاحب الإيمان بغير الأمر الإلهي نقص إيمانه لغفلته(1) عن شهود قيام الوجود بأمر الله تعالى وزعمه قيام حركته بنفسه ومتى تحرك بالأمر كمل إيمانه بجريانه على مقتضى مقامه في قيام الأشياء بأمر الله تعالى .

ثم بين رضي الله عنه التفاوت بين مقام اليقين ومقام الإيمان بقوله : (معصية أهل اليقين) الذين يشهدون أن الوجود كله وجود الله تعالى متنوع بأنواع حضراته في مظاهر تجلياته ولا يشهدون وجودا آخر مع وجوده تعالى ، فإذا عصوا الله تعالى بشهودهم غيره في خواطرهم فتلك المعصية سواء ترتب عليها في ظواهرهم فعل أو لا (كفر) بالله تعالى عندهم أي ستر للحق على ما هو عليه ، والكفر في الشريعة هو الستر ، وذلك لانكشاف الحق تعالى عندهم في كل شيء وعدم التباسه عليهم في شيء من

(1) « ب » لغفلة .

الاسم بفعله ، فإذا ابليس عليه غرة في شيء من نفسه كبر و ... من غروره ، فلبسهم على حسب وسعهم كما قال تعالى : (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) ، وبهذا كان ابليس في عدم السجود ... وبعلمه للملائكة اراد الله تعالى امتحان ابليس والملائكة فأمرهم بالسجود لآدم عليه السلام ، وبقدر ذلك ... في مقام التمكين بي حتى تشهدوني في كل شيء ولا تجحدوني في أي مظهر ظهرت لكم فيه فاسجدوا لهذا المظهر الذي هو ... ظهوره لكم حتى يتبين عندكم صحة تمكنكم بي و ... في ذلك فسجد الملائكة كلهم أجمعون لله وحده الظاهر لهم بآدم عليه السلام من وراء ستر هذه النشأة الآدمية ، وظهر لهم صدقهم في شهود هذا المقام لأنهم كانوا متحققين بشهوده في وقت علمه ابليس أنهم كذلك وعلمه بذلك ، وامتنع ابليس من السجود وظهر منه[1] وللملائكة كذبه في شهود هذا المقام الذي كان يعلمه بهم لأنه كان في وقت تعلمه بهم ذلك مشتغلا بالعلم عن الشهود بعكس ما كانوا هم فيه ، فأظهر الله تعالى ذلك من ابليس بجحوده عن نفسه حيث قال : (أأسجد لمن خلقت طينا) مع أنه ما أمر أن يسجد لمن خلقه الله تعالى من الطين وهو آدم عليه السلام بل أمر أن يسجد لله تعالى الظاهر به — على زعمه — في كل شيء لا غيره تعالى على مقتضى ما كان يزعم من تمام التمكين في شهود الله تعالى وحده في كل شيء وعدم شهود شيء معه تعالى ، فأظهر الله تعالى امتحانه على الصدق في هذا المقام ما كان يعلمه للملائكة امتحانا من الله تعالى له[2] وأظهر تعالى صدق الملائكة عليهم السلام في هذا المقام بعين حيث سجدوا في الحال ، مبادرين لما أمرهم الله تعالى على حسب مقامهم الذي كانوا فيه ، وهو شهودهم الله تعالى في كل شيء وعدم شهود شيء معه تعالى ، وللشيخ الأكبر رضي الله عنه في هذا المعنى من أبيات :

لو أن ابليس رأى من آدم[3] نور محمد عليه ما أبى[4]

---

(١) « ب » وظهر لهم .

(٢) « ب » امتحاناً من الله تعالى .

(٣) « ب » لو ان ابليس رأي من آدم .

(٤) « ب » نور حاها عليه ما ابى .

وقال الشيخ شرف الدين ابن الفارض رضي الله عنه وأرضاه

ولو خطرت لي في سواك إرادة على خاطري سهواً قضيت بردتي

قوله : قضيت بردتي ، يعني على مقتضى مقامي الذي أنا فيه الآن وهو مقام اليقين في شهود الله تعالى وعدم شهود شيء معه تعالى ، وكانت هذه الإرادة حينئذ كردة إبليس كما ذكرنا (ومعصية أهل اليقين) الذين يشهدون أن الوجود كله قائم بأمر الله تعالى وهو غير وجود الله تعالى ، ووجود الله تعالى وراء ذلك يؤمنون به إيماناً بالغيب ، فإذا عصوا الله تعالى بشهودهم شيئاً قائماً بغير أمر الله تعالى فتلك المعصية عندهم سواء ترتب عليها فعل بجوارحهم أو لا (نقص) في إيمانهم ذلك وليس بكفر عندهم حيث إنهم في حال كمال إيمانهم يشهدون وجوداً آخر ، وهو وجود العالم غير وجود الله تعالى فإنما بأمر الله ولم يكن ذلك عندهم كفراً بسبب جعلهم هذا الوجود الآخر الذي هو وجود العالم قائماً بوجود الله تعالى لا بنفسه وكان هذا وسعهم في ذلك فكلفهم الله تعالى به ، فإذا خرج عن شهودهم ذلك شيء[1] ولم يجعلوه قائماً بأمر الله تعالى بل بنفسه كان هذا نظير جعلهم هذا الوجود الآخر غير وجود الله تعالى ، فأوجب نقصان إيمانهم كما أن مقام إيمانهم الكامل نقص بالنظر إلى مقام أهل اليقين الكامل ، وليس النقصان عندهم بكفر بل هبوط مقامهم عن مقام أهل اليقين ومن هنا قيل : « حسنات الأبرار سيئات المقربين » .

(المتقي) لله تعالى في كل فعل أو ترك أي المحترز منه تعالى بفعل ما أمره به وترك ما نهاه عنه مع الإخلاص في ذلك (المجتهد) في تقواه ليلا ونهاراً على كل حال ، ومتى ترك اجتهاده في ذنب فليس بفسق بل هو فسوق حينئذ إن اعتقد ما ينفيه حقاً وإلا فهو كافر ، فالهبوط من مقام التقوى إما إلى الفسق أو إلى الكفر ، وهذا مقام عامة المؤمنين بعد مقام توبتهم ، وأصحاب هذا المقام هم أهل العلم والعمل .

(والمحب) لله تعالى في عين محبته لكل شيء ، إذ كل شيء هالك في بصيرته إلا وجه الحق تعالى ، فمحبته لكل شيء هي محبته للحق تعالى في جميع حضراته الظاهرة

---

(١) « ب » الشيء .

به على حسب ادراكه (متّكِلٌ) على الله حق الاتكال في جميع اموره المستويه ظاهراً وباطناً على كل حال ، وذلك لأن المحبة اول نور من أنوار المعرفة وآخر نور من انوار العلم والعمل ، فالعلم والعمل ينتج المحبة والمحبة تنتج المعرفة ، فصاحب العلم والعمل مجتهد وصاحب المحبة تارك الاجتهاد لاتكاله على محبوبه الفاعل به ما يشاء ، والحاكم عليه بما يريد حتى لو اجتهد او ترك الاتكال ساعة رجع الى مقام المتقي وليس بمحب حينئذ .

(والعارفُ) بالله تعالى الذي استحق له محبته لله تعالى معرفته به تعالى وانتج له علمه وعمله محبته لله تعالى فهو صاحب المرتبة الثالثة علم وعمل فأحب فعرف ، ولو لم يعلم ما عمل ، ولولا انه علم وعمل ما أحب ولولا انه أحب ما عرف ، فالعلم شرط العمل والعمل شرط المحبة والمحبة شرط المعرفة ، والمراد بالعلم العلم بالله وبأحكامه ، وبالعمل العمل مع الاخلاص ، وبالمحبة محبة الحق تعالى ، وبالمعرفة المعرفة به تعالى ، فكم من عالم لكن[1] ليس عالماً بالله تعالى ولا بأحكامه ، وكم من عالم بالله تعالى وبأحكامه غير عامل بذلك او عامل بغير ما علم من ذلك ، جهلاً منه بكيفية العمل أو عامل بذلك على وجه غير مخلص في عمله لله تعالى او مخلص في ذلك غير دوام ، فلا يصل بسبب ذلك الانقطاع الى مقام المحبة فلا يحصل على المعرفة ، وكم من محب التبست عليه محبته بمحبة ما سوى الحق تعالى فظن ان محبته لغيره تعالى ، أو علم ان محبته له تعالى لكن على حسب ما يعلم ذلك الشيء الذي أحبه فكفر بالحق تعالى وهو لا يشعر فانطمست بصيرته عن معرفة الله تعالى ، ولنا من النظم في هذا المعنى من ابيات في ديواننا قولنا :

قف ساعة حتى اعلمك الهوى ... يا من يبيت وللهوى هو عابد
إن المحبة فيك كدر صفوها ... جهل بمن تهوى لأنك جاحد
فلو انمحى عن عين بصرك السوى ... لعرفت[2] من تهواه أنت القاصد
لكن عيونك عن مرادك في عمى ... وتظل تجحد ذاته وتعاند

(ساكنٌ) لا حركة له من نفسه في باطنه ولا في ظاهره وقد زال اجتهاده

---

(١) « ب » فكم من عالم .
(٢) « ب » لرأيت .

بمحبته وزال الكل بمعرفته فهو ساكن لا مجتهد ولا متكل حتى لو زال سكونه رجع الى مقام المحب(1) وزال عنه نور المعرفة . (والموجود) الساكن في نور المعرفة الذي لا حركة له من نفسه (مفقود(2)) عند نفسه(3) ، فوجوده فقده فلا حركة له ولا سكون ، فكما زالت عنه الحركة زال عنه السكون أيضا في مقام الفقد وهذا وجود الحق تعالى مقامه وجوده فهو الموجود المقصود ، وهذا نهاية الوصول الى الله تعالى ومتى ترك فقده رجع الى مقام المعرفة .

ثم بين رضي الله عنه احوال اهل هذه المقامات الاربعة : مقام التقوى ومقام المحبة ومقام المعرفة ومقام الفقد ، فقال : (لا يسكن) ظاهراً ولا باطناً (المتقي) عن الحركة بمعنى فهو مجتهد دائما في التقوى امتثالا واجتنابا (ولا غيره) قوية ولا ضعيفة (يتحبب) بل هو متكل على محبوبه دائماً في كل حال لا يحب الا ما أحبه له محبوبه (ولا حركة) في الظاهر ولا في الباطن (للعارف) بل هو ساكن دائما تحت سطوات القدرة الالهية (ولا وجود) في البصر ولا في البصيرة (للمفقود) بل الموجود عنده هو الله تعالى وحده على كل حال ، فالمتقي مشغول دائماً باجتهاده في مرضاة من اتقاه والمحب مشغول بفقده في وجود من أوجده ، والله تعالى من وراء جميع ذلك محيط .

ثم شرع قدس الله سره في تفضيل مقام المحبة على مقام المعرفة فقال: (ما تحصل المحبة) الالهية الحقيقية التي هي موجودة في كل شيء من انسان وغيره لكن من وجدت فيه سترت عنه بصور الاشياء ، فلو انجلت مرآة القلب زالت صور الاشياء وظهرت المحبة الحقيقية الالهية من نجاسة شرك الاغيار كما قال تعالى : (إنما المشركون نجس) يعني نجاسة الشرك (إلا بعد) حصول (اليقين) بالله تعالى في القلب والنفس برفع عن البصيرة ستر جميع الاغيار فتمحى صور الكائنات

(1) « ب » المحبة .
(2) « ب » المعرفه الذي لا حركة له فيه من نفسه والموجود بربه (مفقود) .
(3) « ب » عن نفسه .

من روح العبد فيرجع العبد عبدا ويظل روحه ... والأمر الإلهي يرجع إلى الله وإلى الله تصير الأمور . وعند ذلك تصير المحبة الإلهية في العبد بعد محو العبد فتكون محبة الحق للحق وهي من عند الله كما قال الشيخ الأكبر رضي الله تعالى عنه من ابيات له :

أدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه فالحب ديني وإيماني

وقول الشيخ شرف الدين ابن الفارض قدس الله سره العزيز :

وعن مذهبي في الحب ما لي مذهب وإن ملت يوما عنه فارقت ملتي

ثم بين مقام المحبة بقوله (المحب الصادق) في محبة الله تعالى (قد خلا) أي فرغ (قلبه مما سواه) أي سوى نفسه بعد خروجه عنها فهو محب لنفسه بعد فنائه عن نفسه ، فالحق محب للحق نظير ذلك قول ابن الفارض قدس الله سره :

فكنت بها صبا فلما تركت ما أريد أرادتني لها وأحبت
فصرت حبيبا بل محبا لنفسه وليس كقول مر نفسي حبيبتي[1]

ومن قول[2] ابن العربي رضي الله عنه :

حقيقتي بها همت[3] وما رآها بصري الخ .. الابيات .

ولي من النظم في هذا المعنى قولي في ابيات :

وعندي الى رؤيا حبيبي تشوق تكسر ومن نفسي عين حقيقتي
ويهتف احشائي على حبيبي الذي فؤادي به صب وما فرط لوعتي
أحن الى داعي صباحا وفي المسا رعاية قصدي في العوالم رؤيتي
وقد وعدتني اليوم نفسي بوصلها غدا نفسي مني شوقه قسمتي

---

(١) المؤلف : لدى الامعان في النسخه التي قرئت على المؤلف . وجدت ان اشارة وضعت بجانب «مر» تشير الى وجود خطأ . غير ان الخطا لم يسجل في النسخة .
(٢) « ب » ومنه قول .
(٣) « ب » حقيقتي همت بها .

ويجوز ان يكون الضمير في قوله من سواه راجعاً الى محبوبه المفهوم من ذكر المحب وإن لم يتقدم له صريح ذكر، لكن يلزم عليه ان يكون عنده مغايرة بينه وبين محبوبه فلا يخلو قلبه من سواه وهو عنده سوى محبوبه (ومن داه عليه) أي على المحب الصدوق (بقية محبة بسواه) أي سوى المحب الصدوق من حيث انه غير محبوبه، وانسوى صادق بالمحب الصدوق من حيث هو في نفسه (فهو) أي ذلك المحب الصدوق (ناقص المحبة) حينئذ إذ وجدت فيه محبة سوى محبوبه فهو يعتقد وجود سوى محبوبه ولا وجود سوى محبوبه في حقيقة الأمر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أصدق كلمة قالها شاعر قول لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل ... الحديث» والباطل عدم والعدم لا وجود له، وإنما الوجود للحي القيوم ظهرا بمظاهر أسمائه وصفاته متحولا في أطوار تجلياته كما ورد في حديث مسلم: «ان الله يتحول يوم القيامة في الصور» وهو تحول يرجع إلى ازالة حجب العبد كما تطرد الظلمة بظهور النور فيتبين كل مستور فتبين ان بصيرة هذا المحب حينئذ قاصرة حيث خفي عليها ظهور الحق تعالى في طور من اطوار حضراته العلية والحضرة القاصرة جميع شؤونها قاصرة، فمحبتها قاصرة فهو حينئذ ناقص المحبة بهذا السبب.

ثم بين مقام الفقد بقوله: (مَنْ تَلَذَّذَ بالبَلاءِ) الذي يرسله الله تعالى اليه على يد نفسه او غيره بأن وجد للبلاء عنده فرحاً وسروراً مع انه يقتضي الحزن والألم (فهو موجودٌ) حينئذ قائم مع نفسه حيث وجد منه مقدار ما يصرف به عنه الحزن والألم ويجلب له به الفرح والسرور ولو كان مفقوداً ـ كما يزعم عن نفسه ـ لكان قائماً بالحق تعالى لا بنفسه والحق تعالى ما أرسل اليه ذلك البلاء إلا ليدركه به الحزن والألم كما ورد أن عارفاً بالله تعالى جاع يوماً فبكى فقال له مريده: أتبكي من الجوع؟ قال: ما جوعني إلا لأبكي، وورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه بكى يوم موت إبنه ابراهيم، ومعلوم انه أكمل حالا من ذلك الولي الذي ضحك لما مات إبنه فقيل له في ذلك فقال: كيف لا افرح بشيء اراده الله تعالى، وقد اتفق لي هذا لما مات

من تيقن أنه كان في غفلة فقصده بعض مسخري عرشي في ذلك فهو إذاً ابن اصطفى نفسي من الفرح والسرور حتى غلب علي التصحيح في ذلك فكلمته جهدي كي لا أنسب عنده في شيء فعل ، ثم عرفت في نفسي(١) التصفية بعد ذلك حينئذ عنه جرياني على مقتضى ما أراده الله تعالى من جعل الدنيا علامة عليه ، والحاصل أن العبد ما دام في مجاهدة النفس والهوى في شغل فيتلذذ بالبلاء الذي به حينئذ ، فإذا غاب عن ذلك بشهود ربه في كل شيء على الأمر المطلق بقي الكمال في حقه جريانه على مقتضى صنعه إذ لا غير الله عنده حينئذ فكيف يتكلف لشيء ولا شيء .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : «أنا وأتقياء أمتي براء من التكلف» ، وقال تعالى له عليه السلام : (قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ) ، وعدم التكلف يقتضي جريان الأمور على حسبها ، فإن قلت في هذا الذي ذكرت اتباع الهوى والاسترسال مع ما تقتضيه الطبيعة وتميل إليه النفس وهو مذموم شرعاً فكيف يكون الكمال بالتكلف على الوجه المشروع(٢) ؟ قلت : اتباع الهوى بهدى من الله تعالى للعبد ، وهو رفع حجاب النفس عنه ليس بمذموم شرعاً . قال تعالى : (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ) ، فلو اتبع هواه بهدى من الله زالت نفسه بهداه ولم يكن اتباعه هواه مذموماً حينئذ شرعاً وهو المراد بعدم التكلف .

(ومن سعد بنعمته) أي الفتح وهي ما يسديه الله تعالى إلى عبده من العطاء والمنح في الظاهر والباطن مما يقتضي الفرح والسرور (فهو موجود) مع نفسه حينئذ حيث وجد منه الفرح بنعم الله تعالى ، فلو تلذذ بنعمة ربه لا بنفسه لم يكن هو موجوداً عند نفسه ولم يبق معه الفقد إذ لم يتكلف التلذذ بنفسه إذ لا نفس له مع ربه لا سيما وقد نسب الله تعالى النفس إليه في قوله : (وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ) كما نسب الروح إليه أيضاً في قوله : (وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي) ، وهذه النسبة نظير نسبة العبد كله إليه تعالى في قوله : (لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ) وما نسب

---

(١) «ب» ثم عرفت نفسي .

(٢) «ب» فكيف يكون الكمال بالتكليف على غير الوجه المشروع ؟ .

الله تعالى النفس إليه إلا بعد أن خرج العبد عنها فلو لم يخرج عنها كانت نفس العبد لا نفس الرب ، فلا يتم مقام الفقد حينئذ .

(فإذا أفقدهم) أي أفقد الحق تعالى العارفين به (عنهم) أي عن نفوسهم بأن عرفوهم أنفسهم أنها لله تعالى عندهم فعرفوه بها فكانت نفسه لا نفوسهم فحذرهم الله تعالى منها فكانت نفسه لا نفوسهم فحذرهم الله تعالى منها أن يسموها أنهم بعد ذلك حسب قوله تعالى : (ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد) وأخبر تعالى أن مصير نفوسهم إليه وأخبر أنه رؤوف بهم إذا تركوا نفوسهم له حذراً منهم عدم قدرتهم على تحمل شدائدها في الدنيا والآخرة (ذهب) عنهم حينئذ (التلذذ بالبلاء والنعمة) فذهاب من يتلذذ منهم بذلك وهو نفوسهم فيبقى البلاء والنعمة على العبد من جهة الرب على البلاء والمحبة له في مقام الفقد فلا تجد أن أحدا يتلذذ بهما ولا يتألم بهما فرجعتا إلى الرب تعالى فتلذذ منه مقتضاهما في العبد فيظهر الله تعالى في ذلك العبد مقتضاهما من الحزن والفرح فتكون العبد حينئذ قابلا ذلك بربه لا بنفسه فلا يخرج عنه مقام الفقد ، وقد يظهر بمقتضى طبعه وبشريته .

ثم شرع في ذكر التفاوت بين مقام المحبة ومقام الفقد لأن صاحب مقام المحبة محب ، وصاحب مقام الفقد محبوب وشتان بينهما فقال : (المحبّ) الصادق لله تعالى وهو الذي انجلت له محبته كل شيء ، وهو نفسه وذهب عنها صدأ الأشياء كلها فرجعت إلى محبة الحق للحق (النفسة) أي الكلمة التي يتكلم بها من الأنفاس من فم المتكلم وهي الهواء الداخل والخارج إذا خرجت من الحروف ومرت على قوالب مخارج الحروف صار حروفا ثم تركبت بترتيب مخصوص فصار كلمة ثم ترتبت الكلمات فصار كلاما ومن ثم شيء عن الهواء الخارج من الحروف المسمى نفساً ، فمن هذا السبب يعبر عن الكلمات بالأنفاس (حكمة) أي إخبار عن حقائق الأمور لا بما يظهر منها كالقشر عنه ، والحكمة في الأصل إتقان الكائنات بحيث لا يكون أتقن منها[1] ، وجميع مخلوقات الله تعالى على هذا وصفها كما قال الإمام الغزالي رضي الله عنه : ... في الإمكان

---

(1) « أ » بحيث لا يمكن اتقن منها .

يدع منه كان وما كان يكون ، ومعنى ذلك أن ما يفصل من الكائنات قد أبدع منه وجعل الله تعالى فيه توجد في الدنيا والآخرة ، لأن منه الموجود الأول المفصل إبداعا وكان المفصل محلا في حقيقة الله تعالى لحقيقته بشيء من السموات والأرض ، والمفصل عن الله محل فأبدع منها محل .

ويطلق الحكمة على العلم بهذا التفصيل الذي في الكائنات وهو علم حقائق الأشياء على ما هي عليه من قيامها بالحق تعالى وهلاكها في وجهه تعالى بالنسبة الى وجهه سبحانه الى غير ذلك[1] من المعارف الإلهية والحقائق الربانية ، وهو علم أهل الله تعالى الذي اختصهم به دون غيرهم تفضلا منه على فهم ذلك من غير واسطة أحد ليكون مقدمة العلم به تعالى .

قال عز وجل : (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا) وقال تعالى عن داود عليه السلام : (وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ) والحكمة ما ذكرنا من معرفة حقائق الكائنات وفصل الخطاب أي الخطاب الفاصل وهو خطاب الله تعالى نفسه بنفسه في الأزل حين فصل فيه ما يبرز من هذه الكائنات الخارجة من العدم شيئا فشيئا وهو علم بكلمات الله التامات وهو علم الأمر والحكمة علم الخلق ، فيكون الذي آتاه الله تعالى لداود عليه السلام هو الخلق والأمر من حيث رجوعه إلى الله تعالى والله تعالى له الخلق والأمر ، فصار هو أيضا له الخلق والأمر خلافة إلهية ، قال تعالى: (يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ) والخليفة له ما للمستخلف (والمحبوب) لله تعالى وهو المقصود عند نفسه أعلى مرتبة[2] من المحب ، لأن المحب طالب والمحبوب مطلوب ، والطالب تعبه على مقدار مطلوبه ، وطالب الله تعالى مطلوبه عظيم فتعبه عظيم ، والمطلوب راحته على مقدار طالبه ، ومطلوب الله تعالى طالبه عظيم فراحته عظيمة ، وشتان بين التعب العظيم والراحة العظيمة ، وحقيقة المحب والمحبوب الحضرة العلمية الأزلية ترجع الى الله تعالى من كونه أحب نفسه بنفسه فهو المحب نفسه وهو المحبوب نفسه ، وعلى كل واحد علامة خارجة من العدم تسمى العالم لأن غيرهم يعلم بها فهي علامة عليه ، فالمحب من كونه تعالى محبا طالب

---

(١) « ب » وهلاكها في وجهه تعالى الى غير ذلك .
(٢) « ب » مرتبة .

ابدا والمحبوب من كونه تعالى محبوبه مطلوب أبداً ، وهما مقامان معوزان على كل شيء ، فكل شيء محب بفرد محبوب لغيره ، وللعارف المزية على غير العارف كما قال تعالى : (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الالباب)•

(النفاسة) أي كلماته التي ينفس عن قلبه بها من حمل المعاني (قدرة) يقدر بها على إيجاد كل شيء أراده وذلك لأن المحب اذا كان مشغولا بسمع أوصاف محبوبه ومنهمكا في معرفته ... حسنه حتى صدرت انفاسه أي كلماته التي ينفس بها عما يجده في صدره مما هو مشغول به ومنهمك فيه حكمة يحدث بها قلب السامع عن المحب والاعراض عن محبوبه لاستيلاء الغفلة عليه ، فإن المحبوب مشغول باظهار صفاته محبه ومنهمك في معرفته ... حسنه بحيث صدرت انفاسه اي كلماته التي ينفس بها عما يجده في صدره مما هو مشغول به ومنهمك فيه قدرة يوجد بها كلما أراد إيجاده من آثار جماله وانوار كماله •

ثم ذكر التفاوت بين مقام التقوى ومقام المحبة بقوله : (العبادات) جمع عبادة وهي ما يفعله المتقي في مجاهدة نفسه لطلب مرضاة ربه امتثالاً واحتسابا (للمعاوضات) جمع معاوضة اسم لما يعوضه الله تعالى للعبد جزاء على عبادته له وهي الثواب في الآخرة والنجاة من النار ، يعني ان العبادات موضوعة شرعا للمعاوضات سواء كان قصد العبد بها المعاوضات أو لم يكن قصده ذلك بل أخلص فيها لوجه الله تعالى (والمحبة) أي محبة الله تعالى وحده في عين محبة كل شيء دون ذلك الشيء (للقربات) جمع قربة إسم للحالة التي يكون فيها العبد منكشف البصيرة عن حجاب الحق تعالى في حقائق الاشياء ، يعني ان المحبة موضوعة شرعا للقربات متى وجدت في العبد وجدت قربه الى الله تعالى على أنواع كثيرة ، فالمحبة اشرف من العبادة حيث كان وضع العبادة للمعوضة ووضع المحبة للقربة ، والمعوضة ارادة غير الله تعالى والقربة إرادة الله تعالى •

واعلم ان العبادة والمحبة جهتان يتعاقبان على شيء واحد ، وهو القيام بأمر الله تعالى الذي قام به كل شيء امتثالاً واختياراً ، وإنما يفترقان بالقصد القلبي ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الله لا ينظر الى صوركم وأعمالكم وإنما ينظر الى قلوبكم » ، والمحبة في القلوب ، فنبه عليه السلام بهذا الحديث على فضيلة مقام المحبة على مقام العبادة ، فإن القائم بامر الله تعالى اذا عزل نفسه عن التصرف فيه وولى عليه ربه كان يتلقى جميع ما يصدر منه من ربه فلا يجد له عملاً حتى يسميه[1] عبادة بل يجد ذلك منا من الله تعالى عليه لا عبادة منه لربه ولا يجد في قلبه غير المحبة لله تعالى فقط فيقوم[2] في مقام المحبة بلا عمل كما سيأتي في كلام الماتن[3] قدس الله سره ، واذا لم يعزل نفسه عن التصرف في امره كان يتلقى جميع ما يصدر منه من نفسه لربه فيجد له عملاً فيسميه عبادة ويحتجب عن مقام المحبة لله تعالى فيكون في مقام العبادة وفي ظاهر الامر لا فرق بين صاحب مقام المحبة وصاحب مقام العبادة ، اذ كلاهما قائمان بشيء واحد ولكن الفرق بينهما بحسب القلوب ، فالله تعالى ينظر الى قلب العابد فيجده مشتغلاً بغيره تعالى معرضاً عن تلقي من العبادات منه تعالى ، مدعياً ان له عملا يستحق به جزاء ، وينظر الى قلب المحب فيجده مشتغلاً به تعالى لا يلتفت الى غيره ، ملقياً جميع العبادات حتى المحبة التي فيه منا من الله تعالى عليه معترفاً انه لا عمل له فاذا خرجت خلع الاحسان والانعام من خزائن الجود تعالى خلع تعالى على العابد خلع المعاوضات والمثوبات وبقي المحب بهما لا يطلب شيئاً مما به ملك محبوبه اذا يريد؟ فيقول : أريد ان لا أريد ، ثم ينظر الملك في امره فذا يخلع عليه ؟ فلا يرى له أنسب من خلع القربات وخلع المناجاة فخلعه تعالى على به لا يحجبه شيء غير ذلك اذ كل ما سواه عنده باطل هالك ، فعند ذلك ظهر عين المحب عين محبوب وحدث الموت والمطلوب كما قال تعالى فيما ورد من الحديث القدسي (أعددت) أي هيأت (لعبادي) أي العابدين لي بي

---

(١) « ب » عملاً يسميه .
(٢) « ب » منه لربه فيقوم في مقام العبادة .
(٣) « ب » المتن .

لأنهم في ستري لأنهم لا في غيرهم، فهم لا يعرفون مقامهم في سر غيبته عليهم من ذاته التي هي الذي حجبته بهم عن معرفتهم بي على حسب ما أنه بهم فلم يحسبهم عبادي وهم عبادي الخواص تركتهم كل ما سواي حتى عبادي فلم يشتغلوا عني بشيء غيري ولذا تركتهم من خلق العمى وعندي بهم حففت عليهم من بوجه عصبي على من عصاني (الصالحين) في بواطنهم وظواهرهم لمدخولهم في حضرتي والخلوص على سرائر سجني ومحدمي (ما لا عين رأت) من عيون الخلق مطلقاً ولا أعينهم وذلك لظهوري في أعينهم فإني أريهم ذاتي على التنزيه المطلق فيرون ما لا عين رأت (و) أسمعهم لذيذ خطابي فيسمعون ما (لا أذن سمعت) من آذان الخلق مطلقاً ولا آذانهم (ولا خطر) ذلك المرئي وذلك المسموع (على قلب بشر) في الدنيا ولا في الآخرة ولا على قلوبهم أبداً[1] فضلاً عن أن تكون عين رأت مثله أو أذن سمعت نظيره .

وعلامة تحقق هؤلاء إذا تجلى ذو الجلالة عند الصباح بجلاء جنة عن التجلي العام الذي لأهل هذا الوجود في عالم الدنيا ، وكشف الحجاب عن عين البصر والبصيرة وأذن السمع والسمع عن الأذن الجسمانية والروحانية رأى ذلك العبد ربه عز وجل وسمع خطابه فيعرف أنه رأى ما لا عين رأته وسمع ما لا أذن سمعته[2] ولا خطر ذلك على قلب بشر على كل حال .

وأما التجلي العام الذي لأهل هذا الوجود في عالم الدنيا فقد كشف الله تعالى فيه الحجاب عن عباده الصالحين في جنة الدنيا فرأى العبد ما لا عين رأت من عيون أهل الغفلة والغرور ، وسمع العبد ما لا أذن سمعت من آذانهم ولا خطر ذلك المرئي والمسموع على قلب بشر منهم أبداً ، ولكن هذا في الآخرة أعلى وأتم منه في الدنيا ولا تزال رؤية الله تعالى وسماع خطابه تتكشف وترتقي فيهما العبد من الدنيا إلى الآخرة وفي الآخرة يزداد ذلك بمراتب زائدة لا نهاية لها أبد الآبدين ودهر الداهرين ، وكلما ترقى

(١) ب : ولا في الاخرة ايضا ولا على قلوبهم .
(٢) فيعرف انه راى ما لا عين رأت وسمع ما لا اذن سمعت .

عبد في ...مر مه وحده ... حجاب عنه ولا ... ينكشف ابدا ولا ... حجاب
... وإنه الاحقى حجاب الاحق والاحق ... الأحقى •

وفي رواية اخرى ... المذكور (ما أرادوني) يعني العباد
صاحبان ... (...) ... لاحلي لا لاحل نفوسهم وانا اعلم منهم
... (اعطيتهم) ... المذكور (ما لا عينٌ
رأت) من ظهور جمالي وتجليات كمالي (ولا أُذنٌ سمعت) من لذة
خطابي يوم سؤالي وجوابي •

ثم ذكر كيفية وصول العبد الى مقام المحبة فقال : (إذا أفنيت) يا أيها
العابد ، أي محققت الحق تعالى (عن هواك) أي عن ميلك الصادر منك الى أي
شيء كان (بحكمته) أي بمعرفة حقائق الاشياء على ما هي عليه بالنسبة الى
تجلي الحق تعالى كما ... (و) افنيت (عن ارادتك) به تعالى كما
قال بعضهم : ... من جملة القواطع عنه تعالى شهوة الوصول اليه (بالعلم) الذي
الذي تجده في قلبك من غير فكر ولا ... ، ويحتمل ان يكون المعنى إذا افنيت عن هواك
أي عن ميلك الى الشهوات والمحرمات بحكمته اي بمعرفة عواقب الامور فان عقبى ذلك
الويل والعقاب[1] في الآخرة وهو حكمته الشهوات والمخالفات ، وإذا أفنيت عن إرادتك أي
ميلك الى المأمورات والموافقات بالعلم الذي يكشف لك أن[2] جميع الامور التي تصدر
منك هو خالقها فيك على حسب ما قدرها عليك أردتها أم لم تردها (صرت)
حينئذ (عبدًا) له عز وجل لا تعبده من جميع ما تهوى وتريد (صرفًا)
أي خالصًا في ظاهرك وباطنك على كل حال (لا هوى لك) في شيء من الاشياء
مطلقا ... استحلى عليك بكل شيء (ولا إرادة) لك في غيره أبداً وإنما هواك
به وارادتك به في عين هواك لكل شيء وإرادتك كل شيء ، لأن الأشياء كلها هالكة الا
وجهه ، فوجهه هو تهوى والمراد عندك (فحينئذ) أي حين صرت له عبدا صرفا

(١) « ب » الوبال والعذاب •
(٢) « ب » يكتشف لك عن •

(بكسبه) الله سبحانه وتعالى (لا عن غيبه) أي كان مستوراً عنه بحواسه وإدراكه غيره من قبيل هذا الستر عنه وظهر شيئاً مستوراً عنه بحواسه وإدراكه به تعالى ، ثم زال هذا الستر الذي عنه الآن (فتضمحل) أي تمحق وتفنى بالكلية (ظنونه) أي ثبت به تعالى (في) ضمن تحقيقه (التوحيد) الذي لله تعالى (بمعنى الحقيقة) كما هو في حقيقة الأمر على معنى أنه يزول الالتباس الموجود عن نفسه أي شيء النظر الإلهي بنسبة إلى بعض ما هو عليه متعلق به من الكائنات •

قال تعالى (والله بصير بالعباد) أي هو بصير بهم لهم ، وفي حديث المعرف الموافق : «وكنت بصره الذي يبصر به» (وينبغي أن يرتب معاني) على ما هو عليه في الأزل والأبد ، وهذا معنى قول بعض المحققين حتى يبقى ما لم يكن ويبقى ما لم يزل(١) وما أحسن قول الشيخ عفيف الدين التلمساني قدس الله سره في هذا المشرب العذب قوله :

أرى زمناً عندي يعوض عن نفسي | فما يذهب في الحي يدعوني بنفسي
وهل بعد ضوء الشمس [illegible] | وهل بعدها يبقى على الأفق من نجم
إذا ما دعا الداعي بعلوه [illegible] | ولكن إذا أقبلت عبد على علم
وثم سوى أن اعتبت الاتهام | ولكن إذا حققت من غير ما الوهم
فمن [illegible] وصف [illegible] | عميت الأسكرة من هوى نعم
ويعنى [illegible] | [illegible] الأحي [illegible] إلى العلم

(الشريعة) وقد تقدم بيانها (كلها قبض) لأنها حكم الله تعالى على نفوس المكلفين والنفس من حيث حكم غيرها القبض (والعلم) بالشريعة على ما هي عليه يسمى بعلم الذي وهو الذي يجده النفس على ربه عز وجل بطريق الفيض الإلهي في معاني كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم (كله بسط) لأنه لا يبقى للنفس وجود حتى توجد عندها منقبضة من حكم غيرها عليها،

---

(١) « ب » ويبقى ما لم •

إذ يتحقق منه بنفس عدمها الأصلي فتصير الحجب التي عليه بعد انعدامه ربانية .

فالحق سبحانه وتعالى هو الحاكم من حيث هو في حضرة الربوبية ، والمحكوم عليه من حيث العبد في حضرة العبودية (١) بمعرفته) بناء على التي ينتجها العلم اللدني الوارد إلى العبد من الله تعالى بلا واسطة كعلم الخضر عليه السلام الذي قال الله تعالى فيه : (فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما) فإن إنسانه الأول من الله تعالى وشرحها منه تعالى أيضا (كلّفتهم دلالة) من العارف بربه حيث احترق الحجاب بينه وبين ربه فيصدر منه مع ربه ما لم يصدر من عبد مع مولاه ويحتمل منه ربه ما لم يحتمله من غيره . قال حجة الإسلام الغزالي رضي الله عنه : لا يبعد أن يرضى الله تعالى عن العبد بما يغضب به على غيره ألا ترى إلى قول موسى عليه السلام : (إن هي إلا فتنتك) (ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون) ، وهذا من غير موسى عليه السلام من سوء الأدب لأن من أقيم مقام الأنس يلاطف ويحتمل ، ولم يحتمل من يونس عليه السلام ما دون ذلك لكونه أقيم مقام القبض والهيبة فعوقب بما عوقب به ، وذلك لاختلاف إذ الأخلاق انقسامات أو ما سبق في الأزل من المقادير ، وانظر كيف احتمل لإخوة يوسف عليهم السلام ما فعلوه بيوسف عليه السلام ولم يحتمل للعزير سؤاله كلمة واحدة سأل عنها في القدر ، وقال الحسن البصري : « احترقت أخصاص البصرة إلا خصا وسطها فقيل لصاحبه : ما بال خصك لم يحترق ؟ قال : أقسمت على ربي أن لا يحرقه(٢) ، ورأى أبو حفص رجلا مدهوشا فقال : ما لك ؟ قال : ضل حماري ولا أملك غيره ، فوقف أبو حفص وقال : (لا أخطو خطوة ما لم ترد حماره ، فظهر حماره فورا(٣) .

قال الغزالي رضي الله عنه : وهذا يجري لذوي الأنس وليس لغيرهم التشبه بهم » ، وقال الجنيد رضي الله عنه : « أهل الأنس يقولون في خلواتهم أشياء هي كفر عند العامة » ـ انتهى ـ .

---

(١) « ب » من حيث العبودية .

(٢) « ب » ان لا يحرقها .

(٣) « ب » وقال لا اخطو خطوه ما لم ترد حماره فورا فظهر حماره فورا .

فمعنى قوله : هي كفر عند العامة انهم لا يعرفون معناها الذي يقصده أهل الأنس في خطاب الله تعالى وهم في مقام الادلال والأنس كما لا يعرف الاكمه ما يقصده البصير باللون الابيض والاحمر ونحوه •

(طريقتـنـا) معشر اهل الحقيقة والقوم الموحدون لله تعالى توحيداً ذوقياً شهودياً والمراد بطريقته السيرة والحالة اي هم فيها في الناس والظاهر (كلهـا محبـة) لله تعالى فقط ، وهي ميل القلب الى شهود الرب يعني انا دائماً مائلون[1] الى الله تعالى عن كل شيء راغبون في شهوده عن شهود كل شيء ، مشتغلون في معرفته عن معرفة كل شيء ، متلذذون بمشاهدته في كل شيء عن مشاهدة كل شيء ، لا نعرف ديناً ولا طاعة ولا اعتقاداً[2] ولا شيئاً من انواع العبادات غير المحبة له تعالى •

واما ما يظهر علينا مما يسميه غيرنا ديناً وطاعة واعتقاداً[3] وصلاة وصوما وزكاة وحجاً ونحو ذلك من انواع العبادات فهو عندنا منن ونعم من الله تعالى علينا ، لا حول لنا في ذلك ولا قوة إلا به ، فنحن موصوفون به وهو الفاعل له وحده فينا كما قال الله تعالى لنبيه عليه السلام : (واعْبُدْ رَبَّكَ حتى يَأتِيَكَ اليَقِينُ) حتى إذا جاءك اليقين فلست بعابد حينئذ لأن العبد يحتاج الى نفس يعبد ربه بها ، فإذا اطمأنت النفس بانوار اليقين بقي العبد ساكناً تحت امواج القدرة تحركه كيف شاءت ، فإذا عبد فليس بعابد بل هو موصوف بالعبادة في نظر غيره من أرباب النفوس وليس موصوفاً بها في نظره هو كنظر ارباب القلوب ، فقد انقلبت عينه في عينه وهو على ما هو عليه من قبل ، فهذه طريقة الجماعة من اهل الله تعالى (لا عمـل) أي ليست طريقتنا عمـلا ، لأن العمل له عامل ومعمول له وهي ثلاثة : عمل وعامل ومعمول له ، فقد فات التوحيد مع التثليث بل حقيقة ذلك ان الله تعالى كما خلق العبد باعضائه وقواه الظاهرة والباطنة خلق له جميع ما يصدر منه من اعماله الباطنة والظاهرة قال تعالى : (والله خلقكـم

---

(١) « ب » اننا دائمون مائلون •
(٢) « ب » لا نعرف دينا ولا اعتقاداً •
(٣) « ب » مما يسميه غيرنا دينا واعتقاداً •

وهم يعملون) فهي الغفلة بل نظر العبد إلى نفسه والغفلة عمن هو معه فمن ربه

ان نظر إلى نفسه وأقبل على ربه ، وأهل المحبة لم يغفلوا عن ربهم فلا عوض

لهم بنظرهم إليه ، فلا تصور لهم غفلة عنه بالله على كل حال ، فليس الغفلة في

حق غيرهم بل هو في مرتبة العقلاء المحجوبين عن الله تعالى (و) حاصل الصنف

(الثاني) بكليته عن كل شيء في وجوده على (لا يلتفت) مع شيء من الأشياء

مطلقاً لا نفسا ولا غيرها •

ومعنى الأول بقوله : (إذا دخلت) أيها العبد (في العمل)

الحاصل منه على (كنت) متعلقاً (بنفسك) أي متعلقاً بحصول حظ من الله

او فوز لديه فانت حينئذ مشغول بحظوظ نفسك لا بربك •

(وإذا دخلت في المحبة[1]) الصادقة لله تعالى (كنت) متعلقاً

(بالله) عز وجل لا بنفسك فتعلق محبته فيه بتعظيم ربوبيته بعبوديتك لا بحظ منه او

فوز عنده (العابد) لله هو دائماً (ملاحظ لعبادته) أي ناظر اليها وقاصد

لها مشغول بها منهمك فيها ويلزمه[2] من ذلك ان لا يكون ناظراً الى ربه ولا قاصداً له

ولا مشغولاً به ولا منهمكاً فيه وذلك مقتضى ظاهر حال الغافل عن المحبوب والقائم على

العبادة فهو واقف عند كثرتها وقلتها بنظر الجزاء عليها ، (والمحب) لله تعالى

(ناظر لمحبته) أي ناظر اليها مقبل لها مشتغل بها ويلزمه من ذلك ان يكون ناظراً

الى ربه مشتغلا به معرضا عن كل ما سواه ، لأن المحبة ليست كالعبادة يلزم من الاشتغال

بها الاعراض عن المعبود وذلك بسبب أن المحبة هي محبة واحدة من الرب إلى العبد ثم

تنقلب عند وجود التعلق من العبد إلى الرب كما قال تعالى : (يحبهم ويحبونه)

وإذا كانت في الرب للعبد لا تقتضي إعراضاً عن العبد بل إقبالا عليه ، وإذا كانت في العبد

للرب لا توجب أيضاً إعراضاً عن الرب بل اقبالا عليه بخلاف العبادة فانها ليست[3] من

اوصاف الرب بل هي من اوصاف العبد خاصة وهي مما يتميز به[4] العبد من الرب فمن

---

(١) « ب » (اذا دخلت في المحبة) •

(٢) « ب » ويلزمه •

(٣) « ب » العبادة فانها ليت •

(٤) « ب » مما يتميز بها •

الربوبية في الرب خصة يتميز بها الرب من العبد ، ومن لازم ما يميز ان يوجب اعراض المتميز عن غيره ، فان قلت : ورد أن مجنون ليلى ما جاءه وقلت له : ما أنا ليلى .. قال له : عني اليك فان حبك شغلني عنك ، فقد تصور ان المحبة اشغلت المحب عن المحبوب فأوجبت الاعراض عنه ، قلت : لم تكن ليلى حين جاءته هي محبوبته لانتقال محبته عنها من حيث هي ليلى الى محبته بها من حيث المتجلي فهي الذي اتحها في هذا الوجود ، فقد رجعت محبته الى اصلها لما كان[1] يحب ليلى ويرغب في لقائها وهو غافل عن حقيقة ما وقعت عليه المحبة ، فلما انكشفت عن بصيرته غبار الاغبار لمعت به الانوار من خلف هاتيك الاستار فأعرض عن الدار واقبل على المدار ، لأن السر في الساكن لا في المدار ، وكلامنا[2] هذا يقتضي ان مجنون ليلى قدماً في التحقيق على وفق ما ذهب اليه الشيخ الاكبر رضي الله عنه والله ولي التوفيق .

(إذَا عَرَفْتَهُ) يا ايها العبد أي[3] عرفت الله تعالى من عرفت نفسك وغيرك من حيث تجليه تعالى بنفسك وبغيرك في حضرة علمه القديم وانكرت نفسك وغيرك من حيث وجود آخر غير وجوده تعالى المتجلي به فلا وجود الا الله وحده ، وأنت وغيرك موجودون بوجوده لا بوجود آخر غير وجوده من غير حلول ولا اتحاد (كانَتْ) حينئذ (انْفَاسُكَ) أي كلماتك التي تنفس بها عما يجده قلبك من المعاني التوحيدية والمعارف الالهية والحقائق الربانية (بِهِ) أي بحوله وقوته لا بحولك وقوتك وهو قوله عليه السلام في حديث المتقرب بالنوافل : «كنت سمعه وبصره ولسانه» ثم قال : « وبي ينطق » يعني لا بنفسه اذ لا نفس له لزوالها بمعرفتها (وحركَاتُكَ) الظاهرة والباطنة الاختيارية والاضطرارية في الخير والشر منسوبة كلها (لَهُ) سبحانه وتعالى عندك حيث هي صادرة منه تعالى المتجلي بك في صورتك وانت في علمه عدم محض لا وجدت ولا توجد[4] ولا انت موجود مطلقاً ، وكذلك جميع ما هو حادث

---

(١) « ب » كما كان .
(٢) « ب » وكلا منا .
(٣) « ب » يا ايها العبد اذا .
(٤) « ب » ولا توجدت .

شك (وإذا جهلته) عز وجل بأن نسبت إليه صفة وعرفت موجوداً بوجود
مستقل غير وجود الله تعالى وهو مثله استحالة الإلهية في أحوال الكونية (كنت)
له حينئذ (حركاتٍ) كما أي متحركاً بحركات في النفس والظاهر اختياراً
واضطراراً في الخير والشر ، وهو ذكر الأنفاس لأن الجاهل بالله تعالى لا أنفاس له
تنفس بها عند تحقق في صدره من العموم إذ لا علم له وإنما موضع الغفلة حركات في
قلبه ولسانه (بك) أي منسوبة عندك بشك لاستقلال نفسك وغيرك في زعمك
بوجود آخر غير وجود الله تعالى لأنك جاهل به تعالى ، والجاهل به وجب الانقطاع عنه.

(العابد) لله تعالى وهو الذي يذل نفسه امتثالاً لأمر ربه واجتناباً لنهيه
ظاهراً وباطناً سراً وجهراً (ما له سكون) أي إمساك عن الحركة النفسانية
في عبادة ربه لأنه متى سكنت حركة نفسه عن العبادة خرج عن كونه عابداً ، فهو متحرك
النفس دائم في طاعة مولاه قائم فيها بنفسه لربه لا بربه (والزاهد) أي
المعرض بنفسه عما سوى الله تعالى من الدنيا والآخرة وأعمالهم فوق مرتبة العابد
(ما له رغبة) أي ميل ومحبة شيء سوى ربه تعالى فهو معرض بنفسه دائماً
عن الأغيار راغب بنفسه في شهود الملك القهار فلم يبرح عن الشرك الخفي في ليله
والنهار ، إذ هو مع نفسه وهو يظن أنه مع ربه وما زهد به عين ما زهد عنه لو كان من
أولي الأبصار ، قال القائل :

أأزهد في سواك وليس شيء أراه سواك يا سر الوجود

(والصديق[1]) بتشديد الدال المهملة مكسورة ، وهو الكثير الصدق في
أقواله وأفعاله واعتقاداته ، أو الكثير التصديق بما يجب التصديق به من الغيب وغيب
الغيب ، والصديقية مقام من مقامات القرب ، وهي استواء السريرة والعلانية في العبد
فوق مقام الزاهد والعابد (ما له اركان) أي اعتماد واتكال بظاهره وباطنه
في جميع الأمور على غير من صدق في عبادته وزهده نفسه سواه قولاً وفعلاً واعتقاداً

(١) « ب » (الصديق) .

وهو الله سبحانه وتعالى ومتى اعتمد[1] على نحو ذلك فقد خرج عن مقام الصمدية فليس له اعتماد على شيء ولا على نفسه فهو القائم بنفسه لله (والعــارف) بالله تعالى المتحقق في معرفه العبد والرب والقائم بنفسه في عين قيومية ربه (مــ ـه) نفسه في غير تجلي ربه (حــول) أي تحول وانتقال من مكان إلى مكان أو حال إلى حال أو مقام إلى مقام ، بل انتفاء في جميع ذلك بنفسه القائمة في حضرة تجلي ربه بربه ، فهو بنفسه بربه لا بنفسه فقط ولا بربه فقط ، لأن الذي بنفسه دون ربه صاحب شرك خفي، والذي بربه دون نفسه صاحب سكر واستغراق ليس يعرف بنفسه ولا بربه ، والعارف عارف بهما قائم بهما ليس عنده الا واحد ، ولكن له حضرتان ، فهو يعطي كل حضرة حقها ويقيم الميزان ذا الكفتين واللسان .

(ولا لـه قـوة) على شيء مطلقاً الا بنفسه المعدومة في حضرة ربه الموجود (ولا اختيـار) له في امر من الامور على كل حال الا بنفسه التي هي عنده تجلي ربه العالم به عليه (ولا إرادة) له اصلاً اي ميل الى شيء من الاشياء الا بنفسه الظاهرة له من ربه في تجلي ربه عليه (ولا حركة) له اصلا (ولا سكون) في نفسه وظاهره الا بنفسه التي هي عين تجلي ربه ومن حيث صورة المتجلي بها نفسه .

واعلم ان تجلي الحق تعالى أي ظهوره في الصور غير ممتنع شرعاً ولا عقلا ، أما شرعاً فقد ورد في صحيح مسلم : أن الحق تعالى يتحول يوم القيامة لاهل المحشر في غير صور اعتقاداتهم ويقول : « أنا ربكم » فيتعوذون منه ثم يتحول لهم في صور اعتقاداتهم فيقولون : « أنت ربنا » فيتبعونه ، والحديث طويل ، فقد صح ظهوره تعالى في الصور ، وظهوره تعالى لموسى عليه السلام في صورة الشجرة ذات النار والنور ، وهي شجرة الزيتون في طور سيناء حق بلا شبهة ، ثم ما جاءها نودي يا موسى إني أنا ربك على حسب ما ورد في القرآن العظيم ، وأما عقلا فان الملائكة والجن قادرون على الظهور في اي صورة شاءوا من غير ان تتغير صورهم الاصلية مما هي عليه وهم حادثون ، فكيف الله

(١) « ب » قولا وفعلا واعتقاداً ومتى اعتمد .

تعالى قدرة لا تقدر على ذلك وهو على ما هو عليه من التبدل ، وكذلك الجن

والملائكة لانهم جائز ان يتصوروا بصور كثيرة من غير تبدل ذواتهم ، فان قلت : لو تصور في صورة تبعه في الدنيا لكان تصوره بها لزم ان تكون حادثة كما يفهم ذلك من لا علم له بكيفية تصور الملائكة والجن في الصور المختلفة من غير ان تتغير صورهم الاصلية ، قلت : ليس معنى التصور في الصور من قبيل انحصار العالم في شيء منا حين انحصر صورة الشيء في نفسه من غير ان يتغير نفسه ولا تتغير هو عما كان عليه من قبل ولا مانع في العقل ولا في الشرع من تصور الحق تعالى لخلقه في صور مختلفة لا سيما وقد اطبق العقل والنقل على وصف الله تعالى بالعلم بكل شيء ، قال تعالى : (والله بكل شيء عليم) والعالم اذا اظهر معلومه فقد تصور في صورة معلومه من اطلع على معلومه من غير ان يتغير هو في نفسه ، وهذه المسألة لا ينكرها الا جاهل بالحقائق او متعصب على ارباب الطرائق .

ثم لما فرغ من ذكر العارف الذي هو في مقام الصفات شرع في ذكر المستغرق الذي هو في مقام الذات ولم يذكر حرف عطف لعدم مناسبة مع ما قبله كأنه عالم آخر على حدة فقال : (الموجود) بنفسه في حضرة التجلي وجود الحق تعالى حيث هو في مقام العارف بعد فقد نفسه في نفس المتجلي الحق تعالى حيث هو في مقام الصديق كما سبقت الاشارة اليه (ماله) في نفسه (وجود) ولا في حضرة التجلي عنده غير وجود المتجلي من غير تجلي لخروجه عن الحضرات الالهية واندراجه في غيب الهوية فمقامه جحود مقام العارف كما قلت في هذا الوقت من النظم :

وجـود ثم فقـد للوجـود ويرجع بعد ذلك للشهـود
ونفيـه ويثبتـه التجلـي باكـرام لـه منـه وجـود
فمـن عين الى غـين تراه ومـن غين الى عـين الوجـود
مقام محمـد خـير البرايـا محل واستتار في القيود[2]

---

(١) « ب » انما قدرة .

(٢) « ب » تجلي واستتار في القيود .

(إذا استأنست) أيها السالك في طريق الله تعالى (به) أي بالحق تعالى بأن وجدت الأنس عند شهود نفسك عاملة أحسن العمل في حضرة تجلي ربك بك لا به تعالى من حيث هو فإنه لا أنس من هذا الوجه بالحق[1] تعالى أبداً ولا يمكن ذلك ، لأن المناسبة مرتفعة من الطرفين كما قال الشيخ الأكبر رضي الله عنه من أبيات له في « ترجمان الأشواق » :

وحشية ما بها أنس قد اتخذت في بيت خلوتها للذكر ناووسا

ثم قال رضي الله عنه في شرح هذا البيت : إن هذه الحكمة القدسية لا أنس بها لأن مشاهدة الذات فناء ليس فيها لذة كما قال السياري : ما التذ عاقل بمشاهدة لأن مشاهدة الحق فناء ليس فيها لذة ، وجعلها وحشية أي أنها تشير إلى إمساكها[2] النفوس الشريفة ، وهي لا تألفه لأنها لعدم مناسبة فلهذا جعلها وحشية - انتهى - فيكون الاستئناس بالله تعالى غير ممكن لعدم المناسبة بين العبد والرب[3] .

وقول الناس : محمول على استئناس العبد بنفسه الصالحة التي تجلى عليه بها ربه لا بربه كما ذكرنا ، ومتى استأنس بنفسه كان استئناسه بها من حيث أنها ظهور ربه عنده لا من حيث أنها نفسه ، فمقال استأنس بربه لأن نفسه في علم ربه هي التي يمده ربه منها فيتجلى عليه بها ، فلولا أن فيها سعادته[4] ما أسعده ربه أو شقاوته[5] كذلك ما أشقاه ربه ، قال تعالى : (الذي أعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) وقال تعالى : (وما ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) ولولا أن أنفسهم لها أنفس مثلها في حضرة علم الرب تعالى ما كانوا أنفسهم يظلمون فيتجلى الحق تعالى بأنفسهم التي في حضرة علمه سبحانه على أنفسهم التي في ظاهر الكون ويظهر ما علم

---

(١) « ب » للحق .

(٢) « ب » كما قال السياري : ما التذ عاقل بمشاهدة قط لان مشاهده الحق سبحانه فناء ليس فيها لذة لعدم المناسبه فلهذا جعلها وحشية اي انها تشير الى امساكها .

(٣) « ب » وهي لا تألفه النها لعدم المناسبة بين العبد والرب - انتهى - .

(٤) « ب » سعادة .

(٥) « ب » شقاوة .

منها من خير أو شر والخير فضل منه والشر عدل منه ، فشهودهم في عالمه هي ربهم ، فإذا عرفوها عرفوا ربهم وإذا جهلوها جهلوا ربهم .

قال تعالى : (فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها) وفي الخبر : « من عرف نفسه فقد عرف ربه » ، والاستئناس بالرب هو الاستئناس بالنفس لكن في عالم التجلي لا في عالم الحقيقة ، وأما الاستئناس بالحق تعالى من حيث هو لا من حيث تجليه في صورة النفس فلا يمكن الاستئناس به مطلقاً .

(استوحشت منك) أي من نفسك من حيث هي نفسك وغيرك منها لما ترى فيها من الوحشة والظلمة التي لا تزول عنها عند شهودة الحق تعالى بها .

ثم قال الشيخ رضي الله عنه في شرح الأنس عن الحضرة الأقدس فقال : (من يشتغل) في ظاهره وباطنه (بنا) أي من أعرض عن جميع الأغيار وتعلق بجنابنا (له) لأجل نفع نفسه الدنيوي أو الأخروي بأن يكون مراده القرب إلى الله تعالى والحصول على الدرجات العلى والسلامة من الشرك الخفي وإنقاذ نفسه من المهالك في الدنيا والآخرة فقد (عميت عيناه) عن رؤيتنا وشهودنا في كل شيء بسبب ذلك الغرض الحقير عندنا بالنسبة إلى الذي قصده في اشتغاله بنا وانهماكه بمعرفتنا ، وإذا عمي في الدنيا فهي في الآخرة كذلك ، قال تعالى : (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا) لأن المرء يبعث على ما مات عليه كما ورد في الحديث ، ومن مات على الغفلة فيبعث عليها مع أنه صرف عمره في الطاعة والعبادة والمجاهدة في الله تعالى ، فما بالك بمن صرف عمره في المعصية والإعراض عنه تعالى فهو الأضل سبيلا ، وإن هو الأعمى فقط (ومن اشتغل) كذلك (بنا) وأعرض عن كل ما سواه (لنا) أي لأجلنا لا لأجل نفسه من غير قصد شيء في اشتغاله بنا غير مرادنا منه حتى من خلق اشتغاله بنا كما ورد في الخبر : « يا ابن آدم خلقت الأشياء كلها من أجلك وخلقتك من أجلي فلا تشتغل بما خلق لأجلك عما خلقت لأجله » .

(بصيرته) بتشديد الصاد المهملة على صريح اللغة أي جعله صيره وصيره غير محجوب بل غائباً في مشاهدة كل محسوس ومعقول فلا يحس بشيء ولا يعقل شيئاً إلا ويشهد في ذلك الشيء من غير حلول فيه ولا اتحاد به ، ومما نظمت في هذا المعنى :

سرك المراد له فكان مراداً وجرى بميدان الفناء جواداً
طلب الحبيب لاجله منه ولم يطلب له من نفسه ليناداً[1]
فهو الذي شرب الحقيقة صرفة فاختال إطلاقاً وفك قيادا
وبدا بافلاك الوجود على الورى ... ... خلائف وبلادا

ولنا من النظم أيضاً :

عرف المحبوب فابتهجا وعن الاكوان قد خرجا
... ... غير لحظ العين نهب رجا[2]
ضاق حتى لو تكون له وسعه الدارين ما انفرجا
والهوى والشوق المفه لم يزل في الحب منزعجا
لو لمن يهواه كان درى منزلا من شوقه عرجا
آه من لي لم أجد احداً عنه بالادراك لي بهجا
ليت لو ألقى له سبباً أو ارى لي نحوه درجا
ذاب صبري وامضى جلدي والتواني احرق المهجا
رام بالاكوان يشغلني عنه كي اسلو فشوقي جا
بي عليم غير ان له حكمة تهزا بكل حجا

ثم بين ما ذكر فقال (...) أي ... واضمحل عنك ... (...) ... من اعراض ... (يكشف) الله تعالى (... الحقيقة) التي عليها أمرك

(١) « ب » يطلب له من نفسه ليناداً .
(٢) « ب » غير لحظ العين وهب رجا .

ومن كل شيء فلا الوجود على بصره الذي بصر به كما ورد في حديث التقرب[1] بالنوافل ، فإذا كان الحق تعالى بصره الذي يبصر به انكشفت له حقائق الموجودات على ما هي عليه في نفس الأمر فلا يرى إلا الحق تعالى بصره الذي يبصر به على التنزيه المطلق في تصرفات ، دون غيره حقيقته ووقف على الحقيقة لأنها واحدة وكل شيء بدونها ، فقد انكشف له عن كل شيء الذي هو به عرف الكثرة في الوحدة فبقي عليه أن عرف الوحدة في الكثرة (فقضى) أي صمم عزمه بكلمة (إرادته) لله تعالى وصار الغنى لا إرادة شيء مطلقاً لا يريد الله تعالى ولا يريد غيره ولا يريد خيراً ولا شراً ولا يريد إرادة ولا يريد إرادة (فكشف) الله تعالى (له) حينئذ (عن) معنى (الوحدانية) التي هو موصوف بها على حد ما هو موصوف بها في حقيقته الأمر لا على حسب ما كان يعلمه من معنى الوحدانية في حقه تعالى من قبل (فتحقق به[2]) تعالى لا بنفسه إذ لا نفس له حينئذ وما كان بالله تعالى كان نفسه وما كان بنفسه كان عالماً لا عاملاً فتحقق بما يعلمه من قبل حين وانتهى هو ما يعلمه الآن بالله تعالى فلهذا كان تحققاً (أنه) أي الله تعالى (هو) الموجود وحده (بلا إنية) أي أنه معدوم لا وجود له (معه) سبحانه وتعالى الآن ولا وجدان معه من أحد ولا وجد معه من أحد ، ولهذا كل ما هو سواه سبحانه وتعالى من جميع الأعيان لا وجد ولا وجد ولا هو موجود معه تعالى أبداً وإنما هو تعالى موجود وحده مع كل شيء ولا معه كل شيء ما كان في علمه شيء مطلقاً ، ولا شيء موجود في علمه بنفسه في نفسه ولا وجود له بنسبة إلى الله تعالى البتة ، كما أن الله تعالى موجود في أزله على ما هو عليه لا في عالم الأشياء ، فمن أراده تعالى خرج عن عالم الأشياء بالمرة فكان هو تعالى موجوداً لا غيره معه في أزله مطلقاً .

(فالتمس) أيها المريد مرة في الحضر والبصر (ابتغيه) سبحانه وتعالى فلم يطلبه تعالى منه ولا من غيره ولا ترك طلبه أيضاً منه ولا من غيره بل كشف

---

(١) « ب » التقرب .
(٢) « أ » معنى الوحدانية (فتحقق به) .

... بحقوقه منه تعالى من صفة او وجدت مستسلما اليه على كل حال (قربك)
... امه حينئذ وانزال منه في حضرة على ساحة الاستواء معه لأنك سلمت اليه نفسك فسلم
اليك نفسه (وإن تعصه) من معاصي الظاهر او في الباطن وجدته منه تعالى او
من غيره او ارتكبت معصية منه تعالى او من غيره ولم تكن معه على حسب ما وضعه فيك من
العطب او الموت (أبعدك) عنه تعالى وصرفك عن حضرة القرب بما وضعه فيك
من منازعة نفسك له سبحانه وتعالى كما طرد قبلك ابليس اللعين بسبب منازعته له تعالى
في تفضيل آدم عليه السلام ، وذلك لأنك لم تسلم اليه فلم يسلم اليك فنازعته فنازعك ،
والجروح قصاص .

(إن [illegible] بنفسه) أي [illegible] على (به) أي بعد ما اسوجهه
على [illegible] على [illegible] وانقطعه بإرادة نفسك [illegible] (قربك)
حينئذ به سبحانه وتعالى [illegible] فله وحده [illegible] بعدك عنه وهو
إرادة نفسك (وإن [illegible] بنفسه) سبحانه وتعالى (بك) أي بسبب
إرادة نفسك [illegible] وحده عندك وكأنه في نفسك (أبعدك) سبحانه
وتعالى حينئذ عن حضرة العظيم وصرفك عن شهود وجهه الكريم لأنك طلبته بغيره فحجبت
عنه بما طلبته به ، وهو [illegible] في [illegible] ولا غير في الحقيقة ، فرعيك حجبتك .

([illegible]) سبحانه وتعالى ([illegible]) أي لاحل نفسك بان قصدت
في طلبك به حصول شيء من الحظوظ الدنيوية والأخروية (كلفك) أي
اوقعك في الكلفة وهي المشقة وذلك بأن اقامك في تكاليف الشريعة امرا ونهيا وذلك
لأنك موجود عند [illegible] [illegible] من الراحات فيلزمك ان تقتحم به
حومة ما كلفك به [illegible] غرضها من الشغل بقوم بعده الميزان وتساوى [illegible]
الكفتان ، وكما [illegible] تحت طلبت منه [illegible] طلب هو ايضا منك [illegible] (وإن
طلبته) عز وجل (له) أي لاجله لا لاجل نفسك بأن قصدت في طلب
[illegible] حقيقته ليس [illegible] له على حسب مراده بدنك من اظهار عبوديتك والكشف

(١) « ب » ظهور .

عن رؤيته [illegible] الحبيب [illegible] من الأسرار (دنيت) أي جعلت في مقام الإدلال عليه [illegible] وهو عبث ، فلما زالت نفسك زال عنك كل ما [illegible] توهمته عن تصرف تدل عليه بعد ما كنت تدل بعصمتك بين يديه ، [illegible] من [illegible] راحة [illegible] وتخلص من مرارة الهجر والجفاء بحلاوة الوصل (قربت) [illegible] كما قال : (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) إنما هو (جز وحيد) أي ضمحلال وزوال بالكلية (عنك) أي عن نفسك بحيث تحقق أنه على قيد رؤية [illegible] على إيجاد وإمدادا وعملا وإعدادا (وبعدت) عنه عز وجل كما قال تعالى : (أولئك ينادون من مكان بعيد) إنما هو (وقوفك) [illegible] في [illegible] الأطوار على حيث الإرادة الإلهية والاقتدار من غير شعور [illegible] بهذا الأمر [illegible] واقف مع الغير ولا غير ، وإنما زعمك أوقعك في هذا الصير (معك) أي مع نفسك متحقق بوجودها مع وجود معبودها ومشتغلا بحوائجها عن فعل الله على [illegible] بها .

واعلم أن الحركة الواحدة [illegible] المعدومة إذا ورد عليها أمر الله تعالى بالوجود على وجه [illegible] الا الله تعالى [illegible] أن تقتضي صورة خلقية تسمى شيئا ، فإذا وردت تلك الحركة الواحدة على [illegible] فعل شيء أو حركة اقتضت صورة خلقية اشتغلت بها تلك الحركة الواحدة عن نفسها ، فإذا أعرضت عما اقتضته والتفتت إلى نفسها لتعلم ما هي في نفسها [illegible] صورة أخرى خلقية هي تصوير نفسها[1] ، وهكذا لا تزال كلما أعرضت عن صورة [illegible] صورة أخرى غير الأولى فهي مشتغلة بما تقتضيه[2] من الصور ، [illegible] تعرف ما هي نفسها من حيث هي حركة واحدة عن أمر الله [illegible] كل صورة اقتضتها هي صورتها في طور من أطوارها وشأن من شؤونها وهي لا تعرف [illegible] وتعتقد في تلك الصور كلها المغايرة لها ولا مغايرة ، بل عين تلك الحركة الواحدة عين تلك الصورة ، فإذا عرفت ما اقتضته من الصور حقيقة

(1) « ب » اقتضت صورة أخرى غير الأولى هي تصوير نفسها .
(2) « ب » تقتضيه .

المعرفة عرفت نفسها ، وإذا عرفت نفسها عرفت ربها فهي محجوبة عن معرفة نفسها
بصورها التي تصور نفسها بها كما حجبت الروح بصورها التي صورها بنفسه ، وتلك
الحركة المذكورة هي حقيقة الإنسان الذي هو آدم عليه السلام ومن زاد عليه في الإنسان
من الجسدية والنباتية والحيوانية صور له حجبته عنه ، وهذا معنى قوله عليه السلام .
« إن الله خلق آدم على صورته » وفي رواية : « على صورة الرحمن » وخص آدم عليه
السلام بوجود حقيقة الإنسانية فيه دون غيره من جميع العالم ، وقد عرفتك طريق الله
تعالى فاعرج على هذا المعراج واحذر من الاعوجاج •

(إن جئت) أيها المريد إلى حضرة الله تعالى بأن تثبت على الاشتغال به تعالى
في عين اشتغالك بكل شيء والغيبة عن كل شيء (بلا أنت) أي بدون نفسك ،
وهي الحركة الواحدة الصادرة عن أمر الله تعالى كما ذكرنا قال تعالى : (وما أمرنا
إلا واحدة) أي حركة واحدة ، ثم قال تعالى : (كلمح بالبصر)
تشبيه بما صورت من لمح البصر الذي هو صورتها في الحس ، وقال تعالى :
(ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي) فالروح واحدة والنفوس
كثيرة ، والنفوس الكثيرة هي تلك الروح الواحدة ولا يصدر عن الواحد إلا واحد ،
فالأمر واحد والروح واحدة ووجود الروح كثيرة وهي النفوس الكثيرة ، وهذا طريق
آخر قد عرفتك به إن كنت من أهله ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم •

(فقبلك) فقبل علمك حسن إقبالك عليه وتركك نفسك (وإن جئت)
إلى حضرته تعالى (بك) أي بنفسك واقتصرت تلك الحركة الواحدة منك صورة
وجهتها إليه فاشتغلت بتلك الصورة وغفلت عن معرفة نفسها[1] (حجبت) عنه
[illegible] في كل شيء [illegible] وجهتها إليه فلم تقبل عليه
[illegible] وقبلك عليه [illegible] هي عين [illegible] الذي [illegible]
([illegible]) [illegible] على [illegible] مع الأجناس والمحسوس ، ويرده
[illegible] والأحكام ، ولا فليس [illegible] لأن

(١) ب . واشتغلت بتلك الصورة الواحدة وغفلت عن معرفة نفسها •

عمله من الآفات ، او معه ان علمه ، فالعمل (لا تكاد تخلص) أي

تسلم (من رؤيته) التي لاحظته (عملك) واعتباره في نظره وإن اجتهد نفسه في عدم ذلك ، لأن من أمره ان يشتغل بعمله ليكشف عنه بعلمه ويطلع على حقيقته وسببه ليخرج من عهدة تكليفه به فلا تكاد تسلم من رؤيته والالتفات اليه على كل حال وإذا كان الامر كذلك (فكأن) الاولى بك أيها المريد للوصول الى أوج الخصوص في قصدك الذي كلفت به فعلا وتركا ان تنظر في ذلك (من قبل الله) من الله تعالى عليك بخلق ذلك فيك من غير استحقاق منك له بل محض فضل وإحسان من الحق تعالى عليك ، (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) (ولا تكن) ناظراً ذلك منك (من قبل العمل) الصادر منك به تعالى فتسلم حينئذ و تتخلص من رؤية عملك . فإن اهل الله تعالى لا عمل لهم في نظرهم لشهودهم انه تعالى فيهم فهم اهل منة من الله تعالى حيث خلق ونسب اليهم العمل[1] في طريق اهل المحبة والمعرفة لا في طريقهم ان طريقهم محبة فقط كما ذكرناه فيما سبق ، واما قوله تعالى (فينبئكم بما كنتم تعملون) فهو خطاب لاهل الغفلة والحجاب التي حسبوا انهم يعملون من انفسهم ، وكذلك قوله تعالى : (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله) ، واما قوله تعالى : (إعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور) فهو خطاب لأهل الخصوص بجميع ما خوطب به اهل العموم ، ثم صرف حاله اهل العموم عن اهل الخصوص فتميزوا عنهم بعد ان كانوا مثلهم ، فقد حصل التمييز بقوله : شكراً ، والشكر رؤية النعم ادلة . فالعمل في الصورة للعبد وانه في الحقيقة . والعمل مع شرك خفيا عند رؤيته انه منه ، والعمل غير مقبول منه وحده غير العمل فهي ثلاثة ، ولا توحيد مع الشرك كما سبق ذكره ، وقال تعالى : (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة) ومطلق الشرك يشمل الخفي و الجلي وفي الحديث : « لن يدخل احدكم الجنة بعمله » أي بسبب عمله الموجب للشرك الخفي قالوا : ولا أنت يا رسول الله من

(١) ب ، حسب خلق الاعمال ونسبها الهم والعمل .

فمن قوله تعالى في حقه عليه السلام (لئن أشركت ليحبطن عملك) فسماه عملا وذلك كله للمشركين في أعمالهم، لأن المراد تعريفهم بذلك، وقال: « ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته » ، وظاهر الكلام: فيصرف على رؤية العمل والرضى منه على الوقوف وحده مع الشرك أو شرك محبط للعمل بنص الآية .

(إن عرفته) أيها العبد السالك في طريقه، أي عرفت الله تعالى معرفة يقين وتحققته بحقيقته (سكنت) إليه تعالى، يعني اطمأنت جوارحك الباطنة والظاهرة وسلمت من الحركة والاضطراب في أحوال الدنيا والآخرة ولا يبقى لك حركة ولا سكون، ورجعت إلى عدمك الأصلي في شهود وجوده المصون .

قوله: سكنت أي رأيت حركاتك الأمرية المتحرك بها لسان متحرك وسكنت في عين خالق، وإذا رأيت حركاتك الأمرية رجعت إلى سكونك الأصلي فانعدمت (وإن جهلته) أي الله سبحانه وتعالى بأن لم تعرفه أصلا فلم تعرفه (تحركت) في معرفته بنفسك فاحتجبت بها عنه فوقعت في الريب والضلال واضطربت جوارحك الظاهرة والتي لم ترض بحكمه الأقدار ووقع قلبك في مهالك التعب والأكدار .

ثم أجمل ما فصله من قبل بقوله: (فمراده) أي مراد الله تعالى منك (أن تكون) هو تعالى وحده موجودا في ممكنات الحادث كما هو موجود في علمه القديم (ولا تكون) أنت ولا غيرك أيضا موجودا معه سبحانه وتعالى في الوجود، قال تعالى: (فاعلم أنه لا إله إلا هو واستغفر لذنبك) فلا إله إلا الله: لا موجود إلا هو، ولكن يحتاج هذا المعنى إلى علم، ولهذا قال: فاعلم ثم أمر بالاستغفار بعد ذلك من الذنب، وليس إلا ذنب دعوى الوجود معه تعالى كما قال القائل: وجودك ذنب لا يقاس به ذنب ، فمراده أن تكون هو ولا تكون أنت معه، ثم ابتلاك بتحملك بما كلفك به من الأمر والنهي لذلك فقال: (فينظر كيف تعملون) يعني هل تعملون بالإسلام في الظاهر بأن تقوموا بشعائر تكليفه من الأمر والنهي وعن مشاهدته والوجود معه وقيامك فهلك عن بينة ويحيى عن بينة كما قال تعالى: (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة) .

ثم قال رضي الله عنه : (العوام) من المسلمين وهم الموجودون في حجابهم
مع الله تعالى ، القائمون بنفوسهم في الأسباب الله تعالى ... عليهم السلام ،
المستورون بنفوسهم ... عن ... (عقائدهم)
كلها في ... (مشتبهات) في شرع الله تعالى لا يعلم
أحد صحتها على القطع ولا بطلانها لأنها مبنية كلها من العوام[1] على الشرع الخفي ،
والشرع الخفي غير ظاهر في أحد مخصوص بعينه ، وليس ثم كلمة يترجم عنه متى
سمعت من أحد حكم عليه به ، وكلما تشبه منه ذنب وجب توبته شرعا إذا صدر ممن
يدعي الإسلام كالعوام فيبقى أمرهم في اعتقاداتهم حتى يلقوا الله تعالى فيحكم بينهم فيما
كانوا فيه يختلفون ، ومتى ظهر من أحدهم مراده من الشرع الخفي فليس من العوام
وإلا فهو عامي متهم في العمل والاعتقاد .

(والخواص) وهم الموحدون بالله تعالى لا بنفوسهم ، القائمون بالله تعالى لا
بنفوسهم في الأعمال والأقوال والأحوال (أعمالهم) كلها التي يعملونها باطنا
وظاهرا فعلا وتركا (قربات) يتقربون بها الى الله تعالى ، فكلما عملوا عملا من
الطاعات شهدوا الله تعالى لا نفوسهم فرفعهم ذلك العمل عن حضيض البعد عن الله تعالى
الى أوج القرب اليه تعالى كما ورد في الحديث القدسي : « لا يزال عبدي يتقرب الي
بالنوافل حتى أحبه » (وخواص الخواص) هم العارفون بالله تعالى وبنفوسهم
في تجلياته ، الغائبون بنفوسهم في الأعمال والأقوال والأحوال ظهورا من ظهوراته
سبحانه ، الراجعون من حضرة الخواص التي برزوا فيها من نفوسهم إلى حضرة العوام التي
قاموا فيها بنفوسهم ، كما قيل : « إن النهاية الرجوع الى البداية » ، ولكن قاموا بنفوسهم
في ظهور ربهم بهم ظهورا محكوما بحكم ونصوص ... به ... مفهوم منهم ، فحالة العوام
قاصرة عن حالتهم وإن وافقوهم في الدائرة الصغرى فقد فارقوهم في الدائرة الكبرى
فجاء كلام الله تعالى عن العوام بطريق الغيبة لغيبته عنهم ، فقال تعالى : (والله من
ورائهم محيط) وجاء كلام الله تعالى عن هؤلاء الذين هم خواص الخواص بطريق

(١) ب « لا يعلم احد في صحتها على القطع او بطلانها لانها مبنية كلها من العوام .

الخصوص والخصوص محصورهم عدد قليل على (أنهم من خواص خواصه) .

(أَعْمَيْتَهُم) التي تحليتهم بها عن شهود ما سواك غائبون في شهود الله تعالى عن شهودها كلها بها (دون حجبك) رفعتهم بها عن مقام ... العموم والخصوص والخواص مستورون وخواص الخواص ذاكرون. كما نقل عن سهل رضي الله عنه أنه أرسل إلى أبي يزيد يخبره أن ههنا رجلا شرب شربة فلم يظمأ بعدها أبدا ، فرد عليه أبو يزيد رضي الله عنه يقول له : إن ههنا رجلا شرب جميع الأكوان وفيه فاغر فاه للمزيدة ، فالأولى : حالة الخواص ، والثانية : حالة خواص الخواص .

ثم أخذ الشيخ رضي الله عنه يختم رسالته بنحو ما ابتدأها به مما تقدم فقال :

(كلَّمَا اجتَنَبْتُ) أيها السالك معه تعالى (هَويتُ) أي ملت إلى كل ما سواه تعالى من عدد أو عادة أو معرفة أو شهود (قويَ) أي ازداد واشتد (إيمانك) به سبحانه وتعالى ، إذ لا تجد ما تهواه وتميل له سواه تعالى فتكثر رغبتك فيه فيزيد تصديقك به حتى يصير شيء يغشى به قلبك وتخشع له جوارحك (وكلمَا اجتَنَبْتَ ذاتَكَ) أي نفسك التي هي حجبتك عنه تعالى (قوِيَ توحيدُكَ) له سبحانه وتعالى التوحيد الذوقي الكشفي الحقيقي الذي ليس معه شرك جلي ولا خفي حتى يكمل شهود توحيده تعالى بك فيصير تعالى هو الموجود ذاته بذاته أولا وأبداً ، وأما توحيد بقية الخلق فهو شهود لم يكمل بسبب غلبة الفضول عليه في حضرة من الحضرات الكونيه .

(الخَلْقُ) مصدر بمعنى المخلوق ، والمراد به كل ما سوى الله تعالى من ملك ظاهر وملكوت باطن وجبروت كامن (حُجُبٌ) لك أيها العبد عن شهود نفسك ولم يقل حجب لتسويتهم في صفة الحجابية لأن الواحد منهم حجب كالكثير (وأنْتَ) أي نفسك المحجوب أنت عنها بالخلق (حُجُبٌ) لك عن شهود الحق تعالى ، فأنت حينئذ محجوب عن شهود الحق تعالى بمرتبتين من الحجب : مرتبة نفسك ومرتبة غيرك[1] ، فنفسك حجبتك عن شهود الحق تعالى وغيرك حجبك عن شهود نفسك ،

---

(١) « ب » مرتبة بنفسك ومرتبة بغيرك .

(والحق) سبحانه وتعالى من حيث هو (ليس بمحجوب) عن أحد أصلاً ، إذ لا يحجب الأعظم ، ولا أعظم من الحق حتى يحجبه ، وإنما هو موجود ظاهر كمال الظهور ومع ذلك دليل على غيره كما المعقول ، فهو ظاهر لا غيره ، وباطن لا عن نفسه لكماله بل لذاته وعن حقيقته (ومحتجب) عز وجل (عنك) أي عن نفسك وعن إدراك عقلك به وحسك (بك) أي بنفسك وبإدراك عقلك عنه وحسك (وليس) أيها العبد (محجوباً عنك) أي عن نفسك فلا تعرف نفسك ما هي ، ويلزم من ذلك أن لا تعرف ربك ، لأن من عرف نفسه فقد عرف ربه (بهم) أي بالخلق ، لأنك تنظر إليهم فتشتغل بمعرفتهم عن معرفة نفسك ، إذ هم في الحقيقة صور نفسك ظهرت لك في نفسك عند تجلي الحق تعالى عليك في حضرات مختلفة ، فالمعقولات صور تطبع في النفس على مقدار استعداد العقل ، وهو قوة إدراك النفس بعد الانطباع ، ولهذا يختلف الإدراك العقلي بحسب الأشخاص الإنسانية الفاضلة ، والقاصرة ، وذلك الانطباع عند تجلي الحق تعالى للنفس بأنواع أسمائه وصفاته في حضرة كونه معلوماً بعد تجليه للنفس عنها في حضرة كونه عالماً ، وكذلك المحسوسات كلها صور تطبع في الحواس الخمس التي هي قوى تلك النفس وصور تجليها من كونها عالمة على الجوارح الخمس التي هي : العين والأذن واللسان والأنف وباقي البدن من كونها معلومة ، وذلك الانطباع من تجلي الحق تعالى على النفس أيضاً بأنواع أسمائه وصفاته في حضرة كونه ، مشهوداً عند تجليه بحواس نفسها في حضرة كونه شاهداً ، فهو العالم والمعلوم والشاهد والمشهود وكذلك أنت العالم والمعلوم والشاهد والمشهود لأنك نسخة آدمية ، وقد قال عليه السلام : « إن الله خلق آدم على صورته » ، وفي رواية : على صورة الرحمن ، وقد أشرنا إلى ما ذكرنا من أن جميع الخلق هم صور نفسك ظهرت لك في نفسك بقولنا من جملة أبيات ـ في ديواننا المسمى : « سحر الأحداق وبث الأشواق » :

أنا كل الوجود والكائنات   أنا كل الأرواح كل الذوات
أنا كل العقول بل كل شيء   في جميع الأزمان والأوقات

ليس كل الوجود إلا أسامي   والمسمى نفس نفسك ناسي

والتبسي عليك حين تنسى   كل شيء للقسمة في الآفات

(وتنفصل) أنه المحجوب عن ربه بنفسه وعن نفسه بعدم (عنك) أي عن نفسك التي حجبتك عن ربك وبعد أن تنفصل عن غيرك الذي حجبك عن نفسك (تشهده) أي تشهد ربك سبحانه وتعالى الذي ما غاب ولا يغيب ولا هو غائب أبداً بل هو حاضر ناظر دائماً سرمداً ، وأنت الذي غبت عنه وتحضر بين يديه وتغيب عنه وتفتقر إليه ، فإذا شهدته لا يمكنك أن تشهد معه غيره بل تشهده غائباً عن غيره فقد ذهب اسم الغير عنه ، فالأغيار أسماء لا مسميات لها كما قال تعالى : (إن هي الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان) والأغيار تماثيل لا حقائق لها ، كما قال تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام اذ قال لقومه : (ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون) وإذا ذهب اسم الغير عنه ذهب رسم الغير أيضاً مع ذهاب اسمه فلا شيء يتصور ولا يتكيف ولا يتمثل ولا يتعرف ، بل الله الذي لا إله الا هو الحي القيوم الذي قامت به الأشياء وأمسكت بقدرته جميع الصور في الأرض والسماء (والسلام) أي الأمان منه تعالى عليك حينئذ من كل مخوف في الدنيا والآخرة كما قال تعالى : (ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) . وقال تعالى : (لا يحزنهم الفزع الأكبر) .

إلى هنا انتهى بنا الكلام في شرح الرسالة الشريفة والصحيفة المنيفة ، رسالة قطب العارفين وقدوة الواصلين الشيخ أرسلان الدمشقي قدس الله تعالى سره في الأسرار ، وجعل ضريحه مطلعاً لشموس الأنوار ما تعاقب الليل والنهار .

وقد نظمت قصيدة في ختام هذا الشرح المبارك ان شاء الله تعالى وسرك ، مادحاً بها صاحب هذه الرسالة اللطيفة ، رحم الله تعالى روحه الشريفة ومؤرخاً عام الختام ، وهي هذه الابيات[1] :

(١) مما يشار اليه في هذا الصدد ، ان شيخي المرحوم العارف بالله تعالى الشيخ احمد الحارون الحجار العسال طلب الى الاخ في الله تعالى السيد محمود خدام السروجي اثناء حياته ان يبدأ بتجديد ضريح الشيخ أرسلان الدمشقي ، وذلك بالاسهام مع عدد

[illegible] … [illegible](1)
[illegible] … [illegible]
يا ابا العرفان انت فتى … كم بدا لي منك عرفان
[illegible](2) … [illegible]
[illegible] … [illegible]
[illegible](3) … [illegible]
من رجال الحق [illegible] … [illegible]

من تلامذته ومريديه . وكانت البداية الى المفكر في قيامي بدراسة عن الشيخ ارسلان . ان شيخي قد طلب الي ايضا ان اسطر على الضريح بعض ما جاء في قصيدة الامام عبد الغني النابلسي . الى جانب تثبيت اسم الشيخ ارسلان مع تاريخ وفاته ومكانها . وقد قمت بهذا العمل . وكلفت المرحوم الخطاط نابغة عصره الاستاذ بدوي الديراني بكتابة ما هو مسطور الآن على الضريح . ثم باشرت بدراسة عن تاريخ الشيخ ارسلان وعن علم التصوف والتوحيد واصدرتها في كتابي الاول عنه . واتبعت ذلك بهذا الكتاب ولله الحمد .

وبعد الانتهاء من عمليه تجديد الضريح . وعلى الضبط قبل يومين من وفاة المغفور له شيخنا الشيخ احمد الحارون العسلي أوصى زوجته السيدة النبيلة المحترمة خديجة الحداد امد الله في حياتها . بان تدفن في ضريح الشيخ ارسلان بالذات على يد مريده السيد محمود خدام السروجي . كما أنه في اليوم الذي سبق يوم انتقاله الى الرفيق الاعلى . اكد على صهره الشاب المؤمن والاخ الكريم السيد سعيد الهبري بان يعنى بعائلته . كما اكد على زوجته بتنفيذ الوصية التي اليها اشرنا .

ونقل الوصية الاولى الى السيد محمود خدام السروجي . الابن الروحي لشيخنا الاخ العزيز في الله تعالى الحاج ممدوح النص والاخ العزيز في الله تعالى الحاج محمد الطباع .

وقام السيد محمود خدام السروجي مع اخوانه في حي الساغور المجاهد وفي غيره من الاحياء في دمشق الشام بتنفيذ الوصية على خير الوجوه . ودفن الشيخ احمد الحارون الحجار العسلي في الضريح . حيث يرقد الى جانب الامام « ابو عامر المؤدب » شيخ الشيخ ارسلان . والشيخ ارسلان . وتلميذه ابو البركات . والشاعر الرقيق محمد بن سوار وعدد من كبار الائمة . جزاهم الله عن امتنا خيرا واجزل ثوابهم . المؤلف

(١) قال المؤلف : هذه الابيات ساكنة النون وهي زيادة ساكن في مجزوء الرمل كما هو هنا .

(٢) « ب » غشوم يوم الوغى بطل .

(٣) « ب » ذو الكرامات التي شهرت .

كله صدق ومعرفه ... كله يقين وإيمان
مات حتى في الضريح له ... للهدى روح وريحان
وكأن الترب وهو به ... درس منه فيه قرآن(١)
كان بالنشر مكتسبا ... عيشه في الله فينان(٢)
ينشر الأخشاب وهو على ... من هداه فيه تكلان
لم يمل مال به لسوى ... مع ان المال فتان(٣)
ثم ان الله رام بأن ... عنه للأسرار اعلان
فأراه منه بارقه ... عينها بالكشف هتان
عنده المنشار كلسه ... قائلا : ما فيه بهتان
ما لهذا قد خلقت فدع ... عنك هذا يا أرسلان
وعدا المنشار مكسرا ... حيث منه بان برهان
وهو بحر في ولايته ... كم أبدى منه عدران
صاحب الوقت الذي اقتبست ... من سناه الانس والجان
غوث مثلي كم به كرب ... فرجت عني وأحزان
تقضي حاجات قاصده ... سيما ان جاءه لهفان
نور حق ماله أبدا ... عن دمشق الشام كمان
طالما قد كان مشتغلا ... بالتقى في الله نشوان
وله الاسرار قد كشفت ... وانجلت عنه أكوان
وهو فرد في حقائقه(٤) ... زان منه الحسن احسان
حيث ابدى في رسالته(٥) ... من به كم حار انسان

---

(١) « ب » درس بمن فيه قرآن .
(٢) « ب » عيشته في الله فينان .
(٣) « ب » مع ان المال فتيان .
(٤) « ب » وهو في رقي حقاً .
(٥) « ب » حيث ابدا في رسالة .

علم توحيده محتجب — عن قلوب القوم أزمان
خمرة في الحان صافية — أشرقت من نورها الحان
وحسبوا الكئوس من [illegible] — عند أهل الاسم أعيان
كم به الأرواح منه سكرى — فهي [illegible] أبدان
عندها [illegible] — عنها [illegible] وسرحان
كلما [illegible] حيث روحها — فيح ورد [illegible] وريحان
أطربت سمعي بنغمها — فاستوت في الشجان
والمسك اليوم [illegible] — أودعته فيه آذان
فلهذا قمت أشرحها — وأنا بالسوء ملآن
ثم جاء الشرح وهو بها — من غيوث الفتح ريان
روض حسن يانع ثمر — فيه بالتاريخ غزلان(١)
فاقتطف منه قصد ثمرته — ثمرات فيه أغصان
كل لفظ من عبارته — لأولي الألباب بستان
شاده عبد الغني من — عشقه في الله ولهان
وهو بالتوحيد منتعش — ماله عن ذاك سلوان
شرب الأكوان أجمعها — وهو صاحي القلب صديان
لا لذي كيف ولا شبه — ربه تبيان وعقيان
دينه تجسيم خالقه — وهو أعمى القلب حيران
طبعه كصخر يبس به — رقه والقلب صوان

---

(١) قال مؤلف شرح رسالة الشيخ أرسلان : وقولي بالتاريخ غزلان . فلفظ غزلان بالحساب تاريخ السنة التي فرغنا فيها من تصنيف هذا الشرح اللطيف ، وكانت مدة التصنيف ما ينوف على شهر . فالغين المعجمة ألف والزاي سبعة واللام ثلاثون والألف واحد والنون خمسون . وجملة ذلك ألف وثمانية وثمانون . وقد فرغنا من تصنيفه نهار الخميس الرابع والعشرين من شهر رجب المبارك من السنة المذكورة . والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد الذي لا نبي بعده .

ثم بشمس عشقه … [illegible] وعرج حول
غافل عن رشده إذ … قال ربي فهو كفران
حيث لا يهدي الإله سوى … [illegible] والشوق [illegible]
قذف المعنى عقيدته … من كلامي وهو [illegible]
فذف ورد يانع نضر … عندما شمته جعلان(١)
قل له عني كلامي لم … يبده فكر [illegible]
خل عنك الغي لست ترى … هذه الأنوار عميان
فلكف السوء عن كلمي … إن خلف المنشد [illegible]
ليس قصدي الجاهلون وإن … مدحوا قولي وإن شانوا(٢)
واذا شمس الضحى ظهرت … ما لها بالقول إطمان
ومن الله الثواب لنا … نرتجي والله محسان
وعليه الاجر مكتملاً … رحمة منه وغفران
حيث بالتوفيق ألهمنا … علم قوم قبل كان
ثم أبقانا نفصله … بعدهم طبق الهدى زان
عن أرسلان الاله عفا … وعليه منه رضوان
جنة الفردوس [illegible] … حوله حور وولدان
وسقا قبراً حواه حيا … من عظيم اللطف هتان(٣)
[illegible] الأزمان [illegible] … [illegible] في الروض أغصان

---

(١) « ب » عنه ما شمته جعلان •
(٢) « ب » مدحوا قولي وإن شانوا •
(٣) « ب » من عظيم اللطيف هتان •

فتح الرحمن بشرح رسالة الولي أرسلان

لشيخ الاسلام

أبي يحيى زكريا الانصاري الشافعي الخزرجي

اعتمدت في تحقيق هذا الشرح المسمى . فتح الرحمن شرح رسالة الولي ارسلان ، على نسختين اثنين . احداهما مطبوعة كطبعة .كثيرة الحان وزنه الالحان، اي ان اخطاءها كثيرة . وذلك في مطبعة جريدة الاسلام بمصر سنة ١٣١٧ هـ : وهي موجودة في المكتبة الظاهرية في آخر كتاب . حل الرموز ومفاتيح الكنوز » من تاليف الامام العالم المرحوم شهاب الدين الاستاذ العز بن عبد السلام ، وقد جاء الشرح في آخر الكتاب ، اما النسخة الثانية فقد عثرت عليها مخطوطة في المكتبة الظاهرية ، ورايت فيها الكثير مما يصحح الاخطاء المشار اليها . ولكن لم يذكر فيها اسم الكاتب ولا سنة الكتابة ، وقد ادت بي الدراسة التي قمت بها الى ان النسخة نقلت في القرن الحادي عشر للهجرة ٠

وقد رمزت الى النسخة المخطوطة الموجودة في المكتبة الظاهرية ، بحرف (أ) وجعلتها هي الشرح المعتمد . وللنسخة المطبوعة بحرف « ب » واشرت الى ما جاء فيها او إلى اخطائها بايجاز في الهامش ٠

بسم الله الرحمن الرحيم

• فتح الرحمن بشرح رسالة الولي أرسلان
للشيخ زكريا محمد الأنصاري

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، قال سيدنا ومولانا شيخ مشايخ الإسلام والمسلمين ، فريد أوانه ووحيد زمانه أبو يحيى زكريا الأنصاري الشافعي ، رحمه الله وأعاد علينا من مدده في الدنيا والآخرة بمحمد وآله ، إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير •

الشرح

الحمد لله الذي تفرد بوحدانيته وتعزز بنعوت ربوبيته[1] ، والصلاة والسلام على النبي وصحبه ، وعلى آله وحزبه • وبعد فإن علم التوحيد من أشرف العلوم ، وأشرف ما ألف فيه الرسالة الأرسلانية للإمام العارف بالله تعالى الشيخ أرسلان الدمشقي ، طيب الله ثراه ، وجعل الجنة مأواه •

وحيث إنها كانت من أبدع كتب في علم التوحيد صنفت ، وأجمع موضوع على مقدار صغر حجمه ألف ، استخرت الله تعالى أن أشرحها شرحا يحل ألفاظها ويبين مرادها وسميته بـ « فتح الرحمن بشرح رسالة الولي أرسلان » والله أسأل أن يجعله في حيز القبول إنه أكرم مأمول ومسؤول •

اعلم أن المطلوب هو علم التوحيد[2] ، قال تعالى : (فاعلم أنه لا إله إلا الله)، وهو مستلزم لانتفاء الشرك ، والشرك نوعان : ظاهر جلي وقد ذكره مع أقسامه الإمام الغزالي وغيره وباطن خفي وهو ما استولت عليه النفوس من الأكوان فحجبت بها عن

---

(١) « ب » وتعزز بالنعمة •
(٢) « ب » واعلم ان علم التوحيد مطلوب •

ملقى الله من عند العبد فصار شركاً خفياً بعد عن حضرة القدس شواهد الخير .

وقد ذكر المؤلف بقوله (كلمت) انه عند ذاك وصفه وفعلا (شرك خفي) عشت الوهم والحيث ، فشهد سر الغير كالمراتب والمقامات الزائلة ، فاذا قست عنك العين بان يعلمك الحق وحيد الحق بشرك بنوعيه ، استطرد نفي الوهم والحيث (ومن بعد) في شهودك (وحدت الاله حرجت) اي فيت ان (عملك) وعن سائر الاعيان ، بان تراها كلها من الله ، والله خلقكم وما تعملون ، ونسبة الاعمال اليك نسبة كسبية ، والى الله تعالى خلقية .

فالله تعالى خالق ، وانت كاسب سبب او عرض (فكلما اختصصت) بخروج عن ذلك (يكشف لك انه) تعالى (هو) الفاعل الموجود (لا انت) ، فاذا لم تشهد غيره على انك موحداً له حقيقة ، وهذا الشهود قد يدوم ، وهو نادر ، وقد يكون كالبرق الخاطف ، فاذا الكشف بعد ذلك علمت ان شهودك سابق ذنب (فستغفر منه) اي من شهودك لك ، فتخلو من ذاتك يكشف لك عن علم التوحيد ، الذاتي والصفاتي والفعلي (وكلما وحدت) وعت منه (بدون الشرك) في شهودك ، مع نسبته الى الخلق وهو مقام الفرق (فتجدد في كل ساعة ووقت) بل في كل نفس (توحيدا) به الفاعل الموجود (وايمانا) أي تصديقاً بذلك ، اي ان كمل عنك ، فكلما ارتقيت من مقام فرق الى مقام جمع زاد توحيدك وايمانك .

كما قال (وكلما خرجت) انت (عنهم) أي من تصرفك الى توحيدك (زاد ايمانك) أي تصديقك ، أي في مقام الكشف والمعاينة ، اذ الخروج من أحد الضدين دخول في الآخر (وكلما خرجت) عنه (قوي يقينك[2]) بالوحدانية ، لان الامر قبلت تم منه في غيرك ، وهذه مرتبة الصديقين ، والاولى مرتبة خواص المؤمنين ، واليقين علم بعد شك ، ولهذا لا يوصف به العلم القديم ، ولا العلوم الضرورية ، لكن

---

(١) « ب » حضيرة .

(٢) « ب » (زاد يقينك) .

المراد به ههنا ما ذكر بعد ، وقد يراد به العلم بعينه ، وهو هنا(1) لا يحسن معه النقيض .

واعلم ان خروجك عنك حسن ، وزيادة يقينك غاية للجمع(2) ، بها يستولي الحق عليك ، وهو المراد بحيث كان سمعه الذي يسمع به ، ومن لم يبلغ ذلك لم يخلص عنه ، وكان مغرورا واقفا مع غيره ، ونظره الى العبادات والمكاشفات سيرا به حجبه به ، كما أشار بقوله : (انت اسير الشهوات والعبادات ، اسير العبادات والمكاشفات انت مغرور) بما أوقعك فيه الوهم والحس ، (ان تستعمل به عنك أي الاستعانة به عنك) حجبت بشهوات نفسك والشهوات حجب عن الله عز وجل ، وان وحجبوه وشهوات من العباد) فالواقف مع الشهوات كحال اهل الغفلات ، والواقف مع العبادات كحال بعض اهل المعاملات ، والواقف مع الكشف كحال بعض اهل الارادات ، و الواقف مع المقامات كحال بعض اهل الارادات ، كلهم مشغولون بغيره ، والواقف مع الله تعالى المستغرق به عن غيره فهو المشغول به كحال اهل العنايات(3) .

(وهو على وجه حاضر) معه بعلمه (ناظر) اليك بكلامه : (وهو معك) بعلمه وقدرته وعنايته (معك كنت في الدنيا وفي الآخرة) ، اذا علمت ذلك علمت انه حاضر معك كما يكون لك في سرك(4) وعلانيتك ، فلا تكن معه(5) بالاستغراق في التوحيد لذاتك . (فلا كان معه) كما (حجبت عنك) أي ابعدك عن رؤيته نفسك فتسلم من الشرك الخفي ، وهذه حالة تسمى بقاء في التوحيد وبعده الجمع

---

(1) « ب » وهو لا يحتمل .

(2) « ب » غاية الجمع .

(3) « ب » ابن الاستغال به تعالى (عنك) مع كونك اسيرا لغيره ، وكل من احب شيئا فهو أسيره ، فرب واقف مع المسهوة وهذا حال أهل الغفلات ورب واقف مع العباده وهذا حال بعض اهل المعاملات ، ورب واقف مع المقام وهذا حال بعض اهل الارادات ، ورب واقف مع الكشف وهذا حال أهل العنايات .

(4) « ب » علمت انه معك في سرك .

(5) « أ » فلا تكن انت معه .

(وإن أردت معك) ... (...) أي جعلك متعبداً ... حرق أي حالة الغرق كما مر وفيه يرجع العبد الى عباداته وغيرها .

(...) ... (خروجك عنهم) على ان لا تشاركه في شيء من صفاته(٢) المختصة (واليقين خروجك عنك) أي عن حولك وقوتك ووجودك تشهد ان لا حول ولا قوة ولا وجود الا في محض عجزك وضعفك . (اذا اراد استشهدت) بخروجك عن الأغيار (نقلك من حال الى حال) أي من ضعف الى قوة الى ان يكمل ... وهو ... . وإذا أكمل ... فيحصل الايمان الكامل (وإذا اراد غيبتك) بخروجك عنك وعن ... الأغيار (نقلك من مقام الى مقام) ، أي من معرفته الى الشهود ومن الشهود الى ... ومن مشاهدته الى معاينته ومن معاينته الى الوصل ومن الوصل الى ... الى غير ذلك من المقامات المعروفة لأهلها .

واعلم ان ... شريعة وهي ان تعبده ... وطريقة وهي ان تقصده بالعلم والعمل ، وحقيقة أي العلم ... وهي ان تشهده(٣) ... نور استودعه في سويداء القلب ، وان كل باطن له ظاهر وعكسه ، فالشريعة ظاهر الحقيقة والحقيقة باطنها ، وهما متلازمان معاً ، فشريعة لا حقيقة لها عاطلة ، وحقيقة بلا شريعة باطلة ، ومثلوا الثلاثة بالجوزة ، فالشريعة كالقشر الظاهر ، والطريقة كاللب الخفي ، والحقيقة كالدهن الذي بباطن اللب ، فلا يوصل الى اللب الا بخرق القشر ، ولا الى الدهن الا بدق اللب .

والخلق اقسام : عامة وهم العوام ، وخواص وهم الاولياء ، وخواص الخواص وهم الا... ودونهم الكمل ويترتب(٥) على ذلك قوله (الشريعة جعلك ...) انها

(١) « ب » لعدم استغراقك .
(٢) « ب » صفاتك .
(٣) « ب » وحقيقة وهي ان تشهده .
(٤) « ب » معنى .
(٥) « ب » وهم الانبياء ويترتب .

الضعيف (حتى تطلع شمسه على من) (يطلع عليه خالص توحيده) والا فهي
غيب لا تنال (والحقيقة) تعرف (حتى تطلع) على (رب عز وجل)
لا ند له ولا ضد له (حيث لا حين ولا أين) . بخلاف الشريعة .

(فالشريعة) لكونها أمرا تعبد الشرع بها (محدودة) لكونها بالادراكات
أو بالآلات (ووجهية) لكونها مؤقتة أو غير مؤقتة (والحقيقة لا حد
ولا جهة) لها لأنها سر معنوي ، ولأن القائم بها غارق في الله تعالى قد أعرض عن حظوظ
البشرية لأنه في مقام الجمع لا يزال يتملى الله بالله ، فمطلوبه غير محدود لأنه الحق
المعبود ، ومطلوب القائم بالشريعة محدود (القائم بالشريعة فقط) أي دون الحقيقة
(يحصل على المجاهدة) ، وهي الصبر بمعاناة الطاعات وبالمحبة والعبادة
لمن لا يرى ظهوره ، والمعرفة لمن لا يرى خفاؤه ، (والقائم بالحقيقة يحصل على المشاهدة)
أي شهوده [illegible] ، وقيل المشاهدة ، والمراد بها المشاهدة التي علمها الله للأرواح حين
خاطبهم بقوله : (ألست بربكم) ، والمراد الله بقوله : (وعلم آدم الأسماء
كلها) ، لأنه معهود في الأرواح ، مشهود لها في الوجود وشواهد الصنعة ، فإذا
[illegible] الله [illegible] ، وهو المراد بحصر [illegible] عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم "
فكشف عن قلبه غطاء [illegible] ، فيعرض عن كل مخلوق حتى عن الجنة ، فهذا قائم بحقوق
الربوبية ، و [illegible] بحقوق العبودية والعبودة (و) أي بعد (ما) فالشقة
(بين المجاهدة والمشاهدة) فشتان بين من هو للمجاهدة بغير كشف وشهود في محل الغرق
وبين من كشف له عن سر الإلهية ، فشهد بعين الجمع بالجمع ، فكل من مقامي الفرق
والجمع مطلوب ، لكن في الاقتصار على الأول تعطيل ، وعلى الثاني غرور وابطال ، كما
عرف الأئمة الهداة ، والجمع بين ذلك هو مرتبة عليا ، ففي القاموس شتان
أي بعد ما بينهما .

(القائم مع المجاهدة) لكونه قائما بالشريعة أي عبادته (موجود) بالله

(واقفاً مع اسمه) لكونه قائماً بحقوق ربوبيته مع ... في العبادة (مفقـود) عما سواه تعالى لفنائه واستغراقه به تعالى .

(الاعمال) المتعلقة بكسب ... العبد الظاهرة كالشهادتين واقامة الصلاة وايتاء الزكاة والصوم والحج والجهاد (متعلقة بشرع الشريعة) لانه جاء للتكليف بهـا

(والتوكل) ونحوه مما يتعلق بكمال الذات الباطنة كالزهد والورع والصبر والخوف والرجاء (متعلق بالسير) الى الله تعالى فعلى ما ... ، فالتوكل هو الاعتماد على الله تعالى ، وقطع النظر عن الأسباب مع تهيئتها ، ويقال هو ترك السعي فيما لا تسعه قدرة البشر ، ويقال غير ذلك كما بينته مع فوائد في شرح رسالة القشيري (والتوحيـد) وهو حكمك وعلمك بوحدانية الله تعالى (متعلق بالكشف الصحيح[1]) ، أي بكشف الله عن بصيرة العبدالغطاء أعني حجب الكائنات بأن يفنى عنها ويراها مندرجة في انوار العظمة الربانية والكشف ثلاثة :

كشف نفسي ، وكشف قلبي ، وكشف سري[2] وهو المراد هنا ، ويعبر عن الأول بعلم اليقين ، وعن الثاني بعين اليقين ، وعن الثالث بحق اليقين ، والثلاثة علوم لأنهـا اقسام العلم ، لأن العلم باعتبار معلومه ان تعلق بالذات الظاهرة ، فعلم اليقين او بالذات الباطنة ، فعين اليقين أو بالحق تعالى فحق اليقين .

واعلم ان العلوم مع الكشف منحصرة ومكاشفة ومعاينة ومشاهدة ، وكلها تتعلق بالتوحيـد ، كما بينته في شـرح الرسالـة القشيريـة (الناس تائهون) حائرون (عن الحق) تعالى بطلبهم له (بالعقل) الطبيعي الجسماني لانه بانفراده محجوب عن استجلاء الالهية والمعارف الربانية مقصور على ما في الصور الظاهرة من حسن وقبح وخطأ وصواب ، بخلاف العقل الروحاني النوراني فانه ملكي لا تيه معه .

(والتائهون عن الآخرة) الرئيسة بطلبهم لها (بالهوى) ، أي هوى النفس وحظها ، لانها لا تنال الا بمجاهدة الشريعة (فمتى طلب الحق بالعقل) المذكـور

---

(١) « ب » متعلق بالكشف .
(٢) « ب » كشف سره .

(فقد ضللت) عن الوصول اليه (ومتى ضللت الآخرة للهوى فقد ضللت) عن الوصول اليها .

(المؤمن) الكامل وهو من تطهر من الشرك الجلي والخفي (ينظر بنور الله) ، أي[1] بما من الله عليه من الجود ، إذ به تنكشف الأشياء ، ولذا قال : أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس وفي الخبر : « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » . (والعارف) هو المعرض بقلبه عما سواه (ينظر به) أي بنور الله (فيه) لانكشاف حجاب الغفلة عن قلبه (فإذا دمت اثبات معك) ، أي مع نفسك غير مستغرق فيه (أمر بالك) ، أي كلفت بالمجاهدة ، كما في محل الفرق (وإذا فنيت) مستغرقا فيه (عنك) ، أي عن نفسك (يوصلك) بنور عنايته والفيض وعرضه عليه [illegible] فضل الله تكرمك ، كما في الجمع (فما تولاهم) ، أي السالكين (إلا بعد فنائهم عن ذاتك) ، أي رؤية ذاتك وجودا وعملا وإرادة (فأنت مريد فإذا أفنيت عنك) مولاك (فأنت مراد) ، والإرادة هي إيراد الحق نفسه والإعراض عن كل ما سواه ، والمريد هو السالك المبتدئ الذي يرى له وجودا وعملا ، والمراد هو المحبوب المجذوب بالعناية المسبوق بالله تعالى ، فالمريد حامل للكد ، والمراد محمول عنه الكد ، وشتان بين الحامل المكدود وبين المحمول المعزز .

(اليقين الأكمل) ، وهو علم يحصل بالكشف (في غيبتك عنك ووجودك به) تعالى ، وذلك بأن تغيب عما سواه تعالى ، ولليقين ثلاث حالات : بدايه ووسط ونهايه[2] ، على سواء علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين[3] فبدايته [illegible] الأدوم [illegible] ، ووسطه [illegible] الأمر الأدوم [illegible] مشاهدة بكشف السر وهي أعلا مراتب اليقين ،

---

(١) « أ » الى .
(٢) بداية وتوسط ونهاية .
(٣) علم اليقين وعينه وحقه .

فكن بنفسك مع الله فقط ، وقوله : (فكم بين من يكون بذلك) عن شهود الأغيار والحجاب والمجاهدات التكليفية (وبين من يكون به) عارفاً عن شهود النفس والمتحقق بالربانية .

(ان كنت وثقت بفرد) عن شهود ما في وقته (خضعت لك الاسباب) بل سخرها الله لك . قال الله تعالى : (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب) . وقال تعالى : (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا) ، (وان كنت وثقت به) تعالى بأن لا تشهد غيره (خضعت) أي خضعت ، وذلت (لك الأكوان) فلا يحجبك شيء منها عن مشاهدة مكونها .

فهذا الطريق اما علم بالله فتشهد الأشياء بالله ، واما علم بالأحكام وهو السالك بالنظر والاستدلال فيشهد الله بالأشياء ، والأول من الصديقين والشهداء ويسمى الجمع ، والثاني من الصالحين ويسمى الفرق ، ولما كان بين مقامات السالكين تفاوت بينها(1) قال : (أول المقامات الصبر) أي الرجوع اليه تعالى وحبس النفس (على مراده) تعالى ، وقيل : الصبر حمل(2) النفس على مشاق التكاليف طلباً للجزاء عليها ، (وأوسطها الرضا) وهو الطمأنينة (بمراده) تعالى أي من حيث إرادته أو ان علماً رضي به فلا ينافيه حرمة الرضى بالكفر والجحود (وآخرها أن تكون) أنت (بمراده) تعالى فتكون عبداً ، فالعبد الصابر في مقام العبادة والراضي في مقام العبودية ، وكلا منهما يرى له وجوداً وعملاً ، والعبد اذا صبر رضي واذا رضي كان بمراده تعالى ، فيفنى عن فعله وقوته وقوته بمشاهدته من الحضرة الربانية ، لأن من فني عن ذلك بقي بالله فكان سمعه وبصره وغيرهما كما في خبر : « كنت سمعه الذي يسمع به » ، ومقام البقاء مقام الخواص وهو مقام العبودة ، أما العارف فهو في مقام العبودة لا يرى له وجوداً ولا عملاً ، ذلك لأنه قائم بالله لله لا بنفسه بنفسه ولا بنفسه لله .

(العلم) العملي (طريق العمل) اذ لا يصح عمل الا بعلم وبكيفية طريق العمل (والعمل طريق العلم) اللدني .

---

(1) « ب » ولما كان بين مقامات السالك بعد التوبة مفاوته بينها .
(2) « ب » ويقال حمل .

قال الله تعالى : (واتقوا الله ويعلمكم الله) وقال صلى الله عليه وسلم : « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم » (والعلم) اللدني (طريق المعرفة) بالله لأنها لا تحصل إلا بما أمدك الله به من المعارف ، وهو معنى يتعرف إلى عباده بعد ما وهبهم من العلم اللدني ، ومن عرف الله عرف نفسه ، ومن عرف نفسه عرف ربه ومن عرف ربه جهل نفسه •

فالمعرفة تتعلق بمعرفة النفس ، ومعرفة النفس تتعلق بمعرفة الرب ، ومعرفة الرب تتعلق بجهل النفس ، وفي الخبر : « أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه » (والمعرفة) بالله (طريق الكشف) عن حقائق الأشياء (والكشف طريق الفناء) عما سوى الله تعالى بأن لا ترى غيره ، لأن العبد إذا علم أنه مخلوق وأن كل مخلوق فان ، شاهد ببصيرته أنه فان ، وقد لا يرى فناءه ، وهذا يسمى بفناء المقصر برؤيته : « إن الله محيط بكل شيء » والفناء يكون عملاً ثم علماً ثم حقاً ، لأن الفناء ثلاثة أقسام : فناء في الأفعال بقولهم : « لا فاعل إلا الله » ، والأقسام الثلاثة مراده بقول بعض العارفين : « من شهد الخلق لا فعل لهم فقد فاز ومن شهدهم لا حياة لهم فقد حاز ومن شهدهم عين العدم فقد وصل » •

(ما صلحت لنا) بفتح اللام أشهر من ضمها ، أي لا تصلح لنا ما دامت (وفيك بقية سوانا) دنيوية أو أخروية ، لأنك حينئذ ما وصلت بعد لمقام العبودية الذي هو القائم بالله لله(1) ، لأن أذنب ذنب عندهم ، إذ من الذنوب العظيمة عندهم أن ترى لك وجوداً مع الله تعالى ، وإليه أشار الجنيد بقوله : « وجودك ذنب لا يقاس به ذنب » فما دمت ترى وتشهد أن لك وجوداً معه لا تصلح له (فإذا حولت السوى(2)) عنك بأن خرجت عنه حتى عن الفناء (أفناك) بعلمه ونوره (عنك) حتى صرت لا ترى لك وجوداً صلحت لنا وصرت محلاً لسرنا الرباني(3) ، وهو معنى يعجز

---

(1) « ب » لأنك حينئذ لا تصلح لمقام العبودية الذي هو المقام بالله لله •

(2) « أ » (فإذا حولت عن السوى) •

(3) « ب » حتى صرت لا ترى لك وجوداً ، بل ترى الله الوجود وهو لله ، فصار قلبك محلاً لسرنا الرباني •

الفكر عن تصوره[1] ، والمراد عن تعبير عنه (المطلع) حيث ([illegible] ومدرك سره) فما صلح السر الا لعدم الالتفات لما سواه وشهد به تصور جراءة في العبر ومحلا للاسرار فحاصل المطلوب التجرد عما سواه تعالى .

(اذا سبق عقلك حركة نفسك) خرجت عن (كمال عقلك) لا [illegible] به تعالى (واذا سبق لك وجود عقلك) بان قطعت عما سواه تعالى (كمال وجدك) بعجزك عن ادراك ما حصل لك من المعرفة ، فهي المعرفة التي لا تدرك واليه الاشارة بخبر : « سبحانك ما عرفناك حق معرفتك » ، وبخبر : « من عرف الله كل لسانه » .

(أهل الباطن) أي الحقيقة (مع الباطن) يحفظونهم من وهم الرسوم والكشف العلم الذي لهم فعرفوه وشاهدوه فصبروا على يقين ثابت جزم ، وابتداء يقين المكاشفة ثم المعاينة ثم المشاهدة ، كما قال عامر بن عبد قيس : « لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً » .

(واهل الظاهر) اي اهل[2] الشريعة (مع الايمان) بالغيب لا بالمشاهدة ، لبقاء الرسوم بوقوفهم مع ظاهر معتقدات الايمان (فمتى تحرك قلب صاحب اليقين) بغير الامر من التفات بجهة من حظ أو مقام غيره (نقص ايمانه) عند اهل الباطن (ومتى لم يحضر له خاطر) بغير الله (كمل ايمانه) فعلى صاحب اليقين المراقبة على الدوام ، وهي مراعاة السر بملاحظة الحق مع كل خطرة ، وشبه حاله بحال العبد في حال مراقبة السيد ، فمتى اختلت المراقبة احتمل العرض (ومتى تحرك قلب صاحب الايمان) بالغيب (بغير الامر) الالهي (نقص ايمانه) ، لأن الايمان ينقص بالمعصية كما يزيد بالطاعة ، أخذاً من خبر : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » (ومتى تحرك بالأمر) الالهي ووافقه (كمل ايمانه) لله تعالى .

(معصية اهل اليقين كفر) عندهم لاخلاص [illegible] ولذا ابن الفارض قال :

ولو خطرت لي في سواك ارادة   على خاطري سهواً قضيت بردتي

(١) « ب » عن تصورها .
(٢) « ب » أي الشريعة .

وان : حسنات الأبرار سيئات المقربين [illegible]

[illegible] ([illegible]) [illegible] .

واعلم ان الخاطر [illegible] مراتب [illegible] وهو خمسة اقسام : الخاطر

[illegible] وهو [illegible] ، والخاطر الملكي والعقلي والنفسي والشيطاني ،

[illegible] من حضرة [illegible] الالهية ،

والفرق بينها [illegible] والاول

[illegible]

[illegible] وفي [illegible] بالشكر [illegible] للعارفين .

والخاطر الملكي والعقلي هما لاهل المجاهدة ، والنفساني والشيطاني لاهل الغفلة ،

ومراتبه خمسة [illegible] : هاجس وهو [illegible] في النفس [illegible] في النفس ،

وخاطر وهو ما [illegible] في النفس [illegible] فعل

ولا عدمه ، وحديث نفس وهو [illegible] فعل ولا

فعل من غير ترجيح وهم وهو [illegible] ترجيح الفعل او الترك [illegible]

قوي ، وان قوي ترجيح الفعل [illegible] ولم يبق الا

المباشرة معه فهو عزم ونية وهو المرتبة الخامسة .

و [illegible] الاول لا يعاقب عليه ان كان في الشر ولا يثاب عليه ان كان في الخير ،

واما الرابع فيه فيثاب ان كان في الخير ولا يعاقب ان كان في الشر واما الخامس فيه

فيثاب عليه ان كان في الخير ويعاقب عليه ان كان في الشر(1) .

(المتقي) في [illegible] (مجتهد) في [illegible]

[illegible] : ([illegible]) [illegible]

[illegible]

(والمحب) [illegible] (مكان) [illegible] حضرة

---

(١) « ب » والخاطر الملكي والعقلي هما لاهل المجاهده ، والنفساني والشيطاني لاهل الغفله . والخاطر اذا مكث صار هما واذا تمكن ثانيا صار محرجا ويصير قبل الشروع قصداً ومع اول العقل نية .

محبوبه [illegible] على نفسه بعمله [illegible] المتكل على الله
[illegible] بخلاف المحب فإنه باستغراقه
بمحبوبه فهو في راحة مشهودة له[1] .

(فالعارف) [illegible] (ساكن) لأنه لا يتحرك إلا بربه ولا يخطر له خاطر
إلا به (والواجد) [illegible] (مفقود) عن وجوده [illegible] (لا سكون
للمحب) لحركته في حبيبه [illegible] (ولا حركة لمحب) لأنه لا يرى في الوجود
الا الله ولأنه فني عن وجوده وارادته بوجود [illegible] (ولا حركة
لعارف[2]) لفنائه عن مراده [illegible] (ولا وجود لمفقود) أى من غاب
عن نظره بوجوده .

واعلم [illegible] على المحبة ، فالمحبة بعد
[illegible] ([illegible]) بوجود المحب ، اذ كيف يحب
الشيء قبل معرفته (المحب [illegible][3]) في محبته[4] (قد خلا قلبه مما سواه)
تعالى لأن حقيقة المحبة شهود المحبوب ، [illegible] وشهوده الشغل عما سواه
تعالى ([illegible]) [illegible] (فهو [illegible] المحبة) لله .
([illegible]) [illegible] (فهو موجود ومن يلتذ)
[illegible] ([illegible] فهو موجود) ، ([illegible]) الله تعالى ، أى الذي التلذذ
[illegible] أو عن التلذذ [illegible] ([illegible]) ، لأن مشاهدة المحبوب
دهشة ، والمدهوش من البلاء والأنعام .

---

(١) ب ، فني عن عمله ووجوده واتكل على الله تعالى . فالمجتهد واقف على عمله ووجوده والمحب مفني عنهما باستغراقه بمحبوبه فهو في راحة بشهوده له .
(٢) ب ، جاء المتن في النسختين (ولا حركه لمحب) مع ان المتن الصحيح ـ على الارجح ـ جاء فيه (ولا حركه لعارف) .
(٣) جاءت الجملة في المتن المعتمد (المحب الصادق) . واما في النسختين المطبوعة والمخطوطه للشرح فقد جاءت الجمله : (والمحب الصادق) .
(٤) « ب » في حبه .

(المحب انفاسه) أي كلامه (حكمة) لأنه شهد محبوبه فسمع منه وفهم عنه[1] فلا ينطق الا بالحكمة لفهمه عن الله (والمحبوب) لكونه قد تزايد قربه من ربه بزيادة حبه له (انفاسه قيود) منثورة في الأكوان بقدرة الملك المعبود ، فالمحب سالك وهو أعلى واخص من المريد لان المحبوب مراد والمحب مريد ، ولانه مجذوب أمر وسالك آخر ، وهما مذكوران في المطولات ، والعابد سالك وهو الناظر لوجوده ، الطالب للعوض عن عمله[2] كما اشار اليه بقوله : (العابد للمعوضات) ، قال تعالى : (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) ، (والمحبة للقربات) اي للتقرب اليه تعالى بصدق واخلاص •

واعلم ان المؤمنين خمسة اقسام : فالاول عوام المؤمنين والثاني [illegible] ، والثالث خواصهم ، والرابع خواص خواصهم وهم المحبون ، والخامس أخص خواصهم وهو العارف بالله على الباقي بالله في الله بالله ، ومن ثم قال الله تعالى في حديث قدسي : (اعددت لعبادي الصالحين) وهم العارفون بالله تعالى (ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) ، وهؤلاء هم عبيد المنعم لا عبيد النعمة وهم قليلون •

قال الله تعالى : (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم) وقال تعالى : (وقليل من عبادي الشكور) ، وهم مع الخلق بأبدانهم ومع الحق بقلوبهم لا يفترون عن مشاهدته طرفة عين ، وقال في حديث قدسي ايضاً على ما قاله المؤلف : (من أرادوني) اي بالعبودية لي (فاني اعطيتهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت) ، وهذا يعم ما قبله لشموله ما أمدهم به من المحبة •

(إذا أفناك عن هواك بحكمه[3]) أي بالأمر المرسل من حضرة الربوبية الى عالم حس العبودية ، وهو حسن الأدب وتركه ، بحيث يرى ان ما يجري من الكائنات فعل الله تعالى (وعن ارادتك بعلمه) الأزلي (صرت عبداً صرفاً[4]) أي خالصاً

(١) « ب » لانه لا يشهد الا محبوبه ولا يسمع الا منه •
(٢) « ب » الطالب لعرض علمه •
(٣) « ب » (إذا افناك عن هواك بالحكم) •
(٤) « ب » (تصير عبداً صرفا) •

ه حرا ... (...) : لا ... كر ، فعلمت
ان الا ... (...) ، (فحينئذ
تكشف ... عن ...) ... (...) عن (العبودية)
اي ... (في الوحدة ...) ... (في ... الحق تعالى) فشهدوا العبودية .

(الشريعة ...) ... والحامل مقبوض مكدود (والعلم) ... (...) لانه عن كشف ومشاهدة ، وصار العمل عند صاحبه عادة لا ثقل فيه ولا ... لانه ... وجود في عمله بل يراه فضلاً من الله ورحمة ... (والمعرفة) ... (كلها دلال) ... يدل بها احد على ... كدلال المرأة على زوجها بان تزيد ... شكل حسن كأنها ... حلاف ، وهذا محض ... والفعل ... على لا عرض ... عليه ، ومقام الادلال يقع فيه الانبساط في الاقوال والافعال .

(الطريقة) اي الموحدون (كلها محبة لا عمل) مكدود منعكس إليه ، (... لا بقاء) ... ان طريقهم محبة ... لا عمل وبقاء ، لانك (إذا دخلت في العمل[1]) وهو العبادة (... واذا دخلت في المحبة) ... واخلصتها (...) ... (العابد رأى لعبادته) لانه مجاهد فيها وفي نفسه (والمحب رأى لمحبته[2]) لانه ... محبوبه ... والعارف فوقهم لأنه احرز ما احرزوا وزاد عليهم بعلوم ... ومعارف ... وواردات روحانية .

(اذا عرفته) ... ولم ... الى ... ولم

---

(١) « ب » حذف الشارح شيخ الاسلام الانصاري حرف الواو الذي يسبق جملة (اذا دخلت في العمل) ليستقيم الشرح . اما المتن المعتمد فقد ورد فيه (واذا دخلت في العمل) .

(٢) قال الشارح (اذا العابد رأى لعبادته) لانه مجاهد فيها وفي نفسه (والمحب رأى لمحبته) والصواب على الارجح ـ هو ما ورد اعلاه . طبقاً لما ورد في الشرح المعتمد . والله الهادي الى الصواب .

تطالب له عوضا (كانت الاشياء به) أي (وحركاتك به) لانك متحقق بخلافه (واذا جهلته) بأن لم تكن كذلك (كانت حركاتك لك) لانك شهدت صدورها منك بحجاب الفرق وهو (لا شهود)(1) فعلا الا لله تعالى .

قال الله تعالى : (الله خالق كل شيء) و (الله خلقكم وما تعملون) .

(العابدون) أي منهم (الساكنون) عن حركة لانه مجاهد كما مر (والزاهدون) أي منهم (الراغبون) في غير الله (والصادقون) أي منهم (المتركون) لذكرهم غير الله اذ الصدق عند الامر وبه تمامه (والعارفون) أي منهم (المتحققون ولا قوة ولا اختيار ولا ارادة ولا حركة ولا سكون) فهو بالله .

و (الموجود) بالله (ما) أي منهم (الموجود) مع نفسه لفنائه باستغراقه بالله وتقدم هذا .

(اذا استأنست به) على من شهدته محيطا بكل شيء خلقا وعلما وتطهرت من الشرك الخفي (استوحشت) من غيره حتى (منك) لانك كنت ترى ان ذلك منك .

(من اشتغل به) وبعبادته (عميت) عن رؤية المعارف وقوفه مع عمله (ومن استعان به بصرته) برؤيته بان كشفت عنه حجب الكائنات .

(اذا زال هواك) المستوي (بكشف [illegible]) بما يسلك (عن باب الحقيقة) الربية بحيث غلب على القلب (فمتى اردت فيكشف لك عن الوحدانية) فترى الوجود كله لله سوى قدرة الله في قلبك (متحققا به) غائبا عن غيره تعالى (انه) أي (هو) الحق الموجود (لا ذات معه) فلا ترى الا هو بعينه (ان تحسن فيه) امورك وان كنت [illegible] نفسك اعتمادا عليه (قربك) بنظره اليك بعين الرحمة والعناية كما وقع للخليل عليه السلام لما قال له جبريل عليه السلام حين القوه بالمنجنيق وارادوا وقوعه في النار : [illegible] ألك حاجة ؟ قال : أما إليك فلا واما الى الله

(1) « ب » فلا يشهد .

قبلي ، قال : سله ، قال : حسبي من سؤالي علمه بحالي » •

(وإن [illegible]) [illegible] وإذا [illegible] [illegible] ([illegible]) [illegible] من حضرة انسه •

([illegible]) [illegible] وجوده [illegible] وعمله (قربت) [illegible] ([illegible]) [illegible] ([illegible]) أي حجبك واشغلك بك •

(إن [illegible]) [illegible] جعلت [illegible] الدرجات والكرامات والمقامات[1] (كذلك) للعمل [illegible] لان من طلب الاجرة كلف بالعمل وطولب به[2] •

(وإن [illegible]) على ([illegible]) أي جعلت من هو [illegible] جوده [illegible] (قربت) [illegible] ([illegible]) [illegible] ([illegible] [illegible][3]) [illegible] ([illegible]) [illegible] : ان حسنات الابرار سيئات المقربين [illegible] : (إن [illegible]) [illegible] (وإن [illegible]) [illegible] وجودا [illegible] (حجبت) عن حضرة انسه •

(العامل) أي والعامل في عبادته (لا يكاد يخلص من رؤية عمله) طلب الاجرة عليه (فكن من قبيل المنة) أي منة الله وتفضله عليك (ولا تكن من قبيل العمل[4]) [illegible] من رؤيته [illegible] لا [illegible] من العارفين

(١) « ب » اي جعلك من اهل الدلال بان غاب عنه الدرجات والكرامات والمقامات •
(٢) « ب » لان من طلب الاجره طولب بالعمل •
(٣) ان اصل المتن المعتمد قد وردت الجمله فيه (عنك ، وبعدك) في حين ان الاصل التي اعتمده الشارح قد جاء فيه (عنك وبعدك) •
(٤) « ب » (عامل) أي والعامل في عبادته لا يكاد يخلص من رؤية عمله لطلب الاجره عليه (فكن من قبيل المنه) اي منه الله وتفضله عليك (لا من قبيل العمل) •

أنت (إن عرفته) أنه الفاعل موجود (فيك) أنه في حركاتك وسكناتك، فتصير إن نطقت نطقت به(1) وإن سمعت سمعت منه، وعملا [illegible] ولا [illegible]، ولهذا قيل: علامة العارف [illegible] من [illegible] والأجرة (وإن جهلته تحركت) برؤية عملك ويطلبك الأجرة عليه (فمراده) من ذلك كله (أن يكون) هو تعالى عندك (ولا تكون) أنت [illegible] عن غيره تعالى.

(العوام) وهم العباد الذين هم دون الخواص [illegible] (أعمالهم متهمات) لطلبهم الأجرة عليها، فهي مشوبة بحظوظهم [illegible] الأجرة [illegible] أعطوا الأجرة عملوا وإلا فلا (والخواص) وهم [illegible] عن حظوظهم (أعمالهم قربات) لا نظر لهم إلى عمل ولا إلى ثواب، بل إلى القرب منه تعالى، (وخواص الخواص) وهم الفانون بالله الباقون من الله بالله (أعمالهم درجات) يصعدون فيها فلا يشهدون لهم عملا ولا قربا، بل أفناهم الله عنهم وأبقاهم له لأداء حقوقه.

(وكلما احتجبت) أيها السالك (عن سواه) وحظك (قوي إيمانك) فيكشف لك سر الحكمة الربانية والقدرة الأزلية وأنه الفاعل الموجود (وكلما احتجبت ذاتك) أي [illegible] عنها وعن سائر الخلق وتحققت بحقيقة [illegible]، من [illegible] الله محيط بكل شيء (قوي توحيدك) وعلمت أن التوحيد توحيد في الأفعال وتوحيد في الصفات وتوحيد في الذات، والأول توحيد العوام والثاني توحيد الخواص والثالث توحيد خواص الخواص.

(الخلق) مع وقوفك معهم (حجاب) عن رؤيته تعالى (وأنت) مع ذلك (حجاب) عنه أيضا (والحق) تعالى (ليس بمحجوب) عنك إذ لا قادر على حجبه (وإنما هو محتجب عنك بما [illegible]) [illegible] إلى وجوده وعلمت (وأنت محجوب عنك بهم) [illegible] إلى وجوده [illegible] حجبت به عنك (فانفصل) أنت (عنك) أي عن وجودك [illegible] (تشهده) أي تشهد ما من به عليك من النعم والجود (والسلام) عليك ورحمة الله وبركاته.

---

(1) «ب» وسكناتك نطقت به.

نهاية البيان في شرح رسالة أرسلان

للشيخ علي بن صدقة الشافعي

في الصفحة ٦٨ أشرت إلى السادة العلماء الذين قاموا بشرح رسالة الشيخ أرسلان وعددهم اثنا عشر عالماً، ووصفت منهم هذا العالم الفاضل الشيخ علاء الدين علي بن صدقة الشافعي رحمه الله تعالى، وقد شرح رسالة الشيخ أرسلان الدمشقي في التوحيد، تحت عنوان: «نهاية البيان في شرح رسالة أرسلان» وعثرت على مخطوطه الفريد واقتنيته في مكتبي، ولاحظت أن هذه كتبه مع «الحكم العطائية» لابن عطاء الله الاسكندري، وضم إليه كتاب «فيض الرحمن» و[illegible] وحكم الأنبياء والمحبين والأحواز للمرشد الكامل الشيخ محمد العلمي.

وختم الكتب الثلاثة بما يلي:

وافق الفراغ من هذه الكتب نهار الأحد ثلاث وعشرين يوماً خلت من شهر ذي الحجة، سنة ثمان وسبعين ومائتين وألف على يد الفقير المسكين الضعيف العاجز المعترف بالذنب والتقصير الراجي عفو ربه المجيد محمد سعيد بن الشيخ محمد العراقي النقشبندي، غفر الله له ولوالديه ولمن قرأ [illegible] وجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات، إنه ربنا ومولانا سميع قريب مجيب الدعوات، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

[illegible]
وجعل الجنة مأوانا ومأواه :

(تلك) [illegible]

[illegible]

بالنسبة الى وجود الحق تعالى باطلاً .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

فتجدد له في كل ساعة ووقت) بل في كل دفعة ([illegible]) [illegible] (شاهد معاني اليقين الا الله تعالى و : (إيمانا[1]) [illegible] شهود [illegible] ([illegible] الا [illegible]) ، [illegible] البقي باقياً به •

(و [illegible]) [illegible] الى شهوده [illegible] الاحدية ([illegible]) [illegible] على [illegible] من الأول الى عين [illegible] ، لان [illegible] من الحق [illegible] عنهم [illegible] ([illegible] عنك) حتى (تكون [illegible] ([illegible]) [illegible] ([illegible] لك من حيث انت فتعلق لله تعالى بالوحدانية على الاطلاق •

فصل في وصل

([illegible] القدس [illegible] انت مغرور)

[illegible] ([illegible]) [illegible] لوقوفك في معراج العرفان عند مقام او كشف •

[illegible] وعلم ان العارف [illegible] الله تعالى ،

١) جا في الاصل المخطوط وتحدد به (ايمانا) وبما ان الشرح جا (وايمانا) [illegible] = المؤلف = •

[illegible] وجلوا في جميع الاحوال ، فهو مشتغل [illegible] ومن [illegible] المشوفات [illegible] فهو مشتغل بحظوطه عن الله تعالى ٠

[illegible] ([illegible]) حتى [illegible]

[illegible]

[illegible]) [illegible]

(وهو معكم [illegible]) [illegible] والرحمه (في [illegible] والاحرى) [illegible] (قد [illegible] معه) [illegible] مشاهده [illegible]) [illegible] ([illegible]) [illegible] سواه ٠

فصل بل وصل

([illegible]) [illegible] فيه [illegible] من [illegible] ، وهو [illegible] ([illegible]) [illegible] مشهدك الاول ، وهو مقام المحو [illegible] الاحديه الجمعيه ، فيقوى حينئذ [illegible] عين يقينك [illegible] عنه بقوله : ([illegible]) [illegible] (نقلت من مقام الى مقام) في مشاهد [illegible] ٠

---

(١) جاء المتن في [illegible] (الايمان [illegible] عنه) اما المتن المعتمد فقد جاءت الجملة (الايمان خروجك عنهم) ٠

(٢) جاء في المتن المخطوط (واليقين خروجك عنه) والصواب في المتن المعتمد : (واليقين خروجك عنك) ٠

فصــل

([illegible]) [illegible] ([illegible]) [illegible] علمه [illegible] ([illegible])
[illegible]
[illegible] لك
[illegible] ([illegible]) [illegible]
[illegible] على
[illegible] ([illegible]) [illegible] عن [illegible]
[illegible] ([illegible]) [illegible] ([illegible] الى
[illegible] .

([illegible]) [illegible] ([illegible]) [illegible] ([illegible]
([illegible]) [illegible] ([illegible]) [illegible] ([illegible] بالشريعة [illegible]
[illegible]) [illegible] ([illegible]
[illegible] على قلبه حقائق المعرفة بالجود الفضلي ،
وقرار الشريعة [illegible] لا ينفك احدهما عن الآخر ، اذ
الشريعة بلا حقيقة [illegible] من اهل
الله الكمل رضي الله عنهم .

([illegible]) [illegible]
[illegible] ([illegible]
[illegible]) [illegible] ([illegible]) [illegible] ([illegible])

---

(١) جاء المتن في المخطوط ([illegible] له) والصواب ما اوردناه اعلاه ، اعتمادا على النص الاصلي .

(٢) جاء المتن في المخطوط ([illegible]) والصواب : ([illegible]) كما في المتن المعتمد .

(٣) حذفت ([illegible]) من المتن المخطوط والصواب ما سطرناه ، طبقا للنص المعتمد وهو : (وشتان ما بين المجاهدة والمنة) .

أي [illegible] مشهود [illegible]

[illegible] مع [illegible] حتى [illegible] .

فصل

(الأعمال [illegible] الشرع [illegible]) [illegible] الطهر [illegible] (و [illegible]) كل [illegible] ([illegible]) [illegible] والحروف [illegible] ([illegible] الصحيح) لأنه أي وجد [illegible] بحيث يصير الغائب حاضر .

([illegible]) في [illegible] ([illegible]) [illegible] واستحيل ، والواجب من حيث التعقل .

(و [illegible] الآخرة [illegible]) [illegible] ([illegible]) [illegible] ([illegible]) [illegible] ([illegible] الآخرة [illegible]) [illegible] (فقد [illegible]) وطلب الآخرة [illegible] صلى الله عليه وسلم .

فصل

(المؤمن [illegible]) في [illegible] ([illegible]) [illegible]

---

(١) حذفت كلمة (الشريف) من المتن المخطوط والصواب ما أثبتناه ، طبقا للنص المعتمد .

(٢) حذفت كلمة (الصحيح) من المتن المخطوط والصواب ما أثبتناه طبقا للنص المعتمد .

عن الله تعالى عنه وسلم ... الحوا ... الله ... (والعارف بنصر

ه امه) اي ... الى سهود ... لانه بعد العروج الى ... المعرفة

... علمه ... (... عنك) شهود وجودك (أمر ...)

... تعنيه ... الى ... الاسباب و ... نحو ... التكليف

(فاذا غبت عنك) أي عن شهودك وجودك (تواردت) بالالطاف والمواهب

وارد ... واعنيت ... ولا ... كلفة ... لا ... شهود ... الخلق عنها

... فتمثل للاوامر وتجتنب ... من غير ان ... كلفة ... (وما تولاهم الا

مع شهم) عن ... وفي هذا إشارة الى ... لا ... الى مقام الولاية

الكبرى الا بعد فنائهم ... سوى الله تعالى ... شهود ... الحضرة الربوبية ،

لأن ... ومع ... الروح ... الجمع ...

الشهود ... لاجل ... (...) مع ... من ... إبدا

... و ... (... مريد) واما في مقام الارادة

(... عنك) والتعلق به (...) (مراد) الحق من الخلق •

(...) الذي هو ... على ... من حجب النفسانية

(في غيبك) ... (عنك ووجودك) ... (به) تعالى ، فكلما

كنت غائباً عنك فانت في يقين بلا شك ، وكلما إياك عدمت فانت في وجود بلا عدم •

(فكم بين من ... وبين ...) ... (به) ... ، فالاول مع

العادات والثاني مع المعبود ... في العادة مع المعبود لا في العادة

مع العبدة ، والاول مع الامر والثاني مع الامر في امره •

(إن كنت) ... (...) اي ... (... الاسباب)

الموصولة الى الاسباب (وان كنت) ... (به) تعالى (ضعضعت لك الاكوان)

أي ... لك ... دون ... الاسباب وتيسر الامور الصعاب •

فصل

(اول المقامات) لسلوكه (الصبر على مراده) أي حبس النفس على مراد الله تعالى وهذا هو صبر الخاصة (وأوسطها الرضا) وهو طمأنينة القلب (بمراده) تعالى (وآخرها ان تكون) انت العارف في كل طرف (مراده) أي الله تعالى بسلب ارادتك بفنائك عنها كما قال : مرادي منك نسيان المراد .

فصل

(العلم) الكسبي (طريق العمل) ثم الكسبي تارة تكون طريقا لأعمال الجوارح وتارة تكون طريقا لأعمال القلوب ، فالاول كعلم الشرائع والثاني كعلم التوحيد والاحوال والمقامات والاخلاق (والعمل) بالعلم الكسبي (طريق العلم) الوهبي اللدني (و) هذا (العلم) الوهبي (طريق المعرفة) بالله تعالى وبصفاته وافعاله (والمعرفة) بالله تعالى هي سمو اليقين عن حد العلم الى كمال العيان من مطارح البرهان .

(طريق الكشف) الذي هو رفع الحجب من عين العقل لعين الحقيقة الروحية (والكشف طريق الفناء[1]) في الله تعالى عما سواه ، والفناء طريق الخلة وهي سقوط الاشارة من السر برده الى الرسم لظهور الاسم .

(ما صلحت لنا) أي لشهود قدسنا (وفيك بقية) ما (سوانا) فمن عن كل بقية في نفسانيتك تصلح بروحيتك لشهود قدسنا الباقي (فاذا حولت السوى) أي صرفت عن نفسك ما سوى الله تعالى حتى لا يبقى فيك متسع لغيره (افنيناك عنك) أي شغلناك عن وجودك بمشاهدة شهودك (فصلحت لنا) أي كنت اهلا للمشاهدة الأنسية (فأودعناك سرنا) لاهليتك له من بين الحقيقة الانسية ، والسر الالهي ما شهده الجنان وخرس عن النطق به اللسان .

(١) الصواب ان تضاف كلمة «والكشف» كما فعلنا اعلاه .

فصـــل

(اذا لم يخطر ببالك حركة نفسك) خروجك عنها كلها بنية على (كمل نفسك) والنقص هو خروج الرب شهود العبد فكون في كل حركة قلبه وقالبه مستعينا بالله على مستغنيا به عما سواه وهذا عين كمال المقت (واذا لم تر نفسك وجود عبد) فقدت نفسه من استيلاء انوار التجليات الالهية على قلبك (كمل توحيدك)، التوحيد هو تفرد عن نفي الاغيار واثبات الواحد من كل وجه واعتبار ، وكمال التوحيد زوال النسبة وذهاب الغيبة •

(اهل الباطن) أي علم الحقيقة (مع اليقين) صيرورة الغائب عندهم حضراً (واهل الظاهر) أي علم الشريعة (مع الايمان) بالمغيبات •

واعلم ان علم الحقيقة هو روح علم الشريعة ولبه وثمرته ، فهو في الحقيقة من علم الشريعة (فمتى تحرك قلب صاحب اليقين) بأن خطر فيه خاطر لغير الله تعالى (نقص يقينه) ولذلك قال :

ولا حضرت في السر بعدك خطرة ... حضرت الا عرجت بنسياني

(ومتى لم يخطر له خاطر) لغير الله تعالى (كمل يقينه) كما قلت :

انقض بيت القلب مـن غيرها عسى ... وكمله بها بكـل ملمحه
يقـين بلا شـك ووصل بلا نوى ... وجمع بلا فرق على كل محنة

(ومتى تحرك قلب صاحب الايمان بغير الامر نقص ايمانه ومتى تحرك بالامـر كمل ايمانه) لأن الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، وهو مذهب الامام الشافعي رضي الله عنه ، وبعد على ذلك غير واحد من جهابذة الامة ومحققي الصوفية ، شهدوا أن الايمان الحقيقي ثمر الخشية ، وكلما كان صاحب الايمان ممتثلاً مجتنباً زادت خشيته ، وكلما كان غير ذلك نقصت خشيته الى ان تذهب بالكلية والعياذ بالله تعالى فينقص ايمانه ، لأن الايمان بمنزلة الشجرة والخشية بمنزلة الثمرة ، واذا انعـدمت ثمـرة

تشهدوا [illegible]

العيون في السر [illegible]

كما قلت :

شهدت الحق [illegible] ... [illegible]

[illegible] ... [illegible]

(فمعصية أهل الفن) [illegible] (كفر)

عندهم كما قال :

ولو خطرت لي في سواك إرادة ... على خاطري سهواً قضيت بردتي

ومن ثم كانت حسنات الأبرار سيئات المقربين [illegible] على قدر [illegible] ألا ترى أن الملوك [illegible] (ومعصية أهل الأنس نقص) في إيمانهم لما تقرر .

فصل

(المتقي مجتهد) في [illegible] وحقيقتها امتثال ما أمر به العبد واجتناب ما نهي عنه (والسالك) [illegible] (ساكن) [illegible] في المحبة [illegible] بدوام الذكر (والعارف) بالله تعالى (ساكن) [illegible] كل نفسه تحت مجاري [illegible] الأقدار (والموجود) [illegible] (مفقود) [illegible] الاجتهاد [illegible] (فـ) على هذا (لا سكون لمتقي) [illegible] (ولا حركة لعارف) [illegible] قلبه محبوبه في كل حال (ولا حركة لعارف[1]) [illegible] نفسه [illegible] مقلب القلوب

(١) وردت الجملة في المخطوط (ولا عزم لعارف) والصواب كما في المتن المعتمد .

(ولا وجود مفقود) لعدم وجود ... محبة وعلاوة ... لإدراك العلوية على طوالع اللوامع الغيبية .

(ما حصلت المحبة إلا مع ...) لأن من ... حضور المحبوب عنه وحضوراً ما حصل له من المحبة به حتى لا ... حبه فشهد حبه ، ولذلك قال : « من طالع حسن المحبوب في غيبته وحضوره استوى عنده الأمران » :

وعزة الحب أن أحب الشهد ي — عن الحبيب الذي أهواه في خلدي

فحال حضوره كحال غيبته ، ... في خلد أحد ، واستواء الأمر عند المحب هو الشيء الحقيقي المنتج للمحبة الحقيقية .

(المحب الصادق) في حب مولاه (قد خلا قلبه مما سواه) لاستغراق المحبة بكمال وجمال محبوبه عن كل شيء سواه حتى عن نفسه ، ولذلك قلت :

وما بعدت لعيني نفسي ... — وقد ذهبت عني فلم تدر في أبا

حسبت ... حلوت ... — وعشت بها ... وصالا ولا ...

(ومن دام عنده بقية محبة سواه فهو ناقص المحبة) فعليه قطع السوى من قلبه وطرحه من أنه يكون كامل المحبة لربه كما قال :

كانت لقلبي أهواء مفرقة — فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائي

تركت للناس دنياهم ودينهم — شغلا بحبك يا ديني ودنيائي

(من تلذذ بالبلاء فهو موجود ومن تلذذ بالنعمة فهو موجود) أي غير فان ، فلو كان فانيا ما وجد من نفسه ما يشعر بالتلذذ ، ولو كانت اللذة غير حسية ، إذ هو مؤذن بعدم الفناء فلو كان فانيا ما وجد من نفسه لذة ، ولذلك قال : (وإذا أقامهم عنهم ذهب التلذذ بالبلاء والنعمة) في شهود المبلي والمنعم .

(المحب أنفاسه حكمة) المراد بالنفس الكلام وعبر به عنه لاشتماله عليها من باب تسمية الشيء بما اشتمل والحكمة المتقنة كل نفع وافق الصواب المقصود بالحصر عبارة وأعظم إشارة وإنما كانت أنفاس المحب حكمة لأنه لا يشهد إلا محبوبه ولا يسمع

لا منه ولا فيه الا عنه ولا يعمل إلا به ، فإذا كان العبد في محبته وحينئذ فلا يتعلق الا بالحقائق الالهيات [illegible] (والمحبوب) [illegible]

العاشق [illegible]) اي [illegible] في [illegible] والمولى [illegible] حتى [illegible] الى [illegible] محبوب [illegible] محبوب محبوبه [illegible] الله [illegible] العصمة والمواهب الشرعية [illegible] من [illegible] في [illegible] بقدرة الله [illegible]

(العادات للمعرفة) اي [illegible] الموضوعة جزاء العبد في [illegible] [illegible] النفس [illegible] قال الله تعالى : (ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا) (والمحبة شرابي) [illegible] موضوعة في الانس [illegible] اي المحبوب بكل ما [illegible] في ذلك المحبوب فله من الموالاة والانعام [illegible] على [illegible] و [illegible] جزء [illegible] الحق [illegible] في [illegible] (الحديث [illegible] ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) ، [illegible] الا الله تعالى ، ولذلك قال : (لما ارادوني لي[1]) اي قصدوني ببذل النفوس والمهج في محبتي (اعطيتهم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت) [illegible] والاعلاء [illegible] مشاهدة [illegible] •

(إذا أقعد عن هواك [illegible]) [illegible] (الحكمة [illegible] شيء في موضعه وهي الخير الكثير ، قال الله تعالى : (ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا) (وعن ارادتك العلم) [illegible] من [illegible] (وعلمناه من لدنا علما) (صرت عبداً حراً) [illegible] عليه اي صرت بعد ذلك متصفاً بصفة العبودية [illegible] وهي [illegible] والعبد [illegible] ربوبية [illegible] داخلا في زمرة : (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان) فصرت عبدا حقا (لا هوى لك ولا ارادة) [illegible] ارادة [illegible] الى ما يقتضيه [illegible] البشري [illegible] ارادتك [illegible] مع ارادة الحق [illegible]

(١) ورد خطأ (لما ارادوا وربي) والصواب في المتن (لما ارادواني لي) •

(وحينئذ [illegible] عن نفسك(١) [illegible] عنك

عن [illegible] ([illegible] في وحدانيته) فلا يلحظها العبد [illegible] فتغيب عن [illegible] الشهود فتلتبس [illegible] ([illegible]) فتتصف بصفات الربوبية أولاً [illegible] في [illegible] وبعد ذلك [illegible] للعبد من حقيقة ذلك في المستقبل بعد المجاهدة .

فصل

(الشريعة كلها قبض) من حيث أن مدارها على الأمور الظاهرة من العبد المكلف ولأن الشريعة [illegible] حد وقواعد لا [illegible] أحد [illegible] ، وسط [illegible] الأمة ، يقول الشيخ رحمه الله على كلها قبض ، يشير بذلك إلى الوقوف مع الأحكام الشرعية [illegible] في طي قبضه والقبض وارد يرد على القلب عتاب على ترك أدب أو على [illegible] أو [illegible] على عدم القيام شروط الأدب والشريعة كلها هكذا (والحقيقة كلها بسط) المراد بها علم ، العلم اللدني ، وهو ما يوجد في القلب من العلم [illegible] بعد الاستقامة ، هذا العلم [illegible] في معنى المشهود الغيبي الذي ليس له نهاية تنتهي إليه ولا غاية يوقف عليها ، وبذلك كان كله بسطاً ، لأن [illegible] الروح في ميادين القرب التي لا تناهى (والمعرفة كلها دلال) [illegible] رفع [illegible] ، والدلال هو [illegible] الأنس بعد الوصلة .

(طريقنا) معشر [illegible] (كلها محبة(٢)) صادقة خالصة مصفاة لا يشوبها [illegible] ([illegible]) [illegible] العمل الخالص

---

(١) وردت الجملة في المخطوط (وحينئذ تكشف لك) والصواب (وحينئذ يكشف لك عن نفسك) .

(٢) ورد في المخطوط (محبه) والصواب (كلها محبة) .

الطريق الى مقام المحبة الصادقة والمحبة الصادقة هي الطريق الموصل الى شهود المحبوب ، ولذلك كان طريق المحبين الموصل الى محبوبهم المحبة بعد الوصول اليه بعمل الصالح الخالص والمداومة عليها (و) طريقة معشر المحمديين الموصل الى مقام الجمع (فيه) عن الاكوان والمكون بشهود المكون (لا تقدر) مع الشيء سواه ، فالى من الخلائق شهود الخلق يتحير في شهود عيون الحقائق •

(اذا دخلت في العمل كنت به) أي تكون في العمل الصالح لخلاص نفسك وتركيتها وتطهيرها من الخبائث الطبيعية (واذا دخلت في) مقام (المحبة) بعد الحصول على الصلاح بالتركية (كنت) على كل حال (له) خالصاً مخلصاً بكليتك وجزئيتك وكونك له لا شيء سواه هو المراد الاعظم •

(العبد يراد لمنفعته) من حيث انه يسعى في تحرير رقبته من استرقاق رق الاكوان (والمحب يراد لمحبته) من حيث استعداد حقيقته الروحانية المبثوثة في صورته الجسمانية ، والانسان الكامل العارف هو من فني في مشهوده عن جميع وجوده وعن كل ما سوى الله تعالى وهو ذاهل عن ذاته لا يحس ولا يشعر به ، فمتى أحس بنفسه لا تخفى على نفوذ تلك الحقيقة (اذا عرفته) ان شهدت من مقام الاحسان انه مطلع عليك في حركاتك وسكناتك وخطراتك على الدوام (كنت الحسنات) جارحة (به) أي بذكره فتكون انفاسك كلها ذكراً دواماً تطوى (و) كانت (حركاتك) جميعها (له) فتكون هو موجدها ومحركك بها وانت تشهد تصريف الحق فيك وحكمته عليك واختياره بك فتفعل الحسنات في هذا المقام عادات ، وهو مقام مراقبة المحبوب في السر والعلانية حتى لا تطرف عين طرفة عين (واذا جهلته) بان غفلت عن مراقبته (كانت حركاتك) بان تصدر الصورها منك وتخلع عنك كاهل الغفلات والضلالات فتكون محجوباً بعامة نفسك ، وبحركاتك النفسية الشهوانية ، واما اهل المراقبة لله تعالى في الخلوات والجلوات فانهم لا يشهدون جميع الحركات والسكنات والارادات الا من رب الارضين والسموات ومدبر الكائنات •

(الغاية) المعنى عنه الغيرية حتى (لا يكون) لا دهر ولا بعضا

لاجتهاده في الرق بحتنبي عبودية في ... كما ... العبدي

(والزاهد) ... (في ... عنه) في غير الله تعالى (والعابد ...)

... وقوته وحوله مع الله عز وجل (...) أي ... من صدقه ... قال الله تعالى: (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه). (والمقرب دائما حول) عن شيء (ولا قوة) على شيء (ولا احساس ولا ...) بشيء (ولا حركة ولا سكون) في شيء الا بالله وحده ... عن كل شيء ... وحضوره ... ويحدا العارف هو (الموجود) في ... و (بالله موجود) في ... المعنى ... انتفى عنه ان يكون في شيء من هذه الاشياء الا بالله تعالى وامتنع وجوده مع ... لاستئناسه بوجود ربه، وبذلك قال الشيخ رضي الله تعالى عنه: (اذا استأنست به) أي بوجود الله تعالى في مشاهدة القدسية (استوحشت منك) أي من وجودك في المصارع النفسية فقد قلت:

وحشتي مني حين استأنست ... على ...

عدمت به ... اشهدها في كل حال ...

(من اشتغل بنفسه) أي لاجله (...) أي حجب عن التمتع بجمال الأنسي وانعدام الأنسي لاشتغاله محجوب لا بذاته، ومن اشتغل بمحبوب لا لذاته واشتغاله بمحبوبه معلول وادعاؤه الحب غير مقبول لعدم اخلاصه في المحبة (ومن اشتغل بالله ...) أي كشف له الحجاب حتى شهده ... لاخلاصه في اشتغاله بمحبوبه لان اشتغاله بمحبوبه لذاته لا لامر آخر فهو محب مخلص صادق في الحب يستحق ان يبصر بحقائق الاشياء.

فصل

(اذا زال هواك) ... صادقة (كشف) السر (لك)

اي حين قلت (عن بث اشتياقي [illegible]) [illegible] (فلاسف [illegible])
استحثت (عن) [illegible] (او [illegible]) [illegible] سوس الغرابة على [illegible]
مواقعت الاشية في قصد شهدت الغريبة [illegible]) انها المعرف (انه)
على (هو) الموجود الحق (لا) موجود (الا معه) لا معنى ان
يكون معه غيره بمعنى ان غيره وجوده بوجوده بل لا وجود لغيره مع وجوده لانه
حجب المحدثات مع عدمها باشرق تجليه [illegible] سوى اسمه (ان سلمت)
الموت (انه) [illegible] على المواقف وكنت
كالاموات بين يدي [illegible] (قربت) الى حبه ممسوحا بالمعية [illegible] واحييت
حياة طيبة (وان ترعيه) [illegible] ملتقى باختياره وتدبيره
(اعدت) عن الحمى الاقدس والمجلس الانفس وزدت من موارد الصفاء الى مهامه
قفار الجفا •

(ان قربت انه) [illegible] ( ) [illegible] (قربت) الى حبه
واذ حللت في زمرة احبته [illegible] (وان شربت اسمه) [illegible]
([illegible]) [illegible] ([illegible]) عن سنن اهل العرفان واوقعت في مهاوي
اهل الحرمان ([illegible]) [illegible] ونسيت انواع مواهب
الاحوال ونتائج الاعمال وفنون الاقوال معا وكنت [illegible] في دهشة مغلوب وانت بذلك
عنه مشغول ، [illegible] الكتب الكلبية وانت قائم بها
حتى [illegible] سواه [illegible] في المبدأ وهو مشغول
بمعشوقه عن رؤيته [illegible] في [illegible] المحبوب لا يشتغل بشيء سواه وان كان
الشيء عنده وبين يديه ، الا ترى العاشق [illegible] المحترق بنار
العشق اذا رأى المعشوق شغل بوجوده عن وجود غيره حتى عن وجود نفسه بل
يشغل عن [illegible] معشوقه ويتبعه في
كل ما يكلفه به ولا يجد [illegible] ولا [illegible] تكليف المعشوق به عين الراحة
فاذا كان هذا حال من يعشق [illegible] بحسب المطلق ؟ ،

[illegible] جميع [illegible] شهود الاعيان [illegible]

ولا [illegible] حليف محبوبه

[illegible] عن شهود الاغيار

[illegible] محجوب عن [illegible] (محجوب)

[illegible] (وجودك) اي مع وجود

(الحق) من [illegible] (ان) [illegible] وجود

(الحق) مع وجودك [illegible] (معه) [illegible] الشيء [illegible] اثره

(وان حققت [illegible]) [illegible] المحبوب [illegible] من شهد

فيه مع محبوبه غيره اوقعه شهود السوى في غيره .

[illegible] ولا يرى نفسه عملاً

ولا [illegible] هو العارف الذي

[illegible] على عمله وهذا

هو (العمل) الذي (لا [illegible] عمله) فليس يكون من اهل

الاختصاص [illegible] وطلب [illegible] الفضل

والامتنان : (قال) [illegible] (من قبل الله) أي من قبيل

من يطلب [illegible] وقصده عليه من احسانه اليه

(ولا يكن من عمل العمل) [illegible]

لله على [illegible] (من عرفه) [illegible] لا موجود ولا فاعل الا هو

([illegible]) [illegible] قال : اذا قضى بالكفر

والمعصية [illegible] المعصية [illegible] لا قصده ، والرضى

انما هو [illegible] (وان جهلته

حركت) [illegible] (فمراد)

[illegible] (ان تكون) هو المشهود على كل

حال (ولا تكون) انت لا ترى الا وجودا معه غائبا عنك في شهودك إياه .

(العوام) وهم السالكون في اول مقامات (اعمالهم مهملات) لرؤيتهم لها وعدم تخلصهم من متعلقاتهم (والخواص) وهم الموصوفون في سلوك المقامات والمستغرقون على قطعها الى ما لا نهاية له (اعمالهم قربات) لهم الى ربهم لزوال ابقاء منهم وتعلقهم بغيره (وخواص الخواص) وهم الذين استكملوا قطع المقامات حتى وصلوا الى حقائق معرفته فارتقوا في معارجها العرفاني الذي لا نهاية له (اعمالهم درجات) فلا يزالون يرتقون فيها .

(كلما احسست هواك) اي هوى نفسك (قوي اهمالك) اي وزاد انت فجرى به سقطات امرك (وكلما احسست ذاتك) بتلك عنها (قوي وجدك) اي قوي وزاد وجدك بتحرك به شهودك وجودك الهي امرك حسب الله تعالى (الخلق حجاب) اي نظر لصورهم عن رؤية الصانع على ما ينبغي (وانت اكثف حجاب) اي اشد حجب عليك عن شهود ربك وانك كثيف اشد حجبا لان رؤيتك الخلق اهون عليك من رؤيتك نفسك لانه من الشركين (والحق) تبارك وتعالى (ليس بمحجوب) تعالى عن ان يحجبه شيء (ومحجب عنك بك) اي من اجل رؤيتك نفسك معه (وانت محجوب عنه بك) اي وانت محجوب عن معرفته بنفسك بسبب رؤيتك الخلق ونعوتك معهم والتفاتك اليهم . والمقصود ان لا تحجب عن نفسك لكي تعرفه فاذا عرفت نفسك عرفت ربك فقد علمت ان معرفتك نفسك ليست لذاتها وانما هي لاجل معرفتك بربك . واذا عرفت نفسك بعقد معرفتك وكانت قاصرة حجبت عن شهود ربك اي عن معرفته (فاقصد علك) فاعد المعرفة الى من عرفت نفسك لاجله (تشهده) في كل شيء بما اظهره فيه من بدائع الصنعة المتقنة المحكمة ومع كل شيء علمه لتقدم لا في الذي لا تغير . وعلى كل شيء بقدرته الباهرة القاهرة فلا تشهد في الوجود الا الواحد المعبود (والسلام) عليك ايها الاخ في الله تعالى ورحمة الله وبركاته ..

تمت الرسالة بعون الله تعالى وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

شرح الرسلانية

للشيخ علي بن علوان الحموي

وقفت في الصحيفة ٦٥ من هذا الكتاب شيئاً عما عانيته في الحصول على الشرح الرابع لرسالة الشيخ ارسلان الدمشقي . وهو للشيخ علي بن علوان الحموى . اذ عثرت عليه بعد الجهد في مكتبة توبنغن بالمانيا الاتحادية . وقد نقل اليها من مكتبة برلين إبان الحرب العالمية الثانية . لذلك اكتفي بما ابنته سابقاً . واضيف بان للشرح مخطوطين اثنين في تلك المكتبة . وهما اللذان اعتمدتهما في تحقيق الشرح . في اعقاب مخابرات دامت اربعة اشهر تقريباً . ونقلت الافضل منهما . واشرت في الحاشية الى الخلاف بين النسخة الاولى وبين النسخة الثانية . ورمزت اليها بحرف (ن) أي النسخة الثانية . كي يكون القارىء العزيز على اطلاع كامل على ما فيهما . دون ان افرط بشيء في طريقة التحقيق التي استندت اليها في هذا الشرح وفي غيره من الشروح .

والذي لاحظته ان المخطوطين تضمنا اخطاء كثيرة في المتن المعتمد في ضوء الدراسات التي قمت بها ، سواء أكان في سورية أم في غيرها من البلاد العربية والاجنبية ، لذلك نشرت المتن الخاطىء في الحاشية ، ووضعت نصوص المتن المعتمد في الاصل .

• شــــرح الرســـلانية
لعلي بن علوان الحموي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على [illegible] محمد [illegible] وصحبه اجمعين .

اما بعد ، فإن [illegible]

على بن [illegible] الشيخ [illegible] على بن [illegible]

[illegible]

[illegible] :

([illegible]) [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الله عنه [illegible]

[illegible] (١) [illegible]

[illegible]

الرضى عنها .

[illegible]

مات وهو مصر على الكبائر ، [illegible]

[illegible]

---

(١) « ن » فاطرح ايها الشفيق .

(٢) « ن » فكيف بسواه ؟ .

[illegible] وهي أشدهن » .

[illegible] حيث جعل المهلكات ثلاثاً :
[illegible] أخي تصلي ولا [illegible] وفقه الله [illegible]
لدفع سموم الذنوب .

[illegible] من كل [illegible] عن كل [illegible] هو
النعيم الاكبر .

[illegible] اذا خرجت عنك) اي
[illegible] اي [illegible] بخروجك
عن [illegible] فتشرق
عليك [illegible] ويكون
[illegible] مع الحق [illegible]
[illegible] انوار [illegible]
[illegible] : لا إله الا الله » [illegible]
[illegible] محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
[illegible]

(١) « ن » ينحب بصلاته .

ويكشف لك حقيقته عند ذلك ويظهر لك الأمر عيانا ، فتستغفر مما كنت عليه من الأوصاف وتعترف بذنوبك ، ومن اعترف بذنبه حقيقة أعتق •

كما قال رضي الله عنه : (فكلما انكشف لك بان لك انه هو لا انت فتستغفر منك[1])
اي كلما كشف لك حقيقة الأمر وانجلى لك سره ، وتحققت بمقام التوحيد ، وتبين لك ان ما تريده لك وظهر انه هو الذي كان يتصرف بالأمور كلها ويسيرها في حركاتك وسكناتك عليه ، هو الله تعالى لا انت ، لأنه متصرف في كل شيء مدبر لكل شيء بحكمته واستولى على كل شيء ، اذ ما من شيء الا تحت قهره ولا فلك يتحرك الا وهي بإرادته وقدرته •

قال تعالى : (والله خلقكم وما تعملون) ، فاذا فهمت ذلك فتستوي على فعلك معه ، وعلمت حقيقة ما هنالك وانجلى لك سر الأمور ، وتحولت من غفلتك متيقنا انه هو الفاعل لا انت فتستغفر منك اي من افعالك واحوالك ونسبتها اليك ، اذ تحقق عندك حينئذ انها كلها ذنوب ، وان اوصافك واحوالك كلها عيوب ، واذا تحققت بحقيقة التوبة والاستغفار وتخلقت بشريعة الله والاكتساب وحملت نفسك امتثال الشريعة وتأدبك بآداب الطريقة ظهر لك مقام التوحيد وتمحو مشاربه وتدفع عنك ظلام الشرك وتضمحل عنك عيوبه •

كما قال رضي الله عنه : (وكلما وجدت[2] ان لك الشرك تجدد في كل ساعة ووقت توحيداً وايمانا) اي كلما علمت ان الله تعالى هو المتصرف في جميع الامور لا سواه تحقق عندك بحقيقته : لا اله الا هو ، وعرفت انه لا ضار ولا نافع ولا معطي ولا مانع ولا خافض ولا رافع الا الله ، وتدرجت بحسب ذلك هذه المعرفة وصارت لك سجية وبانت ظهر لك حينئذ الشرك[3] في جميع حركاتك وسكناتك واحوالك وتدبيرك وتصرفاتك ومكاشفاتك ، فتجدد في كل ساعة ووقت توحيداً وايمانا ، كما قال : جددوا

---

(١) ن . المتن الخاطئ : وكلما كشف لك بان لك انه هو لا انت فتستغفر منك •
(٢) ن . المتن الخاطئ : كلما وجدت بان لك الشرك فتجدد في كل مساء ووقت توحيدا وايمانا •
(٣) ن . المتن الخاطئ : حينئذ من الشرك •

استدامة الذكر : لا اله الا الله ، يوصله الى المكاشفة التامة ، وتنقيه عن سيئة القلب كل عيب ، فلذلك قال صلى الله عليه وسلم : « افضل الذكر لا اله الا الله » وقال في الحديث القدسي : « لا اله الا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي » فمن دخل حصن مولاه كيف يصل اليه سوء ؟ فلا يزال السالك يذكرها بلسانه حتى يصل اثرها الى جنانه فيمحى منه الشرك ويشهد سائر آثاره ، اذ لا يقدر على التخلص من مقربه العدو الا بذكر مولاه ولا يمكنه التخلص من شرك الشرك الا بالتحصن بحصن : « لا اله الا الله » وكلما لازمها السالك زاد ايمانه وخرج عن الخلق ، وكلما امعن فيها وأكثر زاد يقينه وخرج عن نفسه ووصل الى الحق .

كما قال رضي الله عنه : (وكلما خرجت عنهم زاد إيمانك وكلما خرجت عنك قوي يقينك[1]) ، الخروج عن الخلق هو عدم السكون اليهم وعدم الاعتماد عليهم وكلما خرج السالك بقلبه عنهم رجع بقلبه الى مولاه ، وهذا هو حقيقة ايمانه وعلاه ، وقد خرج السالك عن الخلق ، لكن بقي فيه شيء من رؤية النفس وتدبيرها ورجوعه الى اراداتها واختياراتها ، ولا يحصل له مقام اليقين والكمال حتى يخرج منها كما خرج عن غيرها فانها من الخلق ايضاً ، ومن يصل العبد الى الحق وهو متمسك من الخلق ، كما قال العارف : فصل ووصل ، ولهذا قال المصنف رضي الله تعالى عنه : « وكلما خرجت عنك قوي يقينك » .

ومن احسن ما قال الشيخ عبد القادر الكيلاني رضي الله عنه في هذا المعنى : « اذا فنيت عن الخلق قيل لك رحمك الله وافناك عن هواك واذا فنيت عن هواك قيل لك رحمك الله وافناك عن ارادتك ومناك واذا فنيت عن الارادة قيل لك رحمك الله واحياك ، فحينئذ تحيى حياة لا موت بعدها وتغنى غناء لا فقر بعده وتصح صحة لا سقم بعدها » ، وكيف لا يصير له ذلك وقد صار عبد مولاه ؟ وكيف لا يتحقق بذلك وما بقي في قلبه الا الله ؟ ، ومن كان كذلك ارتفعت همته عن الاغيار ولا يركن الى المكاشفات والمشاهدات .

كما قال رضي الله عنه : (... اسير الشهوات والعادات ! ... اسير ...

---

(١) ن . النص الخاطيء : وكلما خرجت منهم زاد ايمانك وكلما خرجت منك زاد يقينك .

والمكاشفات ، انت معروف انت مشغول ... عنه •• اي الاشتغال به غيب وهو عز وجل حاضر ناظر وهو معكم اينما كنتم في الدنيا والآخرة) . فشرع رضي الله عنه يبين[1] للسالكين طريق اهل التحقيق ويرشدهم الى صحة قلوبهم اوضح الطرق ، فان كل شيء سكن اليه السالك واعتمد عليه فهو حجابه وهو كل ... الاشياء من عبادات والمقامات والمكاشفات فان القلب اذا مال الى الشيء كان اسيره وعبده ، كما قال : « ما احب شيئاً الا وكان له عبداً » وهو لا يحب ان يكون لغيره عبداً ، فكذلك لا يحب العمل المشترك لا يحب القلب المشترك ، فالعمل المشترك لا يقبله ، والقلب المشترك لا يقبل عليه ، ففرغ قلبك من الاغيار ولو كانت معارف والاسرار والعبادات والمقامات والمكاشفات من الاغيار ، فمتى اشتغل بها السالك ومال الى كل منها فيكون معروفاً بها ، فلذلك قال رضي الله عنه : « انت معروف انت مشتغل بالشيء عنه » اي انت مشغول بحظوظ نفسك عن ربك ، فإن اشتغالك به عن الشيء يقتضي : ان ما خلق قلبك الا ليكون محلاً للذكر ، فاذا وضعت فيه سواه فقد عصيت وظلمت •• وما احسن ما قال بعضهم :

لست من جملة المحبين ان لم ... اجعل القلب بيته والمقاما
وطوافي اجالة السر فيه ... وهو ركني اذا اردت استلاما

والحاصل انه ينبغي للسالك طريق الخواص ان يكون في الاشياء بائناً عنها اي متصفاً بها غير ناظر اليها ملكاً لها غير مملوك لها ، فيكون في المعاملات بظاهره وقلبه عند مولاه ، كما يشعر بذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « وجعلت قرة عيني في الصلاة » ولم يقل بالصلاة ، فتأمل الحديث يظهر لك طريق العارفين ويتضح لك معناه ، وتدبره بقلبك تجد الصراط المستقيم وتعثر بحقيقة « لا اله الا الله » اذ حقيقتها الاعراض عن السّوى والاقبال على المولى •

فاجتهد ايها الاخ في تصحيح ذلك من قلبك ، وتحقق بالتوجه عليه وتدبره لذلك ، اذ هو عز وجل حاضر ناظر في سائر الاوقات : (وَهُوَ مَعَكُمْ اَيْنَمَا كُنْتُمْ في الدنيا والآخرة) على سائر الحالات •

(١) « ن » ان يبين •

وما أحسن ما قيل :

اعمل [illegible] | واشرح [illegible] حسن الأدب
واعمل [illegible] | في كل حال وهو رب

فيجب [illegible] هو مطلع على أسرارك وظواهرك في كل نفس وحال ، فينبغي [illegible] خشيته [illegible] الحق ومقتضيات العقل ، [illegible] ومن قوله صلى الله عليه وسلم : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله ، وإذا كنت كذلك فقد [illegible] أدب المعية (1) [illegible] عن نفسك وحزت المقامات العلية .

كما قال رضي الله عنه : (فإذا كنت معه حجبك عنك وإذا كنت معك استعبدك له (2)) أي إذا كنت حاضرا معه وفاعلا أدب المعية حجبك عنك واطلعك على النفس الأبية ، وللمعية مراتب : أدناها أن تكون معه فتمتثل ما أمرك وتجتنب ما نهاك وترضى بما قضى عليك وقدر ، وتشغل جوارحك كلها بطاعته وتصرف أوقاتك كلها في خدمته ، فحجبك حينئذ عن رؤية نفسك وأحوالها وأوقفك شهودك منه عليك ، وأوسطها أن تكون معه بترك المنازعة بأن تكون في أحكامه وأنت راض عنه ، إذ لا عمل للقلوب أرجى من عمل نفس عند شهوده وتحقق عدمك وجوده ، كما قال تعالى (والعمل الصالح يرفعه) ، أي يرفعه عن شهود [illegible] ولا شهد في ذات الأقدس المالك ، كما قيل : إلهي إن ظهرت المحاسن مني فبفضلك ولك المنة علي ، وإن ظهرت المساوئ فبعدلك ولك الحجة علي ، وأعلاها أن تكون معه [illegible] الحقيقة وهو أن تعرف ما لك وما له ، فلك الفقر والضعف والعجز والذلة ، وله الغنى والقوة والقدرة والعزة ، فإذا كنت معه بهذا الأدب حجبك فقرك بغناه وضعفك بقوته وعجزك بقدرته ، وذلك بعزته فلا تشهد حينئذ إلا أفعاله وأوصافه ، و[illegible] وجودك و[illegible] عنك كل إضافة وتستقيم في مقام التوحيد ، و[illegible] استوى عندك [illegible] من أهل المعرفة ، وما أحسن الشرق

---

(1) « ن » اديت حق ادب المعية .
(2) « ن » النص الخاطئ : اذا كنت معه حجبك عنك واذا كنت معك حجبك عنه .

صاحب الحكم الى هذه المراتب حين قال : « سعة العبيرة شهدت قربه منك وعين البصيرة شهدتك عدمك وجوده وحق البصيرة شهدتك وجوده لا عدمك ولا وجودك ، كان الله ولا شيء معه ، وهو الآن على ما عليه كان » وكل ذلك من آثار المعية وحفظ آدابها والوقوف على رسومها والتمسك بشرائعها وما احسن ما قيل :

لا أبرح الباب حتى تصلحوا عوجي وتقبلوني على عيبي ونقصاني

فان رضيتم فيا عزي ويا شرفي وان ابيتم فمن ارجو لعصياني

ومن لم يحفظ ادب المعية بل كان مع نفسه معتقداً انها حيثما وجدته فهو محجوب عن مولاه بنفسه ، وهي اشد الحجب ، كما قال ذو النون : « اشد الحجب واخفاه رؤية النفس وتدبيرها » وكما قال[1] صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » ، فاذا علمت ذلك ايها الاخ فخرج عن دعة نفسك وهواها وفارق الخلق يكمل ايمانك وتتحقق لنفسك تقواها .

كما قال رضي الله عنه : (الامن خروجك عنهم والتقين خروجك عنك) ، اد حقيقة الايمان حقيقة : « لا اله الا الله » ومن رسخ في قلبه حقيقتها لم يشهد الفعل لأحد سواه ، فمن شهد هذا الشهود وتمكنه منه ، كيف لا يخرج عن الخلق ويصل الى مولاه ؟ ، ومتى استقام في هذا الباب ونبت به الشروط والآداب شرف بالدخول الى منازل الاحباب وادير عليه كؤوس اليقين واذ شرب منها ساقي الشراب ، فحينئذ يخرج عن نفسه وعن صفاته ارادته وتشرق عليه أوصاف مولاه ويتحقق بالمقامات العلية ، لا يسكن بسره الا مولاه ولا يطرح ويكسر الا رجع علاه ، قد حفظ الله ظاهره فحفظه الله وحفظه باطنه فوجده تجاهه ، وذلك اعظم سؤله ومنه[2] ، كما قال صلى الله عليه وسلم: « احفظ الله يحفظك » احفظ الله تجده تجاهك ، فمن حصل له مقام المواجهة والشهود كيف لا يخرج عن الخلق والنفس ويستبدل الوصل بالصدود كما قيل :

---

(١) « ن » وقال .
(٢) « ن » وذلك اعظم سؤله .

تركت هوى ليلى وسعدى بمنزل   وعدت الى مصحوب اول منزلي

ونادتني الاشواق مهلاً فهذه   منازل من تهوى رويدك فانزل

فلا تقعد بهمتك ايها الاخ عن عروج سلمك ، لا تعتمد امال العصيان ، وصحح اسبابك وتسبب في الاحوال ، وكن انت من روح في اسفل تنقلب في المقامات وحز صفة اهل الكمال .

كما قال رضي الله عنه : (اذا زاد ايمانك نقلت من حال الى حال واذا زاد يقينك نقلت من مقام الى مقام) . اي اذا زاد ايمانك بقوة والرسوخ نقلت من حال الى حال وصرت من اهل الاحوال ، واذا زاد يقينك كذلك نقلت من مقام الى مقام وصرت من الرجال ، فوق المراتب التي تدخلها انت من احوال ، فاذا رسخ فيها واستقر فهي له مقام وكمال .

وانهض ايها الاخ بهمة سنية تطوي لك الحالات وتحوز المقامات العليه ، ولا يتم لك ذلك الا بلزوم الآداب الشرعية والتحلي بحلية الطريقة المرضية ، لتتجلى لك الحقيقه وتشرق عليك انوارها البهية .

كما اشار الى ذلك رضي الله عنه بقوله : (الشريعة جعلت لك حتى تطلبه منه به تعالى لك والحقيقة[1] له حتى تطلبه به له عز وجل حيث لا حين ولا اين فالشريعة حدود وجهات والحقيقة لا حد ولا جهة[2]) أي المقصود من الشريعة والملحوظ فيها المنافع التي تعود لك ايها السالك فان همة صاحب الشريعة ومطمح نظره نعيم الجنة ولذاتها وذلك حظ من حظوظ النفس ، فلذلك قال : « الشريعة لك » ، واتى باللام التي تدل على نفع صاحبها ، وغاية صاحب الشريعة ان يطلب الحق من الحق لكن لنفسه لا لمولاه ، فلذلك قال : « حتى تطلبه » أي الحق منه ، أي من الحق لك ، أي يكون ذلك الطلب منفعته عائدة لك والحقيقة له ، أي الحق تعالى حتى تطلبه ، أي الحق

(١) « ن » النص الخاطي : الشريعة جعلت لك حتى تطلبه منه لك والحقيقة .
(٢) « ن » النص الخاطي : له حتى تطلبه به عز وجل حيث لا حين ولا أين فالشريعة حدود وجهات والحقيقة لا حد ولا جهة لها .

تعالى به ، أي بالحق تعالى له ، أي الحق تعالى ايضاً : « حيث لا حين ولا اين » ، لان الحق سبحانه منزه عن الزمان والمكان ، فالحين والأين لا يكونان الا لذي مكان وزمان، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، فلذلك قال : « الشريعة حدود وجهات » ، لانها محصورة متعلقة بمحصور ، « والحقيقة لا حد ولا جهة » ، لانها متعلقة بالحق ، وهو سبحانه منزه عن ذلك ، والحاصل ان الشريعة بمنزلة الباب والحقيقة بمنزلة مندمة الاحباب ، فمن لزم الباب وتأدب بالآداب انجلت له السريرة وتنورت له البصيرة ، وارتفعت همته عن المقاصد الدنيّة وجذبت بالعناية الالهية الى المطالب العليّة فدخوله بالفضل الالهي الى دهليز الطريقة وارتقائه بعد ذلك الى منزل الحقيقة ، ولذلك قال الشيخ ابو عبد الله القرشي : « إلزم الادب وحدك من العبودية ولا تعرض لشيء فان ارادك له اوصلك اليـه » .

فالزم ايها الاخ آداب العبودية لمولاك واطرح بين يديه ، فان كلا من صاحب الشريعة والحقيقة قد تفضل عليه .

كما قال رضي الله عنه : (القائم بالشريعة فقط تفضل عليه بالمجاهدة والقائم بالحقيقة فضل عليه بالمنة ، وشتان ما بين المجاهدة والمنة) ، أي القائم مع الشريعة مبني امره على المجاهدة والخدمة ، اذ هو في البداية ، والقائم مع الحقيقة ملاحظه الفضل والتزام الحرمة ، اذ هو في النهاية[1] ، وشتان اي بعد ما بين مقام المجاهدة ومقام المنة ، فصاحب المجاهدة غارق في الفرق وهو بمعاملته محجوب ، وهذا غارق في الفضل وهو في سائر حركاته وسكناته محبوب ، ان نطق فبالله وان عمل فلله وان رجع فمن الله وان ذهب فالى الله ، فهو بالله ولله ومن الله والى الله[2] ، لا يعرف الا بالله ولا يشهد الا الله ، كما قيل : « من عرف الله شهده في كل شيء فلا يستوحش من شيء ويستأنس به كل شيء » ، صار شهوده معنى : (فأينما تولّوا فثمّ وجه الله) سبحانه

(١) « ن » اذ النهاية .
(٢) « ن » وان ذهب فهو بالله ولله ومن الله والى الله .

وحقيقة : (وهو معكم أينما كنتم) ، محفوظة في قلبه ، فلديك جار حسن الطوية .

فاجتهد أيها الأخ في نفسك عن الفعل ، وفن عن الأوصاف ، واخرج عن وجودك لعلك تصير مفقوداً ، وتحفك الألطاف .

كما قال رضي الله عنه : (القائم مع المجاهدة موجود والقائم مع المنة مفقود) ، لأن القائم مع المجاهدة ناظر الى مجاهدته مثبت فعله وقدرته(١) ، فهو موجود لوجوده الوهمي ، معرور بصلاته الرسمي(٢) ، والقائم مع المنة لا يشهد له مجاهدة ولا أعمالاً ولا حولاً ولا قوة ولا شيئاً من الأحوال ، فهو مفقود لأنه مستغرق في فنائه ، قد انخلع عن الكونين ولم يبق فيه بقية سوى مولاه ، لأنه طوى المنازل والأحوال وشرب من المناهل حتى ارتوى ذي أهل الكمال ، قد حاز من الأعمال المتعلقة بالشرع أعلاها ، ومن الأحوال المتعلقة بالتوكل أسناها ، ومن التوحيد المتعلق بالكشف رتبة بالغة منتهاها .

كما أشار الى ذلك رضي الله عنه بقوله : (الأعمال متعلقة بالشرع الشريف والتوكل متعلق بالايمان والتوحيد متعلق بالكشف الصحيح) ، أي الأعمال متعلق معرفتها بالشرع لأنه الباب ، ومن لم يقف على الباب لم يحظ بمنازل الأحباب .

فعفّر خدّك أيها السالك بثرى أعتاب الشريعة ، وكحّل ناظريك بكحل آداب الطريقة تنجلي لك أنوار الحقيقة وتقتدر على التمتع برؤية معانيها الدقيقة ، وأما التوكل فهو متعلق بالايمان ، اذ حقيقته الاكتفاء بعلم الله فيك عن تعلق القلب بما سواه ، وهذا الأمر لا يحصل الا لمن تحقق بحقيقة : « لا إله الا الله » .

فعليك أيها الأخ بتصحيح الايمان بالاقبال على مولاك ، واعرض عن سواه نحو مقام التوكل تبلغ مسعاك . وأما التوحيد فهو ذوقي لا يحصل الا بالكشف الربّاني ولا يذوق جرعة من شرابه الا من أديرت عليه كؤوس المعرفة وشرف باصلاح الأواني ، فاصلح أواني قلبك يظهر لك معاني التفريد ، كما قال تعالى : (والّذين جاهدوا

---

(١) « ن » ناظر الى مجاهدته لفعله وقدرته .
(٢) « ن » مغرور .

فينا لنهدينّهم سبُلنا) ، فمن لم تكن له قوة في الطريق لا تتم له قعود مع القوم ولا يصفو له هذا الرحيق :

أيها الخاطب معنى حسننا ... مهرنا غال لمن يخطبنا
جسد مضنى وروح في عنا ... وجفون لا تذوق الوسنا
وفؤاد ليس فيه غيرنا ... فإذا ما شئت أدّ الثمنا
وافن ان شئت فناء سرمداً(1) ... فالفنا يدني الى ذاك الفنا
واخلع النعلين ان جئت الى ... ذلك الوادي ففيه قدسنا
وعن الكونين كن منخلعاً ... وازل ما بيننا من بيننا
واذا ما قيل من تهوى فقل ... انا من اهوى ومن اهوى انا

وهذا مقام لا يحصل الا لمن شمر في اتباعه وصار من المحبوبين واقتفى الآثار واصلح الظاهر والباطن وصار من الوارثين ، فحينئذ تنكشف له الحقائق ويشرب من صافي هذا الشراب كل رائق ، واما من بقي في هذا الميدان بجواد عقله فلا يزال في فيافي الحيرة تائه ، ومن طلب الحجة بنفسه هوى ، فقد ضل الطريق وضل عما امده الله من نعمه وآلائه .

كما قال رضي الله عنه : (الناس تائهون عن الحق بالعقل وتائهون عن الآخرة بالهوى ، فمتى طلبت الله بالعقل فقد ضللت ومتى طلبت الآخرة بالهوى ضللت(2)) ، الحق تعالى لا يعرف الا بنور الايمان ، والجنة لا تنال الا بمخالفة الهوى والاستقامة في مقام الاحسان ، فمن أحدق الى الحقيقة بعين عقله غرق ، ومن نظر اليها بنور ايمانه تحقق ، وغاية العقل ان يدلك على الباب .

وأما الوصول الى الحضرة فلا سبيل اليه الا بملازمة الآداب ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك » ، اي احفظ الله بملازمة

---

(1) « ن » وافن ان شئت بقاء سرمداً .

(2) « ن » المن الخاطيء : الناس تائهون عن الله تعالى بالعقل وعن الاخرة بالهوى فمتى طلبت الله بالعقل ضللت ومتى طلبت الآخرة بالهوى ضللت .

الآداب يظهر بهذه المواجهة ويقصر عن [illegible] الا بسابقة الحسنى ،
فمن حمله [illegible] فلا يطمع في [illegible] الا بمجاهدة النفس والهوى ، فمن [illegible] فقد ابعد المرمى ، كما قال تعالى : (وأمّا من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإنّ الجنّة هي المأوى) .

فعليك ايها الاخ بالصدق في [illegible] واهجر [illegible] بأداء الفرائض والنوافل في سائر الاوقات حتى يحبك [illegible] في [illegible] الانوار وتحصل [illegible] فحينئذ تعرف معرفته حتى [illegible] حتى [illegible] فلا تصرح الا بين يديه .

كما قال رضي الله عنه : (المؤمن ينظر بنور الله والعارف ينظر به اليه) ،
المؤمن ينظر بنور الله لانه في البداية ، والعارف ينظر به اليه لانه في النهاية . فالمؤمن انمحت عنه ظلمات الشرك ولاحت له الانوار ، والعارف قد فني عن نفسه واوصافه فلم يشهد الا مولاه وانمحت عنه الاغيار . ويشهد للاول قوله صلى الله عليه وسلم : « اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله » . ويشهد للثاني قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي : « لا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به » . فاذا كان الحق سمع العبد وبصره ، سمعه به ونظره اليه به ، وهذا غاية مقام العبودية [illegible] من اوصاف الربوبية ، فيتحقق انه العبد [illegible] بطلعته ، ولازم الاعتاب [illegible] بمشاهدة الاحباب ، [illegible] الشمولة بالبركات
وما احسن ما قيل :

اصبر على غصص الادلاج في السحر(1) وفي الرواح الى الطاعات في البكر
اني رأيت وفي الايام تجربة للصبر عاقبة محمودة الاثر
وقل من جد في امر يؤمله واستصحب الصبر الا فاز بالظفر

---

(1) اي : اصبر على غصص الادلاج بالسحر .

فاجتهد ايها الأخ في التحقق بمقام الاحسان بامتثال الأوامر واجتناب النواهي حتى يحصل لك الفناء به فتفنى عنك وتبقى بالفيض الالهي .

كما يشير الى ذلك قوله رضي الله عنه : (اذا كنت انت معك امرناك فاذا فنيت عنك وتبقى بنا [illegible])(١) . [illegible] في مقام التفرقة بشهود وجودك امرناك ، واذا كنت في مقام الجمع والغيبة عن السوى وحصلت [illegible] اذا كنت في البداية فانت في مقام المجاهدة وان كنت في النهاية فانت في مقام المشاهدة ، فمن شهد مولاه كيف يبقى له التفات الى سواه . [illegible] صلى الله عليه وسلم : وجعلت قرة عيني في الصلاة ، ، والعارف [illegible] . حقيقة الصلاة الاعراض عن السوى والاقبال على المولى ، فمن [illegible] شهود [illegible] في الاعمال [illegible] خرج عنها بقلبه وسرائره ، وهذا حقيقة [illegible] حيث جعل قلبه في العبودية وقلبه ساجدا بحضرة مولاه . فعليك ايها الأخ بدوام العبودية والانطراح بين يديه علك تصل فيفنيك عنك ويجذبك اليه .

ثم قال رضي الله عنه : ([illegible]) .
اي ما دمت ترى نفسك ونسبتها فانت في البداية ، فاذا خرجت عنها ورؤيتها كنت في النهاية . فاصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضى عن النفس ، واصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضى عنها ، والرضى عن النفس هو عين التبعية ورؤية محاسنها ، وعدم الرضى عنها هو عين تهمتها ورؤية قبائحها . فمهما عممت ايها الأخ في سائر احوالك يصفو لك مقام العبودية ويرقى الى اوج الكمال ، فسبحان من ستر سر الخصوصية في ظهور البشرية وظهر بعظمة الربوبية في ظهور العبودية .

فعليك يا اخي بالاجتهاد والجدية في هذا الباب واصرف الحول والقوة يصفو لك اليقين الأدوم وتظفر بشمائل الاحباب .

---

(١) « ن » المتن الخاطىء : اذا كنت معك امرناك فاذا فنيت عنك توليناك فما تولاهم الا بعد فنائهم .

كما قال رضي الله عنه : (اليقين الادوم غيبتك عنك ووجودك به ، فكم بين ما يكون بأمره وبين ما يكون به ، ان كنت بأمره خضعت لك الاسباب ، وان كنت قائما به تضعضعت لك الاكوان (١)) . أي اليقين الذي تفوز به اهل المعرفة وتحقق به الدوام ، هو اليقين الذي يحصل منه غيبتك عنك ، حيث غبت عنك وانت موجودا به محفوظا بالذكر ، فكم بين ما يكون بأمره من اهل البدايات وبين ما يكون به من اهل النهايات .

ان كنت بأمره وتحققت بباب المجاهدة خضعت لك الاسباب ، وان كنت به وتحققت بمقام الغناء تضعضعت لك الاكوان ، والمقصود ان الغناء وان قدم تصحيحه في الطريق هو امتثال الأوامر واجتناب النواهي ، وذلك الوقوف على حد الشريعة ، واذا تم له فتح هذا الباب شرف بالدخول الى مدارك الاحسان ، فحينئذ يظهر من اوصافه ارادته ويخلع عليه من خلع الربوبية ، فتنقاد له دون حصر الاسباب ، لانه من اطاع الله اطاعه كل شيء ، كما ورد في الحديث في قصة مشهورة مع ابي ... وانت نعم لو اطعته لأطاعك . وفي المقام الثاني تضعضعت له الاكوان ، لانه فني عن نفسه فلم يبق في شهوده الا مولاه كما يشهد بذلك قوله تعالى : (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) .

اذا علمت ذلك ايها الاخ فتحقق بمرتبة الطلب وجهد واحذر من التواني لكي تكن من الملوك ، كما قال الشيخ ابو الحسن الشاذلي : « ان اردت ملك الدارين فادخل في طريقنا هذه يوما او يومين ، واعلم انك لا تشم رائحة من عطر هذا الطريق ما لم تعبر المقامات وتترك من قلبك كل تعويق » .

وقال رضي الله عنه : (اول المقامات الصبر على مراده واوسعها الرضى بمراده وآخرها ان تكون بمراده) ، اي اول مقدمات السالكين الصبر على مراد الحق كما قيل:

---

(١) « ن » النص الخاطى : اليقين الادوم غيبتك عنك ووجودك به ، كم بين مايكون بامره وبن ما يكون به . ان كنت بأمره خضعت لك الاسباب وان كانت به تضعضعت لك الاكوان .

اصبر فلاح ما يُرجى | وكل صعب به يهون
ربّما نيل باصطباري | ما قيل هيهات لا يكون

وكذلك قيل : « عنوان الصبر بمطلوب تحقيق بالصبر على مراد المحبوب » ، والصبر ثوابه بغير حساب كما قال تعالى : (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) . ومن تحقق في هذا المقام واستقام فيه صلح له أن يدخل[1] في مقام الرضى وتفكر بمعانيه ، وذلك من أعلى المقامات وأعلاها وبه يشرف على السالكين من الكمالات أفضلها وأحسن ما قيل :

يا أيها الراضي بأحكامنا | لا بد أن تحمد عقبى الرضا
فوض إلى الله وأبق مسلما | فالراحة العظمى لمن فوضا[2]
لا ينعم المرء بمحبوبه | حتى يرى الخيرة فيما قضى

وإذا أحكم هذا المقام ارتقى إلى العبودية وفني عن نفسه وأوصافه وخلع أنانيته ، ويكون حينئذ بمراد الحق حيث لم يبق له إرادة ويتحقق بمقام : « بي يسمع وبي يبصر » ، ويشرق أنوار هذه السعادة ، وكل ذلك من نتائج ملازمة الأدب ودوام الذكر بالقلب والتمسك بثرى الأعتاب .

ذكر الإله ألزم هديت بذكره | فبه العيون [illegible] والأفواه
واجعل جلالك [illegible] | [illegible] من كأس جلاله [illegible]
واستعمل الأفكار في ملكوته | مستغرقا في الكشف عن معناه
وتخلع النعلين خلع محقق | خلفا عن الكونين في مسراه
ويفنى حتى عن [illegible] | عين الفناء [illegible] تراه
فإذا بدا لك فاعلم أنك لست هو | كلا ولا أنت تكون سواه
[illegible] | [illegible] عما هو

(1) « ن » واستقام صلح له أن يدخل .
(2) « ن » فالراحة العظمى لمن فوضنا .

ب سامعاً لي قد اشرت به ألا ... قلب يفكر ما وعت اذناه

[illegible]

ان الاله اجل من متعرف ... من لم يراه قد استبان عماه

[illegible]

[illegible] لكن شدة ظهوره اخفاه (1)

يا ايها الراغب في [illegible] وطالب [illegible] لارتشاف جرعة من هذه الكؤوس الهنيئة [illegible] المعرفة [illegible] وتصحيح [illegible] في [illegible] وحصل لك المعرفة والكشف [illegible] .

كما قال رضي الله عنه : (العلم [illegible] طريق العلم والعلم طريق المعرفة والمعرفة طريق الكشف والكشف طريق الفناء) ، والفناء غاية المنى [illegible] العلم الشريعة والمعرفة [illegible] طريق العلم الذي [illegible] قال تعالى : (واتقوا الله ويعلمكم الله) ، وقال صلى الله عليه وسلم : (من عمل بما علم اورثه الله علم ما لم يعلم) ، والعلم الذي [illegible] المعرفة [illegible] لا يعرف العبد مولاه الا بمعرفة [illegible] حقائق [illegible] وشرب من كؤوس المنى كل خمر رائق .

والحاصل ان السالك لا بد له من معرفة الشريعة والطريقة في سلوكه حتى يحظى بهما في [illegible] ويصل الى نهاية [illegible] الى الحضرة [illegible] واصحب الرفيق [illegible] رضي الله عنه : (ما صلحت لنا ما دام فيك بقية لسوانا ، فاذا حولت السوى عنك افنيناك عنك فصلحت لنا واودعناك سرنا (2)) .

---

(1) « ن » لكن شدة ظهوره اخفاه .

(2) « ن » النص الخاطئ : ما صلحت لنا ما دام فيك بقية لسوانا ، فاذا حولت السوى عنك افنيناك عنك فصلحت لنا واودعناك سرنا .

قال الجنيد : « المكاتب عبد ما بقي عليه درهم » ، وانت السالك ما دام له تطلع الى سوى مولاه وفيه بقية من حظوظه لا يصلح لحضرة مولاه ، فاذا اخرج من قلبه السوي ولم يبق فيه الا الشوق الى مولاه و… عنه وصلح لحضرته و… الشرع و… يؤخذ عنه » ، ويمكث قيل : « الطرق الى الله ثلاث : طريق … وطريق المقتصدين وطريق المحققين » ، فطريق المقتصدين : تعليم … ، وطريق المحققين هجران الخلائق وقطع العلائق والاجتهاد في خدمة الخالق .

والى هذا المعنى يشير الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه حيث قال : « اخواني ما وصلت الى الله بقيام ليل ولا صيام نهار ولا دراسة علم ولكن وصلت الى الله بالكرم والتواضع وسلامة الصدر » ، فبالكرم يخرج السالك من علاقة الدنيا ، وبالتواضع يخرج من علاقة النفس ، وبسلامة الصدر يخرج من علاقة السوى ، ولم يبق له متعلق لا السوى ، وهذا غاية … نهاية السالكين .

فعليك ايها الاخ بتصحيح هذا الامر والخروج من … نفسك وافن عن وجودك يحصل لك اليقين وكمال التوحيد ويحصل لك شرف هذا المقام .

كما قال رضي الله عنه : (اذا لم يبق عليك حركة لنفسك كمل يقينك واذا لم يبق لك وجود عندك كمل توحيدك)[1] . … اذا لم يبق عليك حركة لنفسك دل ذلك على شهودك ان المحرك والساكن مولاك ، واذا تم … الشهود كمل يقينك وتم … من الاشياء فوق … ، واذا … وجودك … عنك كمل لك التوحيد ، وصرت من اهل الكمال فكل يأخذ منك .

فوقوفك بالمضمون واستبدال حركته بسكون هو … ، وخروجك عن وجودك بكمال توحيدك هو التشرف بمجالس الاحباب ، فارح نفسك ايها الاخ من التدبير فما قام به غيرك عنك لا تقم به لنفسك ، واخرج … عن كل وصف مناقض عبوديتك لكي تلبي نداء الحق مجيبا ومن حضرته قريبا .

(١) « ن » المتن الخاطئ : اذا لم يبق عليك حركة لنفسك كمل يقينك واذا لم يبق لك وجود كمل توحيدك .

. . ره الامرين نكن من اهل اسص و يبين ، وسست بسرى الاعتاب مع الاداب
لكن من اهل الظاهر والاسان في كن ـين ، ولكن مقام ورتبة عند العارفين •

(اهل الباطن مع اليقين واهل الظاهر مع الايمان فمتى تحرك قلب صاحب اليقين نقص يقينه ومتى لم يخطر له خاطر كمل يقينه ومتى تحرك قلب صاحب الايمان بغير الامر نقص ايمانه ومتى تحرك بالامر كمل ايمانه[1]) ، أي اهل الباطن مع اليقين وصولهم الى مرتبة العيان بحصولهم في مقام الاحسان ، واهل الظاهر مع الايمان وصولهم الى مرتبة التصديق بحصول مقام الاذعان ، فهذه ولاية صغرى لابد من الوقوف على اعتابها في البداية وتلك ولاية كبرى لا بد من الوصول اليها في النهاية ، فمتى تحرك قلب صاحب اليقين من اهل النهايات نقص ايمانه[2] بدلالة دلت على شهوده السوى فلذلك صدرت منه حركته ، ومتى لم يخطر له خاطر لاستغراقه في لجة الحضرة كمل يقينه لدلالة دلت على استكمال الشهود وانه لم يبق فيه للسوى بقية ، ومتى تحرك قلب صاحب الايمان بغير الامر وتلبس بذلك نقص ايمانه بدلالة دلت على انه في بحر المخالفات هالك ، ومتى تحرك بالامر وسلك هذه المسالك كمل ايمانه ، ودلّ ذلك انه مملوك لمولاه المالك •

والحاصل ان اهل الباطن وصلوا الى مقام الاحسان : مقام من يعبد الله كأنه يراه ، ومحال ان يراه ويشهد معه سواه ، ومن تم له هذا الشهود كيف يحصل له حركة وكيف بسبب ايه قيام او قعود ؟ ومن شرب من خمرة الكؤوس كيف يخطر له خاطر وكيف يصل لسمع قلبه طنة من هذا الناقوس ، واما اهل الظاهر فهم واقفون مع الايمان على الباب سامعون مطيعون لما يرد عليهم من السنة والكتاب فلا يتحركون الا بما امروا به من الاحكام ، ومتى تحركوا لغير ذلك نقص ايمانهم ، ومتى تحركوا بذلك كمل ايمانهم

(١) « ن » المتن الخاطي : اهل الباطن مع اليقين واهل الظاهر مع الايمان فمتى تحرك قلب صاحب اليقين نقص يقينه ومتى لم يحضر له خاطر كمل يقينه ومتى تحرك قلب صاحب الايمان لغير الامر نقص ايمانه ومتى تحرك بالامر كمل ايمانه •

(٢) « ن » نقص يقينه •

ثم يهب له مطلوبه من هذا المقام . فتمسك ايها الاخ وعض بالنواجذ بعرى الاعتاب فيتطهر عند ذلك قلبك من السوى وتخرج من الخوف والشوق وتصير منطرحا بين يدي المولى ، واذا وصلت الى هذا المقام صرت من المقربين وكنت تؤاخذ بما لا يؤاخذ به غيرك من عامة المؤمنين .

كما قال رضي الله عنه : (معصية اهل اليقين كفر ومعصية اهل الاحسان نقص)، لان اهل اليقين وصلوا الى مقام الاحسان فليس يغتفر لهم ارتكابه كغيرهم في الموت الابيض ، فلذلك اشتد العقاب ، ومع اهل الاحسان يتسامحون بما لا يسامح به اهل العرفان ، فلذلك كان معصيتهم نقصا لما فيهم من النقصان التي حجبتهم عن الوصول الى ذلك الشأن .

فاجتهد ايها الاخ في تطهير خاطرك وتنقيته من نجاسة محدثات لتدخل ممالك الحقيقة وتصير من المتقين المحبين اهل النهايات .

وقال رضي الله عنه : (المتقي مجتهد والمحب متكل والعارف ساكن والموجود مفقود ، لا سكون لمتقي ولا عزم لمحب ولا حركة لعارف ولا وجود لمفقود) ، فالمتقي مجتهد في الخدمة مترقب للهداية قوي همته ، كما قال تعالى : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) ، وكذلك قيل : « من لم تكن له قومة لم تكن له قعدة » ، وقيل : « اسس هذا الدين على الجد والاجتهاد » ، وما احسن ما قيل :

بقدر الكد تكتسب المعالي ... ومن رام العلى سهر الليالي

تروم الحق ثم تنام عنه ... يغوص البحر من طلب اللآلي

والمحب متكل في سائر اموره على مولاه ، لاكتفائه بعلمه فيه عن كل احد سواه ، فلا تتعدى نية همته الى غيره ، فتكون لا يحتمل آمال المخلوقين ولا يرفع حاجته في سره ونجواه الا الى رب العالمين قائلا بلسان حاله وقاله ، متمسكا بذلك في بكوره وآصاله :

يا من يرى ما في الضمير ويسمع ... انت المعد لكل ما يتوقع

يا من يرجى للشدائد كلها ... يا من اليه المشتكى والمفزع

فمن حوله ملامة في قول كل … من … الجسم … حمه
فمي سوف ترعى … [illegible] … فهي … اقرع
ومن الذي ادعو … [illegible] … فصلت عن غيرك …
حتى … يحسن … الجود … ومواهب اوسع

فالعارف بالله ليس له تدبير ولا ارادة قد خرج عن حوله وقوته فخدمته الاكوان وسيق له هذه السعادة وهو مستقبل ، … ومن لم يدبر دبر له ، ومن وقع في ميدان التفويض زفت اليه المطالب كما تزف العروس » ، وما احسن ما قيل

ولما رأيت القضاء جاريا … بلا شك فيه ولا مرية
توكلت حقا على خالقي … والقيت نفسي مع الجرية

والموجود مفقود ، أي الموجود بالوجود الحقيقي مفقود عن الوجود الوهمي لا يشهد في الوجود الا مولاه ولا يرى شيئا سواه ، فاذا عرفت ذلك فلا سكون لتقي لانه في الاجتهاد ولا حركة لمحب لاكتفائه بعلم الله واستغنائه بهذا الاعتقاد ، ولا عزم لعارف لخروجه عن حوله وقوته ، ومن تم له ذلك فقد تم نعيمه وسعادته ، ولا وجود لمفقود لمفارقته تلك الدمن واستبداله الوصل بالصدود .

فعليك ايها الاخ ببذل الهمة لنيل شيء من هذه الاحوال ، وفرق مواطن الشكوك وشعاب الاغيار لتحصل لك المحبة وتصير من الرجال .

لما قال رضي الله عنه : (لا تحصل المحبة الا بعد اليقين ، المحب الصادق قد خلا قلبه مما سواه ، ومن دام عليه بقية محبة سواه فهو ناقص المحبة[1]) ، اليقين هو الاعتقاد الجازم ان لا محبوب في الوجود الا الله ، ومتى تحقق ذلك حصلت له المحبة واعتكف بباب مولاه ، ومن صدق فيما هناك خلا قلبه عما سواه ، ومن بقي عليه بقية محبة لغيره فهو ناقص المحبة كاذب فيما ادعاه .

وعند الهوى … عند زينة … لدى شهوة او عند صدمة بليتي

(١) « ن » المتن الخاطي : لا تحصل المحبة الا بعد اليقين والمحب الصادق قد خلا قلبه عما سواه ، وما دام عليه بقيه فهو ناقص المحبة .

فعليك ايها الاخ ان كنت طامعاً في هذه المراتب بالخروج من جميع التلذذات وافن عنك تحوز المراتب وتظفر باعلى المقامات •

وقال رضي الله عنه : (من تلذذ بالبلاء فهو موجود ومن تلذذ بالنعمة فهو موجود ، فاذا افناهم عنهم ذهب التلذذ بالبلاء والنعمة[1]) ، اي من تلذذ بالبلاء لكونه نظراً ان ذلك صادر من مولاه فهو موجود لبقاء شعوره بما شرب من كؤوس حماه ، ومن تلذذ بالنعمة بقواه وحواسه فهو موجود وغارق في العرق من رأسه الى اسفله ، ومن فني عن الاكوان لم يشعر بتلذذ ودخل في مقام الاحسان •

كما قال رضي الله عنه : « فاذا افناهم عنهم ذهب التلذذ بالبلاء والنعمة[2] » ، فاجتهد ايها الاخ في الفناء به ، فبه تظفر بمقام المحبة وتظهر لك اعلامه ومعانيه •

وقال رضي الله عنه : (المحب انفاسه حكمة والمحبوب انفاسه قدرة) ، أي المحب انفاسه أي كلامه حكمة لكونه نور وعليه كسوة قلبه فما سمعه احد الا واذعن به وفهمه ، والمحبوب انفاسه وكلامه قدرة ، فما تكلم بشيء الا وقع ، ولا تخالف الاكوان امره لكونه تشرف بخلقه : « كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر ولسانه الذي ينطق به » ، وتحلى بحلية : (وَمَا رَمَيْتَ اذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى) فهو في الاكوان بظاهره ، بائن عنها بجنانه وسرائره ، فعليك ايها الاخ بالهمة العلية واجتهد في العبادات ولا تقف معها تحز من مقام المحبة رتبة سنية •

وقال رضي الله عنه : (العبادات للمعاوضات والمحبة للقربات ، اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر • لما ارادوني اعطيتهم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت[3]) اي العبادات متاجرة[4] فلذلك كان الحاصل

---

(١) « ن » المتن الخاطيء : من تلذذ بالبلاء فهو موجود ومن تلذذ بالنعمة فهو موجود ، فاذا افناهم عنهم ذهب التلذذ بالبلاء والنعمة •

(٢) « ن » المتن الخاطيء : فاذا افناهم عنهم ذهب التلذذ بالبلاء والنعماء ••

(٣) « ن » المتن الخاطيء : العبادات للمعاوضات والمحبة للقربات ، اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، لما ارادوني اعطيتهم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت •

(٤) « ن » اي العبادات متاجرة •

منها المعاوضات ، والمحبة مثل وفاء فلذلك يثبت على القرب ، فعبد مجتهد في خدمته لما يتوقع من نعيم جنة ، والمحب بال عن الاعواض ليس له مطلب ولا مقصد الا ان يكون مولاه عنه راضياً ، فلذلك كان عبداً على الحقيقة واستحق ان يقال في شأنه وشأن من كان على هذه الطريقة : « اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » ، لانهم اخلصوا النية ولم يبق لهم رهبة من نار ولا رغبة الى الجنان ، فلذلك صح في شأنهم ايضاً قوله : « لو ارادوني لي اعطيتهم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت » ، وفي ذكر هذا ثانياً بعد ما تقدم اشارة الى انه كالعلل بعد النهل ، وان الكريم لا يزال عليهم بفضله يتكرّم .

فانهض ايها الاخ لعلك تظفر بشربة من هذه المناهل ، وافن عن هواك وارادتك لعلك تصير عبداً صرفاً فتحوز من حضرة الانس الكمل .

وقال رضي الله عنه : (اذا افناك عن هواك بحكمة وعن ارادتك بالعلم صرت عبداً صرفا لا هوى لك ولا ارادة فحينئذ يكشف لك فتضمحل العبودية في الوحدانية فيفنى العبد ويبقى الرب تعالى[1]) ، أي اذا افناك عن هواك بامتثال الاوامر واجتناب النواهي ، كما قال تعالى : (واما منْ خافَ مقامَ ربِّه ونهى النَّفْسَ عنِ الهَوَى) ، وعن ارادتك بالعلم ، أي افنى ارادتك في ارادته لعلمك ان الارادة له حقيقة ولك عارية خرجت حينئذ عن الهوى والارادة ودخلت مقام العبودية وصرت عبداً صرفاً لا هوى لك ولا ارادة ، فحينئذ يكشف لك الحجاب وتتشرف بمجلس القرب وتصير من الاحباب ، وتشرق عليك انوار الحقيقة ، وتأخذك عنك وتفنيك فتضمحل عنك العبودية في الوحدانية ، فيفنى العبد حيث خرج عن اوصافه ويبقى الرب فيتحفه حينئذ عظيم الطرفه ، كما يشير الى ذلك قوله : (وما رميتَ اذ رميتَ ولكنَّ اللهَ رمَى) ، ومن هنا تصدر الخوارق والعجائب من الانبياء والاولياء من غير ان شهدوا لهم في ذلك حولاً

---

(١) « ن » المتن الخاطي : اذا افناك عن هواك بالحكم وعن ارادتك بالعلم صرت عبداً صرفا لا هوى ولا ارادة فحينئذ يكشف لك فتضمحل عنك العبودية في الوحدانية فيفنى العبد ويبقى الرب عز وجل .

ولا قوة لهم ... في غلبة الشوق ... وحكاياتهم في ذلك مشهورة ، وغرائب أحوالهم من شدة الشوق في الكتب مسطورة ، ومما يشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي : « لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ... » الحديث ، فإن كنت لم تعثر على شيء من هذه الأذواق ، والأصح ... على ... عند ... من خلع العشاق (١) ، ... الشريعة وإن انقبضت منها ، واعتكفت في ... وانبسطت في ... ، فتدخل حينئذ عرف المعرفة وتصير من أهل الدلال في معاملتها .

كما أشار إلى ذلك قوله رضي الله عنه : (الشريعة كلها قبض والعلم كله بسط والمعرفة كلها دلال) . فالشريعة كلها قبض لأنها حدود ومجاهدات ومخالفة للنفس فيما تهوى ومن ذلك ، واعلم أنك ... لا ... تشرح ... والسهر ... العظيم فتهتز ... وتنبسط ... إلى ... من علم الله بالمعرفة حقيقة ينال شجرة في ... ماله ... لا تشرح ... في شرق ... في ... هذه الأنعام ، وهذا من ... نفسه ... الأكوان ، ... نفسه إلى الوصول إلى مقام الإحسان .

... بين ... الحضور ... والحضور ... من ... ودوام الحضور ، وإن المعرفة ... كلها ذلك ... على ... قدر ... إن كنت من أهل الوصل ، قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه : « ... لو ... نور المؤمن العاصي ... ما بين السماء والأرض ... فكيف بنور المؤمن ... فكيف بنور العارف » ، ويدل على ذلك قوله تعالى : (قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) أي أخفاها بظلمة معاصيه .

فاجتهد أيها الأخ في ... الأذواق ... في المحبة حتى تفنى وتصير من أهل السعادات .

---

(١) ... لعل : يخلع عليك شيء من خلع العشاق .

كما قال رضي الله عنه : (طريقتنا محبة لا عمل [illegible] اذا دخلت في العمل كنت لك واذا دخلت في المحبة [illegible] العابد [illegible] والمحب راء لمحبته[1]) ، أي مدار طريقتنا على محبة الله [illegible] على محبته كما هو شأن اهل الكمال ، ويشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « وجعلت قرة عيني في الصلاة » ، ولم يقل بالصلاة ، وعلل الشيخ [illegible] اذا دخلت في العمل كنت لك » ، أي اذا دخلت في العمل ناظراً [illegible] عليه كنت [illegible] ، أي كنت في هذه المعاملة ناظراً لنفسك [illegible] حيث نظرت عملها ، واذا دخلت في المحبة كنت له لان المحبّ لا يشهد في كل شيء الا مولاه ، ولا يعوّل ولا يسكن لاحد سواه ، فتحقق بحقيقة : « لا إله الا الله » ، ومن كلام [illegible] قال [illegible] : « العابد راء لعبادته » ، أي معتمد عليها [illegible] أي [illegible] مولاه ، فلذلك يحرص على كل ما يوصله اليه [illegible] والمحب [illegible] في محبته » ، لكان اظهر في المقصود ، ولعله كذلك في بعض النسخ التي لم تصل الينا في هذه الحدود[2] .

وحينئذ ايها الاخ [illegible] فتحوز من الولاية اعظم رتبة .

وقال رضي الله عنه : (اذا عرفته [illegible] كانت [illegible] واذا جهلته كانت حركاتك لك) ، أي اذا عرفته [illegible] والعجز [illegible] كانت [illegible] به في [illegible] تحقق [illegible] تحقق بعزته ، تحقق بعجزك يمدك بقدرته ، واذا جهلته بجهلك [illegible] برؤيتك لها وتدبيرها كانت حركاتك [illegible] وعلات .

فانهض ايها الاخ [illegible] المراتب السنية .

---

(1) [illegible] المتن الخاطي : طريقتنا محبه لا عمل وفنا لا بقا اذا دخلت في العمل كانت لك واذا دخلت في المحبه كانت له ، العابد رائي لعباده والمحب رائي لمحبه .

(2) ان المتن المعتمد قد جا فيه : والمحب راء لمحبته ، لذلك نرى ان القول بغير ذلك في نسخ أخرى غير وارد .

وقال رضي الله عنه : (العابد له سكون والزاهد له رغبة والصادق له ارتكان والعارف ما له حول ولا قوة ولا اختيار ولا ارادة ولا حركة ولا سكون والموجود ما له وجود) ، العابد له سكون اي في تعبده ، والزاهد له رغبة لانه اعرض عن الزوائد ، وقد عكف على الشهود ، والصادق له ارتكان لدخوله في مقام الاحسان ، والعارف ما له حول ولا قوة ولا حركة اي متبرئ منهما ومسلم لمعبوده ، ومن وصل الى هذا المقام يستحي ان يختار او يريد مع اختيار مولاه وارادته ، ويأبى همته ان يتحرك او يسكن بنفسه لحظة ، والموجود بوجود الحق بعد فنائه ما له وجود لكونه فني عن وجوده الوهمي وتحقق بمقام البقاء فهو مستقيم على الشهود .

فعليك ايها الاخ بفقد استئناسك بغيره حتى تستوحش منه وتحصل الانس معه .

وقال رضي الله عنه : (اذا استأنست به استوحشت منك) ، اذ الاستئناس به تعالى لا يحصل الا بعد الانفصال من الاغيار ، فتستوحش من غيره ، فلذلك كان الاشتغال بها مما يوحشك ويشغل عنك هذه المنة ، فاعرض ايها الاخ عن نفسك بالكلية واقبل على مولاك واهجر الاغراض الدنية وصحح النية في هذا السفر فانه اسرع مطاياك .

كما اشار الى ذلك رضي الله عنه حيث قال : (من اشتغل بالله اغتبطه ومن اشتغل بما له حضره) ، اي من اشتغل بحضرته حفظ نفسه عبده واغتبطه ، ومن اشتغل بنفس قصده الا حضرت قربته ويصيره ، فلا تعدينه همتك ايها الاخ الى غيره فتكون كحمار الرحى الذي المحل الذي ارتحل منه هو الذي ارتحل عنه ، وانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم : « انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى » ، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه ، فتأمل يا اخي عن ابصاره هذا الكلام من هواك ويكشف لك عن الحقيقة فتتضح لك حينئذ المراد .

كما قال رضي الله عنه : (إذا زال هواك تكشف لك عن باب الحقيقة فتفنى ارادتك فيكشف لك عن الوحدانية فتحقق انه هو لا انت معه(1)) ، إذا زالت هواك ان عرفت عبدك بالفقر والضعف والعجز ... فتعرف ربك حينئذ بالغنى والقوة والقدرة والعزة فيكشف لك عن حقيقة تفنى ذاتك واختيارك وتدبيرك وتشهد ان المريد والمختار واحد لا سواه ، وانه المتصرف في سائر الأحوال لا انت ، فتحط رحلك في حضرته وتعكف لديه وتتحقق بحقيقة : (لا اله الا الله) ، ويكون شربك التفويض والتسليم(2) ، وتدار عليك من كؤوس هذا الرحيق ما تذوق به شمة من نعيم القرب ، فياله من نعيم ! .

كما قال رضي الله عنه : (ان سلمت اليه قربك ، وان نازعته ابعدك) ، ان سلمت اليه قربك بحقيقة حينئذ بمقام العبودية وان نازعته ابعدك لمخالفتك احكام الربوبية ، فاخضع وانكسر بين يدي مولاك وتقرب اليه ولا تقرب بنفسك تظفر بعلاك .

(ان تقربت اليه به قربك وان تقربت اليه بك ابعدك(3)) .

الملك لكم سادتي جئتكم فلا تهملوا من اساء الادب

وقولوا : عفا الله عما مضى فليس التفضل منكم عجب

(ان طلبته بك كلفك) وقوفك مع اغراضك (وان طلبته له دللك(4)) لسلامتك من اغراضك (ان جئت بلا انت قبلك) بتحققك بمقام الموحد (وان جئت بك حجبك) لسوء أدبك وشركك وافلاسك عن مقام التفريد .

(العامل لا يكاد يتخلص من رؤية عمله) ببقاء غبار الشرك فيه .

(فكن من قبيل المنة ولا تكن من قبيل العمل(5)) ، ليتم لك شرب التوحيد وتدار عليك كؤوس معانيه .

---

(١) « ن » المتن الخاطي : إذا زال هواك تكسف لك عن باب الحقيقة فتفنى ارادتك .
(٢) « ن » ويكون شربك التعويض فيكشف لك عن الوحدانية فتحقق انه هو لا انت .
(٣) « ن » المتن الخاطي : ان تقربت به قربك وان تقربت بك ابعدك .
(٤) « ن » المتن الخاطي : وان طلبته لك دللك .
(٥) « ن » المتن الخاطي : فكن من قبيل المنة لا من قبيل العمل .

(ان عرفته سكنت) ، محققة بمعرفته ان لا يحد ، الا بالاضطراب عنده (وان جهلته تحركت) ، تشركك وجدانك ، فقدت واقتصد الجوارح عليك ، (فالمراد ان تكون ولا تكون[1]) ، وهذا المقام يمكن ان تحققت بعينه وشربت من الرحيق وشربت من شراب المعرفة وادير عليك كؤوس من اهل الكشف ، فهض ابها الاخ سعى بهمة عليه وجود العوام عند ذي خصوص الخواص وخواص الخواص تكرع منها وتتم لك السعادة الابدية •

(العوام اعمالهم متهمة) ، وجود بقاء الشرك فيهم (والخواص اعمالهم قربات) شهودهم التقصير وانكسارهم في معاملتهم (وخواص الخواص اعمالهم درجات) ، لارتقائهم في مقام التوحيد وخروجهم عن مقاماتهم •

(وكلما احسست ذاتك قوي وجدك[2]) ، بملاحظتك من المعارضات • وكلما احسست ذاتك قوي بوجدانك عنك ذاتك واعمدت في بحر الموافقات ، فان اردت ايها الاخ الصدق ان تدار عليك كأس من شراب الرحيق فمل عن الهوى واعرض عن السوى •

(الخلق حجاب وانت حجاب والحق ليس بمحجوب[3]) ، اذ لو حجبه شيء لستره ولو ستره لكان له حاصراً ولو كان له حاصراً لكان له قاهراً : (وهو القاهر فوق عباده) ، (وهو محتجب عنك بك) ، اي بشهودك نفسك والا فهو اقرب اليك من حبل الوريد • (وانت محجوب عنك بهم[4]) ، اذا صدقت في الاقبال عليه ونسيت واطرحت بين يديه ، (فاقصص عنك تشهده واسلام[5]) ، واخرج عن اوصافك تشهده وادخل مقام الاحسان فيستغني جسدك من الفرج بنور الطاعات ، كما

(١) « ن » المتن الخاطي : فالمراد ان يكون ولا تكون انت •
(٢) « ن » المتن الخاطي : كلما اجتنبت هواك قوى ايمانك •
(٣) « ن » المتن الخاطي فالخلق حجاب وانت حجاب والحق لس بمحجوب •
(٤) « ن » المتن الخاطي : فانت محجوب عنك بهم •
(٥) « ن » المتن الخاطي : فانفصل عنك •

[illegible]

تجاهك وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله .

[illegible]

(إيّاكَ نعبُدُ وإيّاكَ نستعينُ) ثم ثبت شرفك وعلاك .

والحمد لله على [illegible] على من [illegible] وعلى

آله وصحبه [illegible] على [illegible] الله .

التعليقات الكمالية على الرسالة الارسلانية

للعارف العلامة مصطفى كمال الشريف

تعتبر التعليقات الكماليه على الرساله الارسلانيه ، احدث شرح لرساله التوحيد ، لان صاحبه العلامة الشيخ مصطفى كمال الشريف عالم عامل معاصر ، وقد بدا الشرح ثم انتقل الى رحمته تعالى قبل ان يكمله ، ومع هذا رايت ان انقله لما في هذا الجزء من الشرح من نفحات سامية رفيعة ، تميز بها الاستاذ الشارح ، في كل ما كتبه من تعليقات ومنتخبات كماليه ، ابان حياته الحافله بجلائل الاعمال .

ومما يلاحظ ان الشارح نحا نحوا يختلف عن غيره من اولئك الذين قاموا بشرح رساله التوحيد ، اذ اتبع اسلوب المقاطع ، فكان يكتب المقطع ويتبعه بالشرح ، وتوقف، قبل وفاته ، عند مقطع من مقاطع متن رسالة التوحيد ، ، وهو : قال رضي الله عنه : (الايمان خروجك عنه تعالى واليقين خروجك عنك . اذا زاد ايمانك نقلت من حال الى حال واذا زاد يقينك نقلت من مقام الى مقام) .

التعليقات الكاملة على الرسالة الارسلانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين حمداً يليق بجلال وجهه الكريم وبما يستحق سلطانه العظيم والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذي تحقق وجوده والرحمة للعالمين ظهوره اذ به خرج الذين اجابوا دعوته من الظلمات الى النور وهدوا الى الصراط المستقيم وعلى آله الكرام واصحابه الفضلاء شموس القلوب ونور الابصار ونجوم يهتدى لمن بهم اقتدى بهم الى يوم الدين .

اما بعد فيقول العبد الضعيف ... محمد ... في اليوم الثاني والعشرين من شهر شعبان المعظم سنة ١٣١٥ في دمشق الشام ان نعلق بعض كلمات على رسالة الارسلانية التي هي في بابها جوهرة فريدة ودرة يتيمة رضي الله عن مؤلفها الولي الكبير والعارف الخطير والقطب الجليل ونفعنا به وبها في الدارين وكان ذلك خدمة لها وابتهاجا بها لانها نور عيني وجلاء قلوب في كل ... حديث ، المهم لمن كان له قلب او ألقى السمع وهو شهيد .

قال رضي الله عنه : (كلك شرك خفى ولا يبين لك توحيدك الا اذا خرجت عنك فكلما اخلصت ينكشف لك انه هو لا انت فتستغفر منك وكلما وحدته بان لك الشرك فتجدد في كل ساعة ووقت توحيدا وايمانا وكلما خرجت عنهم زاد ايمانك وكلما خرجت عنك قوي يقينك) .

(ش)

يا من قال : « لا اله الا الله محمد رسول الله » ذاكرا ومتحققا بقوله صلى الله عليه وسلم : « اعبد الله كأنك تراه » كلك من حيث حركاتك وسكناتك وخطراتك وارادتك شرك خفي فيك لانك ظننت انك موحد بسبب اقرارك بالاسلام واعتقادك بالايمان ، وظننت ان التوحيد هو الاقرار الذي كاقرارك والاعتقاد الذي كاعتقادك .

[illegible] قد خرجت [illegible] امواج واشرك الصراح
[illegible] على الارتقاء الى مرتبة الاحسان
[illegible] : (إنَّ اللهَ مع الذين اتَّقوا والذين هم
محسنون) . [illegible] كله [illegible] وعدوه [illegible]
[illegible] .

ولا [illegible] وجدت [illegible] ولا [illegible]
[illegible] في وجدك ،
والاخلاص في [illegible] توجه تكشف الى فهم معنى .
[illegible] اسرار هذا
المعنى [illegible] مدارج الاحسان
[illegible] وكشف [illegible]
[illegible] أي [illegible] لا انت أي لا انت
[illegible] هو من حيث هو [illegible] عدد من
[illegible] : (بل هُمْ في لَبْسٍ
من خلقٍ جديد) [illegible] وخطرات
وارادتك وحركاتك وسكناتك [illegible] موجود [illegible] بين الكاف والنون :
(إنما أمرُه [illegible] يقولَ له كُنْ فيكونُ) .

[illegible] أي علمت
[illegible] شهودك [illegible] ، أي من
شهود [illegible] شهود موجوديتك قبل شهود الوجود الحق
الذي [illegible] الذي انت به موجود ، وسر القبض الذي
[illegible] فعله ، وان هو [illegible] صورة
[illegible] الا اسمه ووصفه وفعله
وأنك مرآة له وانه هو مرآة لك ، فان عرفت [illegible] كنت عبداً محضاً وان حرمت
[illegible]

بسببه جهلك ، وجهلك بسببه ضعف نور المجهول او عدمه . (ومن لم يجعل الله له نوراً فماله من نور) •

وكلما وجدت هذا التوحيد في مراتب الاحسان الاربعة كما ذكرنا بان لك وجه الشرك ، لانك اذا وجدت شهود آنيتك به بان لك ان شهود آنيتك به فلا شرك ، وهكذا في المراتب بعدها فتجدد في كل ساعة ووقت من ساعاتك واوقاتك مدة وجودك في المرتبة التي ترقيتها اليها توحيداً وايماناً ، وكلما خرجت منهم ، أي كلما ترقيت من هذا التوحيد والايمان الى المرتبة التي فوقها زاد ايمانك بالنسبة للمرتبة التي قبلها ، فانك اذا شهدت الوجود الحق قبل شهودك موجوديتك بعد ان شهدت آنيتك به زاد ايمانك أي صار عندك شهودان وذوقان ، وكلما خرجت منك أي تبهت سر الباسط وانك موجود به وسر القابض وانك مفقود به وغبت عن شهود موجوديتك آنين اي شأنين متعاقبين من شأن وجوداً اضافياً وشأن عدماً حكمياً وتبهت ايضاً شخصيتك وكيف هما صورة الفعل والامر زاد يقينك أي قوي استمساكك به : (لا إله الا هو الاول والآخر والظاهر والباطن وانه بكل شيء عليم) وقلت : في تشطير كلام سيدي ابن الفارض قدس الله سره في هذا المعنى :

وليس معي في الملك شيء سواي | والمعية معنى دق عن فهم فتيتي
وليس هناك الحسن ذات بذاك | فالمعية لم تخطر على المتمني

قال رضي الله عنه : (يا اسير الشهوات والعبادات ، ويا أسير المقامات والمكاشفات انت مغرور انت مشتغل بما عنه أي الاشتغال به عنك وهو غير وحل حاضر ناظر وهو معكم اينما كنتم في الدنيا وفي الآخرة فاذا كنت معه حجبتك عنك واذا كنت معك استعبدك له) •

(شرح)

يا أسير النفس في حب شهواتها من النساء والبنين والذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ، فكونك اسيراً للشهوات كونك اسيراً لنفسك ، وكونك أسيراً لنفسك كونك أسيراً للدنيا أي عبداً للدرهم والدينار والخميصة ، فدخل حينئذ

تحت قوله صلى الله عليه وسلم : « تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة »
فهذه سبع عقبات فلا ينجو من اسر حب الدنيا حتى يقطعها اي حتى يخرجها من قلبه
فلا يذكرها اصلا ، واما وجودها في يده فلا يضره اذا صرفت فيه تصرف خازن امين
يقبض بأمر سيده ويدفع بأمر سيده ويعطي بأمره ويمنع بأمره ، فحينئذ يقال لك : رحمك
الله وأمات هواك ، قلت هذا الصنف سبق الشهوات لأن قبلها كان اسيرا للنفس من حيث
حيوانيته وحظها الحسي وهو اسير لها من حيث عقلها المعاشي وحظها المعنوي ،
فهذه ادركه بها عقبتين ، الخلق والاسباب في المعرفة والتشبهات اعني المقدمات العقلية
ونتائجها والتأثيرات والمؤثرات الكونية وتراتيبها ، فليس لك سبيل تملك بها نجاة فلا تنجو
من هوة المهالك ، فمتى لازمك الخوف والهم والغم والقلق الفكر والتدبير والسعي
والاضطراب والقلق ، فمتى علمت علم يقين ان الحاكم في الخلق والاسباب هو الله
جلي وثبتت بعود لنفوذ امره فيهم وما يحركهم حسه يحركهم فعله حجب فيك
وثبت بل في الله وبالله أي جهدك في صنعه لله وبحوله وقوته لا في صنعه بنفسك وحولك
وتدبيرك وقوتك وتصرفك في نفس الانقطاع والياس عن الخلق والاسباب فما تنظر
اليهم الا كما ينظر المضروب للعصا والتحدث ربات الخدر ، المضروب لا يضرب لا للعصا ،
وبهذا تقلبت نفسك انت ابعد من جملة الخلق الذي يعني الخروج عنه فخرجت عن
نفسك وما انفك ابهم الا العقل المشهور نفسه والكمي نفسه والكريم عينه فحينئذ
يقال لك : رحمك الله وأمات ارادتك ، فسوى هواك اصلا من اسر العقل المعاشي
والحظ الشيطاني وهما الخلق والاسباب كما قلت ، ومن جملة الاسباب العبادات فانها
بحسب الظاهر وسيلة لنيل الخيرات والمقامات والمكاشفات ونحو ذلك وجرى فيها الموت خرجت
عن التعلق بها ايضا وعلمت انها وسائل لا مقصد وانه لا سبيل الى الكون وسيلة الا اذا
كانت بوجه الله وبحوله وقوته ، قلت اذا جهلت وفيهم ... تدخل عليك الغرور
من حيث لا تشعر فتجري عليك آيته : (إن الكافرون الا في غرور) اصراف
دليله فتهوى في مهوى ويلها ، واما اذا علمت وتيقنت ... في قلبك من
اليقين نوعي روحك من الشهود بانه معك ، فتستحي ان تنظر سواه بعين السوى بل بعين
العين ؛ أي انك تنظر للخلق والاسباب انها فعله وحكمه وامره ظاهرها وباطنها كثيفها
ولطيفها فتكون معه بموافقته دائماً فحينئذ يقال لك فتستحق الصفات ، وعلامة ذلك

[illegible] في [illegible] ولا مراء

[illegible] في عين الامر ويكون [illegible]

[illegible] مكرمه : (في

مقعد صدق عند مليك مقتدر [illegible] و ما ادراك [illegible]

[illegible] أي

[illegible] من حيث

الاركان والاحجار ويهام عليك الميزان وتكون رهين قوله تعالى : (فاما من ثقلت

موازينه فهو في عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية وما ادراك

ما هيه نار حامية) •

قال رضي الله عنه . ([illegible] خرجت عنهم وابقى خروجك عنك ، اذا زاد

[illegible] من مقام الى مقام) •

الملحق الاول

١ ـ المواهب الالهية
٢ ـ مدخل « فصوص الحكم » للشيخ الاكبر
٣ ـ ذكرى لمطالعي « فصوص الحكم » للشيخ الاكبر

للعلامة الاستاذ مصطفى كمال الشريف

يسر « مكتبة الكاشانية » أو « الاوراق الخمسة » للعلامة المرحوم الاستاذ مصطفى كمال الشريف ، كثيراً من الكنوز العلمية النفيسة التي نرجو الله على ان تظهر الى حيز الوجود بجمعها ، بعد ان انتقت اربعة ابحاث منها ونشرها على انه أول الغيث ان شاء الله ، وهي شرح الرسالة الارسلانية ، التي قدمها في آخر الشروح الخمسة لرسالة التوحيد التي حققها الشيخ أرسلان الدمشقي ، ثم يضع قراؤنا الاعزاء فيما بعد تحت عنوان « المواهب الالهية » رأيه وشيئاً كثيراً من الامور المهمة المتعلقة الواردة في بحثي : مدخل « فصوص الحكم » و « ذكرى لمطالعي فصوص الحكم » للشيخ محي الدين ابن العربي ، وهما البحثان اللذان كتبهما العلامة الشريف ، وفيهما دراسة علمية من نصوص ... وانتهاءه بالكتاب ... في مؤلفاته الكثيرة الغزيرة •

المواهب الكمالية

للعلامة مصطفى كمال الشريف

ان الحق سبحانه وتعالى يهب عباده العطايا من مواهب جميلة كثيرة تطلق اي يطلق الاسماء: العطاء وهو المعبر عنه بالاعطاء غير المجهول ، وهذا يطلق تارة بغير سؤال ، اي الدعاء ، وهو الغالب ، وتارة بالسؤال والسعي وهو الاقل ، وتارة بالسعي من غير سؤال وهو الاقل ، والمراد من السعي هو التشبث بالاسباب تشبثاً يماثل يناسب الوقت والحال ، وتارة تكون نتيجة السعي عكس ما يترتب عليه ، وذلك ان العبد يريد شيئاً فيسعى لحصوله وهو يظن ان هذا السعي موافق لمطلوبه والحال انه موافق ما اراد الحق سبحانه ان يعطيه اياه وهذه رحمة ونعمة من الله سبحانه وتعالى بعبده ؛ « عجب ربك من قوم يساقون الى الجنة بالسلاسل » ، والعطاء اربعة انواع :

١ ـ عطية من حيث النفس ، وهي المال والجاه والنساء والاولاد ، ولها ثلاث درجات :

أ ـ عطية تشبه مكر واستدراج في الدنيا والاخرى ، وهي عطية الكافرين .

ب ـ وعطية تشبه مكر واستدراج في الدنيا فقط وفي الآخرة سعادة المستحقين وهي عطايا الفاسقين .

ج ـ وعطية غير مشوبة بمكر وهي التي تكون لاهل الاستقامة قال تعالى : (ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم) .

٢ ـ وعطية من حيث القلب وهو العلم فقط وله مرتبتان

أ ـ علم ينفع صاحبه في الدنيا والآخرة وهذا هو العلم الذي امر الله سبحانه نبيه بطلب الاستزادة منه بقوله سبحانه : (وقل رب زدني علماً) ويعد هذا علم من ولايته صلى الله عليه وسلم العامة ، وهي التي تستمد منها الرسل عليهم الصلاة والسلام من حيث رسائلهم وشرائعهم .

ب ـ وعلم لا ينتفع به لا في الدنيا ولا في الآخرة او ينتفع به لا في الآخرة ،
وهذا العلم الذي استعاذ منه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : « أعوذ بك من علم لا ينفع ».

٣ ـ وعطيه من حيث الروح وهو الشهود ، وهذا هو عطاء النبي صلى الله عليه وسلم الخصوصية المعبر عنها بالمحبة وهي التي يستمد منها بالنسبة لكل شيء وشؤونه كل شيء لأن الصفة الاستمدادية هي النسبة بالنسبة عليه الصلاة والسلام ، وهذا الشهود له وجهان : وجه الظاهر ووجه الباطن فالوجه الذي يظهر به حال ومقام والوجه الذي للباطن كذلك فالحال بداية الفتح ، والمقام تفصيل والمقام إحسان ، والتفصيل الوصف والإحسان السيادة بالوصف ، فصاحب هذا الشهود من الأولياء المحمديين بعد قطع المنازل ، وهي بالنسبة لتحقيق وسلوك مرتبة يرث مقاما من مقامات الخلافة ، وهو مقام يخلع الله عليه سبحانه ويعطي خلعة الأوتاد او الافراد او الابدال ومن ثمة أعلى من الأبدال ، وبعد تشريفه بهذه الخلعة يوليه سبحانه ويعطي منصبا مستمدا من سر اسمه تعالى الهادي ومن سر اسمه تعالى القابض ، وهو مقام يقوم مقامه بالتعليم والهداية والارشاد ويسمى عالما وإماما كالأئمة المجتهدين والمشايخ العاملين والابدال يقوم في مقام التصرف وهذا لا يعرفه الا صاحب هذه الخلعة ، وهذا المقام له درجات ، ومما أعلمني الله تعالى به ان سيدنا الامام ابي حنيفة وسيدنا الامام الأوزاعي وسيدنا الامام عبد القادر الجيلاني وسيدي احمد البدوي وسيدي احمد الرفاعي وسيدي محي الدين ابن العربي وسيدي الامام ابو حامد الغزالي وسيدي عبد العزيز الدباغ كانوا من اصحاب مقام الهداية وسيدنا الامام مالك وسيدنا الامام الشافعي كان من الافراد وسيدي الامام احمد بن حنبل كان من الأوتاد ، وكل من لم يخلع عليه خلعة من هذا الخلع لا يقدر على الحل والعقد ، وكل منهم له اسم خاص في هذه المرتبة ، وقد اعطاني الله تعالى نصيبي في هذه المرتبة والحمد لله تعالى واليه اشرت في قصيدتي الحائية بقولي :

به اكمل بروض حسن جماله ... واسحب ذيول العز فيه مراح

٤ ـ وعطية من حيث السر وهو مقام القرب ، فكل صاحب مرتبة الشهود له حظ في مقام القرب لكن تختفي معرفته حتى على اهل الكمال الا بالاعلام الالهي ، فكم من بدل او فرد يظن انه الغوث وليس هو الغوث وما هو الا من امكنته التي حازها بالوهب

الاسم الأصلي وعند هؤلاء في اصطلاح بعض كبار الصوفية افراد ولكن غير الافراد السابق ذكرهم فانهم خصوا ايضا في هذا المقام باسمه الذي في مرتبة الشهود ، وقد اعلمني الله تعالى سبحانه عن اسمي الذي شرفني به في هذا المقام ، فله الحمد والثناء والفضل والانعام على هذا الاسم شرفت في قصيدتي النونية من هدية المستهام بقولي :

اسعدتني عناية مولائي بين اهل الهوى بشوق مصون

ومما اعلمني به سبحانه في هذا المقام ان نسبي من جهة أبي متصل بسيدنا الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنه ومن جهة والدتي بسيدنا الحسين بن علي رضي الله عنه بحضرته رضي الله عنهما به صلى الله عليه وسلم واليه اشرت في ابياته بقولي :

يا سيد الشرفا يا ملجأ الضعفا عطفاً على من غدا للآل ينتسب

مدخل فصوص الحكم

للعلامة مصطفى كمال الشريف

« الفصوص » يتكلم عن اذواق الانبياء عليهم الصلاة والسلام الذين ذكر اسماءهم الشريفة ، من حيث كمالاتهم الانسانية ، ولما كان غير المفتوح عليه بالفتح الكبير ، ومن حسنته شهود الحضرات العلمية الالهية مع فهم ما يشير اليه من العلوم والاذواق لا يقدر على ادراك اسرار « فصوص الحكم » احببت ان اضع هذا المدخل ليكون بابا للدخول عنه لاهل العلم المحبين المخلصين ، وسلما للصعود الى غرف مقصوره المنيعه لاهل اليقين ، فأقول وبالله التوفيق .

الكون اي العالم عبارة عن قوى روحانية ، وان شئت فقل معنوية مشهودة بالبصيرة ومستورة عن البصر تسمى الباطن ، وهياكل حسية مرئية محسوسة تسمى الظاهر ، فالقوى المعنوية اذا عُلمت بالنظر الفكري فهي البرزخ بين الظاهر والباطن وللظاهر أقرب ، واذا لم تعلم بالنظر الفكري اصلاً فهي الباطن الصرف ، فاذا كانت تشير الى الحقائق الأنفسية ، أي الى النفوس البشرية من حيث كمالاتها فهي البطن الاول ، واذا كانت تشير الى اسرار تلك الكمالات من حيث العلل والاسباب فهي البطن الثاني ، واذا كانت تشير الى اصل تلك الكمالات وموردها تسمى البطن الثالث ، واذا كانت تشير الى حقيقة تلك الكمالات من حيث قيامها بنفسها تسمى البطن الرابع ، واذا كانت تشير الى سر إسم الله الهادي من حيث مرتبة الاسلام تسمى البطن الخامس ، واذا كانت تشير الى سر اسم الله الهادي من حيث مرتبة الايمان تسمى البطن السادس ،

---

(١) كتاب « فصوص الحكم » ألفه سلطان العارفين الشيخ الاكبر وسلطان العارفين محي الدين ابن العربي .

واذا كان شيئاً من اسم الله الهادي من حيث مرتبة الحس سمي مظهر السابع .

والحق سبحانه وتعالى جعل الهياكل الحسية مرئية المحسوسة باسمه تعالى الظاهر ، وجعل القوى معنوية باسمه الباطن ، ولا شيء قبل المدة من البطون السبعة المذكورة والعنصر الدائم التنوع مثل الانسان ، لكن باعتبار جمعيته الكلية أي عدالته الكاملة ، وهي أن لا يغلب عليه الوصف الملكي او الشيطاني او الحيواني او النامي او الجمادي بل يكون بحقيقته الانسانية على الاعتدال الكامل ، فبسبب هذا القول الذي اعطاه الانسان صار انساناً عين العالم في الكون ، ومرآة كاملة للمكوّن ، سمي مجلى تظهر فيه ومنه وبه تلك الكمالات التي هي في الحقيقة كمالات الحق .

ثم ان الحقيقة الانسانية هي صورة الانسان الباطنة اللطيفة وهي كرسي الروح ومجلاه والروح مظهر الحياة ، فالحياة لا تظهر الا بالروح والروح لا تتمكن من إفاضة الحياة من حيث وجهه اسم الله الباطن الا بالحقيقة الانسانية ، والحقيقة الانسانية لا تقدر على اظهار كمالاتها في هذا العالم الا بالهيكل البشري ، والهيكل البشري لا يتمتع بالحقيقة الانسانية والروحية والحيوية الا بالاعتدال الخلقي ، فلذلك قال الله تعالى : (لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم) ، والتقويم هو التعديل أي جعلناه في اعتدال لا أحسن منه ، فكل من ظهرت فيه تلك الكمالات على اتم وجه فهو أرقى من غيره ، ولا أحد ظهرت فيه تلك الكمالات ظهوراً كاملاً الا الانبياء عليهم الصلاة والسلام، كما انها لم تظهر تلك الكمالات على وجه اكمل وأتم الا في سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فلذلك كان خاتم الانبياء والمرسلين .

ولما كانت الحقيقة الانسانية من كل نبي تطلب بذاتها كمالاً خاصاً من تلك الكمالات امتازت كل حقيقة من حقائق الانبياء عليهم الصلاة والسلام بكمال خاص أي انها مع اتصافها بتلك الكمالات كلها امتازت بواحدة امتيازاً جعلها محتداً لذلك الكمال حتى صارت مفضلة له على سائر الحقائق الانسانية الكاملة ممن عدا الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، من هنا نقل إن الولي الفلاني على قدم النبي الفلاني ، تعلم من ذلك ان الكمالات الانسانية هي بالاصالة للانبياء عليهم الصلاة والسلام ، وبالامداد أي الوراثة

للمؤمنين الكاملين ، وهم الأولياء الذين قال الله تعالى (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون) .

ثم إن لكل نبي ولايتين : ولاية عامة وولاية خاصة ، فولايته العامة اتصافه وقيامه بتلك الكمالات ، وولايته الخاصة هو كمال تحقيق الذي أمر به ، ونبينا صلى الله عليه وسلم له ثلاث ولايات : ١ – ولاية عامة هي اتصافه بتلك الكمالات وقيامه بها أحسن قيام ، ٢ – وولاية خاصة وهي اتصافه واختياره صلى الله عليه وسلم بالعبودية الكاملة التي تطلبها الربوبية بكمالها ، ٣ – وولاية مخصوصة به وهي كون نوره صلى الله عليه وسلم أول مخلوق وذاته الشريفة خاتم الأنبياء .

تشرف هذه الأمة بالخاصة والمخصوصة وبمكانهما صارت ولايته العامة هي الممدة لسائر الولايات العامة ، وولايته الخاصة هي المفيضة لسائر الولايات الخاصة ، وصارت ولايته المخصوصة مركزاً للشفاعة العظمى ووسيلة للمقام المحمود ومحلاً للكوثر ومشرفاً للوسيلة

وحيث إن العبودية هي أشرف صفة للإنسان والباب الأصلي للدخول على رضى الرحمن ، ختمت هذه الصفة على سائر صفات الكمال ، فلا صفة أكمل منها في الكمال الإنساني ، وصارت ولايته الخاصة صلى الله عليه وسلم بها خاتم الولاية ، فكل من اتصف بتلك الكمالات على قدر وسعه وظهرت فيه العبودية على قدر طاقته فهو ولي محفوف بعنايته مشمول برحمته .

ولا خفاء بأن هذه الأمة المحمدية من زمنه صلى الله عليه وسلم الى يومنا هذا ظهر فيها من اتصف بتلك الأوصاف وفاز بلوائح الألطاف ما لا يحصى عددهم من العلماء والأولياء والصالحين ممن كانت حقيقته الإنسانية أشد ميلا الى سلطانها وهو الروح أمدتها القوى الروحانية المناسبة لها فتحقق بالبطون السبعة المذكورة كلها أو بعضها بحسب ميلها الكلي المسمى بالاستعداد الغير المجعول ، فهذا الامداد وهذا التحقق يسمى بالفتح ، وبقدر ميل صاحبه الى الوقوف على حقائق تلك البطون ، وإن شئت قل الحضرات فإنه

يطلع عليه ، وهذا الاطلاع يسمى الذوق الحقيقي عندهم ، فيتكلم بحسب الوقت الواحد بعد الآخر بحسب ما يعطيه الحق من ذوقه ومواجيده ، ويلقي هذا الامر بوجوه مختلفة بحسب مكانته ليس هنا محل بيانها .

ثم ان كل سالك لا يستعد لتجلي تلك الكمالات وتحقق بتلك الظهور واطلع على تلك الحضرات ، وان كانت حقيقته لا تساعده مثلاً في الوقوف على الحقائق وهذه الكمالات مشروطة بتلك النسبة ما عنده من العلم الذي هو برزخ بين الظاهر والباطن كما مر ، وامتاز عن غيره في عصره بتلقي الفيض الكامل من الولاية الخاصة المحمدية التي هي خاتم الولاية ، وكان احق بتلقيه وعلى يده ظهرت آثار تلك الولاية الخاصة من جهة اسمه العليم من حيث الباطن . لان كل اسم من اسمائه تعالى له وجهان : وجهة للظاهر ووجهة للباطن ، وقد قدم غيره من الاسماء في الصحو وجهة الظاهر ، افاض عليه صلى الله عليه وسلم من ولايته الخاصة ، حقائق حقيقته الانسانية ومراتبه الكاملة علوماً عظيمة دونها في كتبه الحسنة ، ومن جملتها كتاب فصوص الحكم ، فانه ذكر فيه كمالات الانبياء عليهم الصلاة والسلام الخاصة وادواقهم الكاملة لانهم مرايا تلك الولاية الخاصة المحمدية ، فكونه رضي الله عنه خاتم الولاية كونه مرآة لها أي مترجماً لها ترجمة ما سبقه اليها غيره من جهة التفصيل والافصاح والتبيين باللسان وجهة الباطن من غير تأويل ولا حدس ، فولايته رضي الله عنه وراثة أي التحقق والاتصاف بالكمالات لا ينقطع الى نزول سيدنا عيسى وهي الولاية العامة والاستمداد من الولاية الخاصة المحمدية التي هي خاتم الولاية ، وبعده لا ينقطع الى خروج الامام المهدي وبه تختم .

واما مظهريته رضي الله عنه فهي لا تورث ، وهذا الامر ليس مخصوصاً به بل في كل ولي ، فان الاسرار التي يحملها الولي يحملها غيره من بعده وفي بعض الاوقات يحملها الناس ، واما مظهريته فلا تعطى لاحد لتحقق سر الاثنية ، فاذا ظهرت تلك المظهرية صار المظهر الثاني عين الاول فرات الاثنية الحقيقية .

ثم ان حال الوراثة يختلف ظهوره في الاولياء بحسب الزمن كما تختلف احوال المرائي الظاهرة ، فليس هؤلاء الوزراء الآن مثل الوزراء السابقين ؟ على ان مقام الوزارة

وهو أي ذلك الاحسن والأبهى والصعود والكلمة ، وأين هذا العقد والارتباط بالقوانين والنظم ؟ فان الحاملين للاسرار موجودون ولكن مفقودون ومستورون .

فاذا علمت ذلك علمت ان خاتم الولاية الذي عند الجميع هو الرسول صلى الله عليه وسلم من حيث ولايته الخاصة التي ترجم عنها الامام محيي الدين ، لأن مقام الرسالة ليس من خصائصه المترجمة عنها ، وقد علمت معنى كون ختم الولاية يكون تابعاً من وجه ومتبوعاً من وجه وغير ذلك من الكلام الذي ظهر بوجه الافضلية من الذوق السابق الذي تحت عنوان : « ذكرى لمطالعي فصوص الحكم » كما انه ظهر لك ايضاً ان الفصوص يتكلم عن اذواق الانبياء وكمالاتهم المستترة بلسان العلم الرباني لكن من وجهه الباطن ، وان كل مرتبة وذوق مندمج في كل فص ضمن تلك العبارات التي اوردها للتفصيل والايضاح ، وان سامع الفصوص يعني انه سمعه من الرسول أي يرى ان ذلك الكلام مما عدا التفصيل هو كلام الرسول لكن من وراء حجاب ، وان لا ينكر على الامام محيي الدين شيئاً مما ذكره ولا يفهم ما سمعه من الكلمات ، لان هذا الحلول جاء من المعنى الذي فهمه هو على انه ليس بمقصود للامام ولا هو مراد الشارع عليه السلام ، وان يتمنى ان الوقوف على العلم الرباني أي المظهر به للاسرار اسم الله العليم ان كان من وجهة الظاهر او من وجهه الباطن يتوقف على تحصيل العدالة الكاملة المرتبطة بها ان شاء بالمجاهدات وان شاء بمحو الارادات حتى يموت ويحيى ثلاث مرات كما اوضحت الكلام على ذلك بالتفصيل في « الموارد الكاملة في الترجمة عن الآيات القرآنية » وان لا يتعب نفسه لحل فهم كلام الامام بالفكر والنظر ، ولا يلتفت من قال بانه يفتح على العبد في فهم كلامه رضي الله عنه وان كان غير مفتوح عليه الفتح الرباني ، فهذا بعيد جداً بل محال ، وهو من كلام أهل الامل بلسان الكسل ، فمن لم يصعد الى السطح لا يرى ما وراء الجدار ، ولكن اذا ابتدأ في الصعود فانه يشاهد شيئاً فشيئاً ، واما من يقف في اسفل الدار ويتحقق في التعدي فهو ممن يتمنى على الله الاماني فلا يرى شيئاً سوى صور خيالاته والسلام

تذييل

ويعلم ان العلم لا ينفع صاحبه الا اذا كان متحققاً به ، انظر علم العقائد وعلم الفقه هل ينفع العالم بهما اذا لم يعتقد ما علم ويعمل بما فهم ، وهذا غاية التحقق به لأهله ، وكذلك علم الحقائق لا ينتفع بها من عرفها ما لم يتحقق بها ، والتحقق بها علمه به بدايته ، فانها حينئذ لا تفارقه بعد الموت ، واذا لم يتحقق بها تبقى في مخيلته الى وقت ما ثم تضمحل ولا سيما عند هبوب العواصف المزعجة حين طلوع الروح ، فانه ينسى كل شيء الا الذي كان علمه بدايته فهو من رأس مال روحه يبقى معه حيث كان ، واما ظهورها على السنة العلماء بالله واقلامهم فهو لأمرين :

احدهما : سريان سر حب المعرفة فيهم .

والثاني : اسعافاً لطلبة ذلك العلم ، وهم اهل السلوك الحقيقي الذين قطعوا مراتب آيات الآفاق وشرعوا بالسير في مراتب آيات الأنفس لا غير ـ انتهى .

ذكرى لمطالعي فصوص الحكم

للعلامه مصطفى كمال النسريف

لا خفاء ان الذين وجهوا نبوه انظارهم الى الامام محيي الدين ما وجهوها الا من اجل بعض العبارات التي تهول على سامعها لاول وهلة متوجهة الى معلوماته المكتسبة من الكتب الشرعية وحدودها في كتاب فصوص الحكم كأمر الوهية الاعيان التي ذكرها، وقضية المؤمنين وامر الاستعداد من حيث اولياته وقضية فرعون انه مات طاهرا مطهرا ومن شرع على امر الاستعداد من جهة تأثير المحل ، فهذي اعراض كفر وفسق ويجوز اخذ والذي دافع عن الشيخ ، منهم من كان غاية بالمقصود ولكن لم يساعده حال زمانه على بيانه ، فوقف ووجهه وجهة حول الحسنى ولم يوضح ، ومنهم من كان غير عالم بالمقصود لانه ليس من اهل علم الشهود ولكن له ايمان صحيح وظن حسن في الشيخ صريح ، فهذا ايسر عن ساعد احد في الانتصار ، ولكن اوقع السامع في إشكال لا يدفع الا بالتسليم والاقرار ، ولما كان هذا الزمان ساعد اهل الوقوف على اسرار ما في الجنان من كل ما فيه نفع لاهل العلم ، ولا يؤذون به في الكلام بمثل هذا المقام ، احببت ان ازيل الاشكال واصرح بما سكت عنه الابطال ، واوضح حقيقة الحال، والله يتولى هدى الاحباب في الظواهر والالباب .

فنعلم اولا : ان الشيخ الاكبر محيي الدين قد جعله الله تعالى مظهرا لاسمه العليم ، وأمره من جهة باطنه ان يتكلم عن العلم من وجهة الدين فقط ، لأن الكلام في العلم من جهة الظاهر قام به الائمة المجتهدون فلم يبق من حاجة الى الكلام فيه ، وقوله من وجهة الدين لان كل اسم من الاسماء الالهية له وجهتان : وجهة الظاهر ووجهة الباطن ، ولكل بطن بطن الى سبعة ابطن ، فهو يتكلم في ذوق اخر عن تلك البطون .

وقوله : مظهراً لاسمه العليم ، اي ان الله سبحانه وتعالى علمه العلم الذي أمد به الانبياء والرسل عليهم السلام على قدر استعدادهم ، والاستعداد كان اعظم من غيره في هذا

... في ذلك موضع الحق في الأكملية ... يعني حقيقته هي هذه ، أي ان مظهريه هذا العلم ... وسائط انه ... يعني ... في الأكبر ، اي بدو الوجود الى ان ... فيه ... الأكبر ... عاشوا هذا العلم ولكن كانوا مكلفين ... في وقته ، فلذلك ... فيه ... هو الا الذي يظهر هذا الخير الموجود ... اهل الاذواق والشهود ، لان الوقت ... عن الكتمان ، والاستعداد قوي في الانسان ، أي ان ادراك المقتضى ... مرغوبا ومطلوبا ... حكم غلبة المزاج بسبب قربه ، وما صارت العقول ... الامور التي كان ادراكها قبلا منحصرا في بعض الافراد من ذوي العقول ... والعلوم ... الا من هذا النسب، فاذا علمت ذلك انتبه لما يلقى اليك .

اعلم ان معنى الرؤيا في اصطلاح ... من وجهة النص هو شهود الصور العلمية بالروح ... مع القلب ، اي ان الحق سبحانه وتعالى ... روح عبده ... الى محلي يسمى ... ، فيرى فيه معاني ... على صور مخصوصة ، ويعلم منها المقصود ، فهذا ... مع ... موضع العلم والا ... كل ... كثير ... تلك الصور ... الا على سبيل الاجمال أو اجمال الاجمال ، واما ... المرتبة أي الختمية ... ، لانها لا تختم هذه المرتبة الا ... ، ... على ... ، ومن ... ان الختمية لا تورث ... لا ... اسرار الولاية الخاصة الختمية الآتي ذكرها بعد ذلك اوتي ... كما ... هو ، لانه لا ... اسرار تلك الولاية الخاصة ومظهر لاسمه تعالى العليم من حيث ... ، وهذه المرتبة أي الختمية ... وجهتان : وجهة للولاية العامة ووجهة للولاية الخاصة .

والولاية العامة عند ورثة هذا ... المرتبة ... ، والولاية الخاصة تسمى بالمرتبة الاحدية الواحدية المحمدية ... لا تحل الا في الذات الاحمدية ، أي الرسول عليه الصلاة والسلام من حيث ولايته المخصوصة به ، وهو صلى الله عليه وسلم له ثلاث ولايات : ولاية عامة وولاية خاصة وولاية مخصوصة ...

محصورة فيه متحللة ، مشرقة به لا سكون ولا قرار ولا انتهاء لها ، وكل نبي له ولايتان: ولاية عامة وولاية خاصة ، فالولاية العامة هي التي تظهر في أمته ، ومددها من الولاية العامة المحمدية من بطن ولاية ذلك النبي الخاصة ، وولاية ذلك النبي الخاصة ، وهي التي لا تظهر في امته تستمد من ولايته صلى الله عليه وسلم الخاصة ، فهذه الولاية الخاصة تسمى خاتم الولاية ، ففي هذا التجلي أي مجلى شهود الروح لصور العلمية يكون الشاهد في نفس الامر صاحب تلك الولاية الخاصة ، يعني الرسول صلى الله عليه وسلم ، وان كانت الروح التي شاهدت هي روح الولي ، لأن الولي لما تحقق بتلك الولاية أي لما صارت روحه قابلة لان تكون مجلى لذلك التجلي الخاص اضمحلت في محتدها ، وهو روح الرسول صلى الله عليه وسلم ، فكانت هي عين روحه ، لكن كنسبة القطرة الى البحر ، ولذا قال صاحب الحاشية : رأيت فيه يريد بذلك ما ذكرت فالرائي هو الرسول والمترجم هو الختم .

والسر في كون المترجم غير الرائي لأن الرائي ليس من شأن مقامه في حال وجوده في الدنيا قائماً بحكم الرسالة العامة ان يترجم عن حال خاصة لا ينتفع بها الا الخاصة ، كما انه ليس من شأن كماله ان لا يأمر من يترجم عنها في وقتها ، ولما كان كل مقام لا يحلو الكلام فيه الا بلسانه ، واقتضاء مقام وجهه الباطن تكلم الشيخ رضي الله عنه بذلك اللسان ، فلذلك لم ينكر عليه احد من اهل العرفان ، فله عينان ، اي عين يرى بها الوجهة الظاهرة وعين يرى بها الوجهة الباطنة .

فبناء على ما ذكر ينبغي لمطالع الفصوص ان لا يسمع الا من الرسول ، فاذا كانت له طاقة على ذلك على انه لم يؤلف الا من كلام كذلك فليصنع ، والا فليلتفت الى ما هو أهل له وليشتغل بما خلق له فيربح ، واما اذا اجهد نفسه ليفهم معنى كلامه على ما هو عليه اعتماداً على حسن ظنه بنفسه واستناداً لما اخذه من الاصطلاحات فانه لم يزدد عن المعنى المقصود الا بعداً ، لأن المعنى المقصود لم يقصد الا لاهل الاذواق والشهود كما مر ، ليفهموا اسرار تلك الاذواق ويدركوا حقائق ذلك الشهود ، واما من لم يذق ولم يشهد فمن أين له ان يفهم العبارة فضلا عن الاشارة ؟ فهذا يخبط خبط عشواء ويقع في تيه ظلمة الاهواء ، يمنعه عن الترقي الى مرتبته التي هو لها .

والحاصل فإن السالك لا ينبغي له أن يقنع بذوق خصوص لا بعد أن يفتح الله عليه الفتح الذي ذكرناه في آخر الشرح من المظاهر الكتابية عند قوله تعالى : (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) ، فبعد ذلك إذا صنعه ينتفع به شيئاً فشيئاً ، لأن الخصوص يتكلم على الذوق السير من حيث النفس من جهة الأصل ، وهو السير الرابع ، وهذا السير ما ذكرته في المظاهر إلا إشارة فقط ، لأن المظاهر تكفلت ببيان السير إلى المرتبة الثالثة أي من حيث النفس من جهة الفعل بعد قطع مراتب السير من جهة الآفات أصلا وظلاً .

وإذا كان الأمر كما ذكر ، أي إذا كان المتكلم في باطن الأمر هو الرسول فما مراده صلى الله عليه وسلم من كون ختم الولاية كون تابعاً من وجهة ومتبوعاً من وجه ، فالمراد ظاهر لأن النبوة باطنها الولاية وظاهرها الأحكام الشرعية ، فالظاهر تابع في باطن الأمر لها لأن المدد منها ، وهي متبوعة به ، لأنها الأصل ، فالتابع الأحكام الشرعية والقيام بها هي الولاية أي صورتها الظاهرة ، والولاية هي سر اسم الله الهادي المهيمن على القلوب والأرواح والظاهر فوق الأشباح ، والمتجلي في الأسرار لأهل القرب والفلاح .

فالنبي صلى الله عليه وسلم ظاهره تابع لما نزل عليه وأوحي إليه من الأحكام وباطنه مهيمن عليه بالعلم الإلهي اللدني ، فهذا هو معنى كون ختم الولاية متبوعاً لخاتم النبوة ، لأن الرسول عليه الصلاة والسلام تابع لما جاء من الدين ، ومن هنا تفهم معنى الرؤيا أيضاً زيادة على ما مر ، أي أن الرسول يقول بلسان ولايته العامة أنه اللبنة الفضة وبلسان ولايته الخاصة أنه اللبنة الذهب .

وأما مسألة تأبير النخل في التكلم هنا عن ذوق غير الذوق الذي سمعته عن بعض الأكابر لأنه ما تكلم إلا على قدر همة السامع فاعلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما وقع نظره الكريم على أنفس القائمين بتأبير النخل ، كان ملتفتاً إلى ولايته صلى الله عليه وسلم المخصوصة ، أي المحصورة فيه السابق ذكرها ، فهذه الولاية حملتها الاسم الرحيم من حيث جمعيته الكلية المحيطة بالأسماء الشرعية والمأثورة ، فمن مقتضاه الدلالة والهداية إلى ما فيه راحة الجمعية الكلية الإنسانية لكن بطريق الإشارة لا بصريح العبارة ، فأدى صلى الله عليه وسلم حقها بقوله : « لو تركتموها لصلحت » ولو كان ملتفتاً إلى ولايته الخاصة الختمية لقال غير ذلك على أنه لا يقول ، لأن مقام الرسالة يأباه ، فإن مقام الرسالة

لا يتكلم الا من ولايته العامة التي فهمها الخاص و العام ونفوه به الخصم من غير حرج
ولا كبير مجاهدة ولا عظيم تعب ، واما فيما يحكم ولايته الخاصة فهو مفوض منه
صلى الله عليه وسلم الى المشايخ الكاملين كسيدي عبد القادر الجيلاني واخوانه ، وهؤلاء
اذا ارادوا ان يأمروا او ينهوا من تحت المرتبة ينظرون اولا الى استعداد المخصوص والى
المرتبة التي هو فيها من الاحوال والاسرار ثم يأمرونه بما يليق به و ينهونه عما لا يليق به ويمنع
منه ولا يفعلون غير ذلك البتة .

واذا كان نوابه صلى الله عليه وسلم كذلك ، فهل يأتي له بالمرض والقصر اذا
اراد ان يتكلم من تلك المرتبة ان يتكلم به مع الذين ليس من موقعهم فهمها والقيام بها ؟،
هل لا كان يعلم ان استعدادهم لا يتحمل ذلك وهي من امته يعلمه ؟ ، فعلى هذا كيف
يصح ان يقال انه صلى الله عليه وسلم اراد اعلاء همتهم الى درجة التوكل من درجة
الاربعة بالاسباب ؟ فهذا التأويل ما صدر من الذي صدر منه الا على حسب مقام السائل
كما ذكرناه آنفا ، ويؤيد ما ذكرنا جوابه صلى الله عليه وسلم لهم بعد ذلك بقوله : انتم
أعلم بامور دنياكم ، لانه لو كان مراده اعلاء همتهم على ان هذا المراد لا يصح اسناده اليه
صلى الله عليه وسلم ، لانه لا يريد الا بعد ان يعلم منهم القدرة على ذلك لأوضح الامر
وصرح بقوله نريد منكم التوكل والا لاعتمدتم على الله تعالى ، وكان بعد ذلك واسعفهم
عما فعلوه ولم يتركهم الى آخر الموسم حتى عرفوا انها ما صلحت ، فهذا البحث كله
في مقام الرسالة وسائر اوامره ونواهيه ، ولاعلامهم عن مقصوده وبذل جهده في حصول
نتائجه كما ذكرته صلى الله عليه وسلم ، لانه كان يقول انتم اعلم بامور دنياكم فالرسول
صلى الله عليه وسلم ما قال ذلك الكلام الا قوة تحقق المشاهد لا غير واراد القصد على
طريق الاستشهاد بان المبلوغ يجهل بعض الامور هو شيء مقام ولايته الخاصة تحقيق
للعبودية التي امتاز بها صلى الله عليه وسلم ، فهو يريد ان يشوف عن نفسه في تلك
المرتبة ، اي مرتبة ولايته الخاصة انه يجهل اموراً كثيرة واسعة وأدبا واعطاء للمرتبة
حقها ، وهو ان الرسول عبد يوحى اليه ، يعلم الشيء و يجهل الشيء ، يعلم ما يتكفل
بصلاح امته دنيا وأخرى ، ويجهل كثيرا من الامور المادية الدنيوية ، وهذا لا يقدح
بمقام الرسالة ، لان الذي بكل شيء عليم هو الله تعالى ، والعبد الرسول لا يعلم شيئا
الا باعلام الحق ، واذا اراد ان يعلم شيئا آخر فيسند الى اسبابه ، فهذا هو حقيقة

او فرس عليه مسألة الأسارى ورأي سيدنا عمر رضي الله عنه وغير ذلك .

وأما مسألة فرعون وقول الشيخ إنه مات طاهراً مطهراً فهنا من البطن الثاني الذي تكلم فيه في فص الوحي ؛ فتحصل بعض علوم الشيخ رضي الله عنه تكلم في الفصوص على حد ما علمه صلى الله عليه وسلم ، وهذا الحد هو اذواق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من حيث مقام جمعهم ، وهي المرتبة المتوسطة بين ولايتهم العامة وولايتهم الخاصة ، ولهذا لم يتكلم على تلك الأذواق الا بقدر الحد الذي حدده له صلى الله عليه وسلم فما يجاوزه أصلاً ، وعدد الأذواق سبعة في كل فص لا غير في أي عبارة هي الا الواقف على اسرار تلك الأذواق وأما ما عدا ذلك من الكلام الذي فيه تمهيد وتحصيل فهو من توسعه رضي الله عنه للافهام وانفعهم واستدل ؛ وتمميح مقصود في هلاته العقبات .

فقول الشيخ عن فرعون انه مات مؤمناً هو من هذا الباب الذي يفتح مصراعه الواحد الى البطن الثاني كما اشرنا اليه ، وليس المقصود من موته طاهراً مطهراً موته على الايمان الذي يحبه ويرتضيه في ظاهر الشرع ، سواء كان الشرع الموسوي او الشرع المحمدي ، لان الشريعة واحدة في هذا الاصل ، كما انه ليس المراد من فرعون النفس او غير ذلك بل فرعون نفسه أي ذاته ، ولكن يراد من الموت باصطلاح اهل الله السكون ومن الطهارة التبرؤ أي سكنت نفس فرعون تبرئة من دعوى الالوهية لانها كانت متحركة هائجة بنفوسها الشيطانية ، فلما رأت عجزها وتحققت ضعفها بردت وهمدت وتبرأت من دعواها بحكم ما ترتب عليها بناء لانتهاء احكام العصيان ، أي ان شموخ النفس لم ينتهي عند نزول القهر عليها ، فالقهر ما نزل الا على الشموخ ، فاذا زال الشموخ زال القهر لانه لم يبق له محل يتعلق فيه ، والاسماء الالهية لا تظهر احكامها الا ما دام في المحل قبول لتلك الاحكام واستحقاق له ، ولما رأى الشيخ نفسه انه يتكلم بهذا اللسان قلبه الى صورة المحاكمة ببعض القواعد الشرعية ليدمج مقصوده ، وقال في آخر المبحث ان الامر مفوض الى الله لنظر ما قاله في فرعون الحلول من شقائه ، وامثاله ما جاء في الفتوحات المكية من الابحاث في فرعون فان له معنى ووجهاً آخر ليس هذا محله — انتهى — .

الملحق الثاني

ويحتوي على :

١ ـ تراجم الاساتذة الخمسة الذين شرحوا رسالة التوحيد للشيخ أرسلان الدمشقي ·

٢ ـ تراجم علمائنا المعاصرين الذين عرضت عليهم مقدمات الكتاب عن حقائق علم التوحيد والتصوف والايمان وترجمة المحدث الاكبر الشيخ بدر الدين الحسني ·

٣ ـ تراجم الرجال الذين ورد ذكرهم في الكتاب ·

٤ ـ فهرس الموضوعات ·

تراجم الاعلام الخمسة الذين شرحوا رسالة الشيخ أرسلان

عبد الغني النابلسي

عبد الغني النابلسي (١٠٥٠ – ١١٤٣ هـ – ١٦٤١ – ١٧٣١ م) هو عبد الغني بن اسمعيل بن النابلسي ، شاعر عالم بالدين والادب ، مكثر من التصنيف متصوف ، ولد في دمشق ورحل الى بغداد وعاد الى سورية ، وتنقل بين فلسطين ولبنان ، ثم سافر الى مصر والحجاز ، وبعدها استقر في دمشق حتى وفاته ، له نحو مئة مصنف مذكورة في كتب التراجم – عن كتاب « الدرر » و « الاعلام » •

زكريا الانصاري

زكريا الانصاري (٨٢٣ – ٩٢٦ هـ – ١٤٢٠ – ١٥٢٠ م) ابو يحيى زكريا بن محمد بن محمد بن زكريا الانصاري السنيكي المصري ، شيخ الاسلام ، قاض مفسر من حفاظ الحديث ، ولد في سنيكة (بشرقية مصر) وتعلم في القاهرة وكف بصره سنة ٩٠٦ ، نشأ فقيراً معدماً ، وقد قيل انه كان يجوع في الجامع فيخرج بالليل يلتقط قشور البطيخ فيغسلها ويأكلها ، ولما ظهر فضله تتابعت اليه الهدايا والعطايا ، بحيث كان له قبل دخوله في منصب القضاء كل يوم نحو ثلاثة آلاف درهم ، فجمع نفائس الكتب وأفاد القارئين عليه علماً ومالاً ، وولاه السلطان قايتباي الجركسي (٨٢٦ – ٩٠١) قضاء القضاة ، فلم يقبله الا بعد مراجعة والحاح ، ولما ولي رأى من السلطان عدولاً عن الحق في بعض اعماله ، فكتب اليه يزجره عن الظلم ، فعزله السلطان وعاد الى اشتغاله في العلم حتى وفاته – عن : « الكواكب السائرة » للغزي – مخطوط – •

علي بن صدقــة الشافعي

علاء الدين بن صدقي الشافعي أو علي بن صدقة الناقوسي الحلبي ثم المصري الشافعي «علاء الدين» (٠٠٠–٩٧٥ هـ – ٠٠٠ – ١٥٦٧ م) ، عالم صوفي فاضل، يبدو من

شرحه رسالة الشيخ أرسلان ، وكان من اصحاب الوهب المدني الرفيع ، شعر وقد عثرت على بعض شعره كتبه عن مقام الخليل ابراهيم عليه السلام في برزة التي هي في ضواحي دمشق فقال :

لا تمل عن رياض برزة يوماً — فهواها شفاء كل عليل
فل مسري عنها وكمد مسدري — عن رياض فيها مقام الخليل

ومن تصانيفه « اسرار العبادات » و « قربة الى رب الارباب » و « المنتخب في الوعظ والخطب » و « الكوكب الوهاج في شرح المنهاج » للنووي و « شرح رسالة الشيخ أرسلان » و « شرح على الصعادي » و « الفتح المكنون » و « هدية المؤمنين » .

علي بن علوان الحموي

علي بن علوان الحموي (٠٠ ـ ٩٣٦ هـ = ٠٠ ـ ١٥٣٠ م) ، علي بن عطية ابن الحسن بن محمد بن الحداد الهيتي ثم الحموي ، الملقب بعلوان : صوفي فاضل ، واشهر أهل عصره في البلاد الشامية علماً وعملاً وارشاداً ، له كلام في العظات والارشاد ، ونظم وتصانيف كثيرة .

وذكر ولده الشيخ محمد شمس الدين كثيراً من كراماته في كتابه المسمى « تحفة الحبيب » وقال ابن ميمون عنه : تمسكوا بهذا الرجل ، فوالله ليسخرن له ملوك الارض اعتقاداً وانقياداً وكأني اراهم على بابه زيارة وحباً واعتقاداً وبركة ، وليملأن الله ذكره شرقاً وغرباً ، وليسكنن الله القلوب حبه ، وكان كما قال . من كتبه : « درر الحبيب » (مخطوط) و « كرامات الاولياء » .

مصطفى كمال الشريف

مصطفى كمال الشريف (١٢٦٣ هـ ـ ١٣١٧ هـ) هو مصطفى بن المرحوم محمد افندي الشريف ، درس في دمشق حسب الاصول ، واجيز في العلوم الالهية والشرعية على عدد من العلماء الاعلام امثال الشيخ احمد عابدين ابن اخ الشيخ محمد عابدين صاحب « حاشية الدر المختار » والشيخ عبد الله الحلبي والشيخ عبد الرحمن الخربوتلي

والشيخ عبد الغني الميداني والشيخ يوسف المغربي والد المحدث الأكبر الشيخ بدر الدين الحسني وغيرهم ، رحمهم الله .

وقد ترك المترجم له من الآثار النافعة بين المعاصرين ما يذكر ان من مؤلفاته المطبوعة: « الينبوع النابع عن الحكمة القدسية » و « المظاهر الكمالية » ثلاثة اجزاء في الفلسفة الدينية والتصوف و « رسالة تحوي في علم التصوف » وتحتوي على شعر التائية الكبرى لابن الفارض وبعض قصائده و « حل العقد في شطار المرشد » و « الدرة البيضاء في قصة الاسراء » و « المنحة الانيقة في مولد سيد الخليقة » و « الحسن الاسنى في المسدس العثماني » و « الايمان الكامل »(1) ، كما ان له ديوان شعر ، اما غير المطبوع فمنها : « الاذواق الكشفية في الشريعة والحقيقة والتصوف والاخلاق » وقد نشر في هذا الكتاب بعضها ، ومنها : « شرح الرسالة الارسلانية » و « المواقف الالهية » و « مدخل الى فصوص الحكم » و « ذكرى مطالع فصوص الحكم » ، كما ان له مسودات وحولات في مواضيع مختلفة ومنها : « الفهم عن الله » و « اصول السير » و « العبادة والعبودية والعبودة » و « الارادة الحرة والاختيار والكسب » و « الفهم عن الله » و « وحدة الوجود » وما اليها من البحوث ، وشرع رحمه الله في تأليف تفسير كبير سماه « الموارد الكشفية في الترجمة عن الآيات القرآنية » ، ولكن الاجل عاجله قبل ان يتمه كما جرى بالنسبة شرح الرسالة الارسلانية .

وقد توفي عام ١٣١٧ بعد ان عاش اربعا وخمسين سنة أي نفس المدة التي عاشها الامام الشافعي احد الائمة الاربعة ، ودفن في مدفن ابي بكر العواد الذي يقع في امتداد شارع ابي رمانة = طريق الحواكير = .

---

(1) ألف العلامة الاستاذ مصطفى كمال الشريف كتاب الايمان الكامل لما كان في الاستانة سنة ١٢٩٤ هـ باللغة التركية وقد ترجمه الى العربية نجله المرحوم الاستاذ محمد مختار الشريف والد الصديق العزيز والرجل المؤمن الصادق الاستاذ كمال الشريف . وهو الذي أسهم مشكورا في جعل بعض مخطوطات جده قيد الطبع في هذا الكتاب .

تراجم العلماء المعاصرين الذين اطلعوا على مقدمات هذا الكتاب

وترجمة المحدث الاكبر الشيخ بدر الدين الحسني

قلت في الصفحة « ٨ » من هذا الكتاب إنني عرضت المقدمات التي كتبتها عن حقائق علم التوحيد والتصوف والاحسان على ستة عشر عالماً من علماء الاجلاء ، واذكر هنا انني عرضتها ايضاً على الفقيه الاكبر الاستاذ عبد الوهاب الحافظ الملقب بـ « دبس وزيت » وبذلك اثبت تراجمهم مع ترجمة المحدث الاكبر الاستاذ الشيخ بدر الدين الحسني الذي أوصى في حياته بالعمل على نشر شرح الرسالة الرسلانية ، والاستاذ محمود ياسين بعبارة من اساتذة الفقيه الشيخ عبد الوهاب دبس وزيت والاستاذ الشيخ سعيد البرهاني ، ومن شهد الله ان من ابرز تلامذة الاجلاء الاساتذة الشيوخ كمال القصار ، عبد الرزاق الحفار ، ياسين عرفة .

وفيما يلي اسماء الاساتذة مرتبة على الحروف الهجائية

تأكيداً لما سبق في الصفحة ٧٢ أوائله ترجمة وجيزة عن شيوخنا وأساتذتنا المعاصرين الذين اطلعوا على مسودات كتابي . مضافة إليها ترجمة بعض من ورد ذكرهم من الأساتذة والشيوخ المعاصرين ممن انتقلوا الى رحمة الله تعالى وهم :

المحدث الاكبر الاستاذ الشيخ بدر الدين الحسني . العارف بالله تعالى الشيخ احمد الحارون الحجار الغسيل . الزاهد المحدث الشيخ محمد الهاشمي . العلامة المحقق الشيخ ابن سودة والمحدث الشيخ محمود ياسين .

احمد الحارون الحجار الغسيل

احمد [illegible] الحارون الحجار الغسيل (١٣١٥ – ١٣٨٢ هـ ؛ ١٩٠٠ – ١٩٦٢) ولد في دمشق تحت [illegible] من أبوين ينتسب أولهما إلى الشيخ أحمد الرفاعي الحسيني وينتسب ثانيهما لبني شيبة .

التحق [illegible] احمد [illegible] من العمر [illegible] عشر [illegible] الآية [illegible] في [illegible] على تلاوة القرآن [illegible] ، وقد [illegible] ، واتصل مع العلماء [illegible] وشيوخ امين الكريتي ، امين [illegible] ، عبد [illegible] ، عبد المحسن الاسطواني ، ابراهيم الغلاييني ، [illegible] على المحدث الاكبر الشيخ بدر الدين

---

(١) يمكن لكل من يشاء الاطلاع على ترجمة جامعة واوسع عن العارف بالله تعالى الشيخ احمد الحارون الحجار الغسيل ان يقرأها في الكتاب الذي نشرته مطبعة العلم تحت عنوان : « امام السالكين وشيخ المجاهدين الشيخ ارسلان الدمشقي » .

الحسني والمحدث السيد محمد جعفر الكتاني ، والمرشد الشيخ محمد الهاشمي ، والشيخ امين سويد والشيخ محمود ابي الشامات وغيرهم .

ثم اتصل بمفتي المرحوم الشيخ محمد شكري الاسطواني والمرحوم الشيخ عزيز الخاني والمفتي المرحوم الشيخ عطا الله الكسم والعلامة الشيخ امين الزملكاني وغيرهم ، وانصرف لدراسة الكتب الدينية والكونية ، وبعد ذلك شرع بالتأليف والجمع ، وقد الف عددا كبيراً من الكتب في التصوف والتفسير والاخلاق والعلوم الكونية ، وهي الآن مخطوطة بانتظار طبعها التي نرجو من الله ان تتم في القريب العاجل ، ليستفيد الناس منها ولما في بطونها من معلومات كونية ودينية رفيعة وهبية وكسبية .

احمد الحلبي

احمد الحلبي (١٩٢٢ م) تعلم القرآن الكريم في حداثة سنه في مدرسة الريحانية ، وقرأ بعض علوم التوحيد والتصوف على المرشد الكامل الاستاذ الشيخ محمد الهاشمي ، ومما قرأه « خمرة الحان ورنة الالحان شرح رسالة الشيخ أرسلان » في التوحيد ، وقد لازمه منذ ان كان في السادسة عشرة من عمره وحتى وفاته بعد ان أذن له في تدريس علوم التوحيد والتصوف ، وقد كان يدرس علمه في قرية التل ثم في مسجد سوق العتيق بدمشق ، كما درس مدة في شرقي الاردن باذن من الشيخ محمد الهاشمي .

احمد الشامي

احمد الشامي (١٣١٧ هـ ١٩٠٤ م) ولد في دوما ، وبعد ان تلقى العلوم الاولية درس على العالم الجليل المرحوم الشيخ محمود السيد وعلى السادة الاجلاء العلماء مصطفى الشمي مفتي دوما ومحمد الهاشمي ونجيب العبسي وعلي الدقر وعبد الوهاب دبس وزيت وسعيد البرهاني .

ومن جلسة عقدها في يوم عيد عام ١٩٥٠ في يوم عيد وقد بلغ حتى الآن ٣٦٧ جدولاً في عدد من الكتب يقوم بتدريسها في مسجد كبير بدومة ، واليه يرجع الكثيرون من بلاد الشام للحصول على الفتاوى •

امين سويد

امين سويد (١٢٧٣ ـ ١٣٥٥ هـ / ١٨٥٥ ـ ١٩٣٦ م) ولد في اسرة دمشقية تعاطى اهلها التجارة والفلاحة ، وقد انصرف منذ صغره الى العلم واخذ يتردد على علماء عصره سواء أكان في الشام أو في مصر ، وقد دخل الجامع الازهر وقضى خمس سنوات عاد بعدها لدمشق واخذ يلقي دروساً في الفقه وأصوله منذ على صورة جملة محصة الأعطار ، وقد كلفته الحكومة العثمانية بتدريس الفقه الحنفي في جامع درويش باشا بدمشق ، ومنحته بعض ارب العلمية العالية ، واتخذ من غرفته في دار الحديث بدمشق مقراً له •

قام الامام الشيخ امين سويد برحلة الى تركيا والهند وبخارى واليمن والجنوب العربي والمغرب العربي وغيرها ، وقد اسهم مع الداعية محمد علي زينل علي رضا في تأسيس مدارس الفلاح في الهند والحجاز ، واختارته الحكومة العثمانية خلال الحرب الاولى للتدريس في الكلية الصلاحية بالقدس ، وظل كذلك حتى اعلاقها بالاحتلال الانكليزي لفلسطين ، وبعدها عاد لدمشق واختارته الحكومة العربية في عام ١٩١٨ م عضواً في الشعبة الاولى للترجمة والتأليف ، ثم اصبح مدرساً لاصول الفقه في معهد الحقوق العربي ، وفي ابان الثورة السورية عام ١٩٢٥ ترك دمشق الى حيفا وقضى اشهراً ثم ذهب الى جرش في شرقي الاردن ، ومنها انتقل الى الخليل وكلف بالتدريس في دار المعلمين في مدينة القدس ، وسافر للتدريس في مكة ثم في بومباي ، وعاد للتدريس والوعظ في مسجد زيد بن ثابت الانصاري •

عينته الحكومة العربية بعد جلاء الاتراك عضواً في الشعبة الاولى للترجمة والتأليف التي انشئت لوضع المصطلحات العربية للكلمات التركية ودمت في عام ١٩١٨ ،

ثم تحولت الحلقة الى [illegible] المعارف ، واتخذت بعد ذلك المجمع العلمي العربي ، وكان العلامة سويد من مؤسسيه الاولين ، [illegible] في [illegible] ، [illegible] عام ١٩٢٥ [illegible] الى [illegible] [illegible] عشر [illegible] الى [illegible] .

درس في التوحيد والفرائض وعلوم الحديث والسيرة والاصول والتصوف وكتب فيها ، ولدى نجله الاستاذ محمد [illegible] بن سويد الذي [illegible] مخطوطات احداها [illegible] على قواعد [illegible] وعلم الاصول [illegible] المخطوطة [illegible] تحتوي على [illegible] من [illegible] القدس من اقدم العصور ، غير ان مخطوطته قد فقدت .

المحدث الاكبر الشيخ بدر الدين الحسني

بدر الدين الحسني (١٢٦٧ – ١٣٥٤ هـ و ١٨٥٠ – ١٩٣٥ م) ولد من ابوين تقيين في دمشق ، ووالده العلامة الكبير الامام الشيخ يوسف بن العلامة الشيخ نور الدين المراكشي الحسني ، ويرتقي نسبه [illegible] الشيخ عبد العزيز الدباغ استاذ الشيخ الجزولي ثم الى سيدنا الحسن السبط رضي الله عنهم ، وقد هاجر والده من مراكش الى مصر وطلب العلم [illegible] في الازهر الشريف ، ثم اخذ يدرس ويؤلف حتى بلغت مؤلفاته [illegible] وفي [illegible] وكان له تلامذة احدهم الشيخ احمد [illegible] والد الاستاذ يوسف [illegible] الحسني احد [illegible] المصابيح [illegible] بدمشق وكان من [illegible] ، اما نجله الآخر فهو المحدث الاكبر الشيخ بدر الدين الحسني ، [illegible] عرف بالعلم والتقوى [illegible] في دمشق [illegible] الشهير [illegible] ، واتسعت [illegible] بعد وفاة [illegible] حفظ القرآن في [illegible] في دار الحديث [illegible] المتون في [illegible] حتى بلغ محفوظه [illegible] حوالى العشرين الف بيت من متون العلوم ، كما حفظ كتب السنة [illegible] البخاري ومسلم باسانيدهم وموطأ الامام مالك ومسند الامام احمد وسنن الترمذي وابي داوود والنسائي وابن ماجة ، وباشر بالتأليف حيث بلغت [illegible] وهو في سن العشرين من عمره .

وكان [illegible] بالمدرسة [illegible] وفي يوم جمعة من كل اسبوع كان [illegible] في الجامع الأموي [illegible] في وقت بين صلاتي الظهر والعصر بنيه على حديث صغير واحد في البخاري يتلوه اول الدرس ، ثم يشرح [illegible] عدد من كبار علمائنا .

زوج المحدث الأكبر [illegible] الشيخ محي الدين [illegible] توفي عام ١٩١٧ ، وقد زوج [illegible] دائرة الفتوى في دمشق ، [illegible] رئيس الجمهورية الاسبق .

وقد [illegible] علماء البلاد العربية والاسلامية ، في [illegible] المحدث الأكبر [illegible] التاريخية الفريدة [illegible] في ٢ ربيع الأول ١٣٥٤ هـ – حزيران ١٩٣٥ م .

محمد بهجة البيطار

محمد بهجة البيطار (١٣١١ هـ – ١٨٩٤ م) [illegible] من عائلة عريقة في العلم ، [illegible] الجزائر ، [illegible] الى دمشق واستوطنت فيها منذ اكثر من مائتي عام .

درس في المدرسة [illegible] العربية في المدرسة

التجارية ابتدائية ، وفي سنة ١٣٢٦ تلقى الدراسة العالية من عربية ودينية وعقلية على يد والده الشيخ بهاء الدين وعلى علم الشام جده الشيخ عبد الرزاق البيطار والشيخ جمال الدين القاسمي وعلى محدث الأكبر الشيخ بدر الدين الحسني ثم على العلامة الجليل الشيخ محمد الخضر حسين التونسي شيخ الأزهر الشريف .

انتخب عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق عام ١٣٤٠ هـ / ١٩٢٢ م وبعد توحيد مجمعي دمشق والقاهرة في ٢٦ حزيران سنة ١٩٦٠ م اعتبر أعضاء المجمعين العربيين أعضاء في المجمع الجديد ، كما انتخب عضواً في المجمع العلمي العراقي في ٢ حزيران ١٩٥٤ م وقام بالتدريس في عدد من الثانويات والكليات والجامعات في المملكة العربية السعودية ولبنان وفي الجمهورية العربية السورية .

أسهم في وضع الاتفاق العام بين أئمة الجزيرة وأمرائها دفعاً للعدوان الأجنبي ، وقام بعدد من الرحلات إلى البلاد العربية والأجنبية من شرقية وغربية .

ألف عدداً من الكتب والرسائل ومنها « نقد عين الميزان » و « نظرة في الصحيفة التركية » و « النقد بين الصفراء والبيضاء » وأكمل تفسير الإمام محمد رشيد رضا لسورة يوسف عليه السلام وخرج أحاديث « قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث » للقاسمي ونشر « مسائل الإمام أحمد » لتلميذه الإمام أبي داود السجستاني ، كما نشر مقالات كثيرة في صحف ومجلات الشام والسعودية ومصر والعراق .

خطب في مسجد واشنطن خلال رحلته إلى الولايات المتحدة الأميركية ، كما زار الاتحاد السوفييتي في عام ١٩٥٠ م واجتمع بالجمعيات الإسلامية وبمفتي العام المرحوم بابا خان ، وذاكر في كلا البلدين في شؤون الدين الإسلامي وفي ضرورة تطبيق التعاليم الإسلامية العامة الضامنة لسعادة الدارين .

حسن حبنكة

حسن حبنكة (١٣٢٨ هـ / ١٩١٢ م) ولد في حي الميدان ودرس على شيوخه

من العلماء الأجلاء الأئمة الأسياد من بينهم [illegible] الإسلامي [illegible] ومحدث الأكبر الشيخ بدر الدين الحسني والشيخ محمود العطار والشيخ سعيد الملبسي الكردي صهر بديع الزمان الكردي والشيخ عطا الكسم والشيخ احمد العطار والشيخ علي الدقر والشيخ محمود [illegible] وقام بالوعظ والإرشاد والتدريس عام ١٩٢٥ ، في مسجد محمد باشا في [illegible] الكبير [illegible] والسادات وغيره ، وتخرج على يديه عدد من العلماء أخذوا يدرسون حلقات في المساجد ، أسس مدرسة التوجيه الإسلامي الشرعية وشرح [illegible] العربية [illegible] ، وقد ألف [illegible] كما أنشأ المولد النبوي الشريف وكتب في مواضيع دينية وإرشادية عديدة .

زين العابدين التونسي

زين العابدين التونسي (١٣٠٦ هـ : ١٨٨٨ م) ولد في تونس ووالده الأستاذ الشيخ الحسين بن علي بن عمر شيخ الطريقة الخلوتية في تونس والجزائر وقد توفي عام ١٣٠٨ هـ و ١٨٩٠ م أي بعد سنتين من ولادة الأستاذ الشيخ زين العابدين ، وقد بدأ الدراسة في تونس في مدرسة صغيرة ثم في مسجد الزيتونة وقرأ على عدد من العلماء الأجلاء ومنهم شقيقه الشيخ محمد الخضر حسين والعلامة الشيخ طاهر بن عاشور والعلامة المرحوم الشيخ محمد النجار والعلامة المرحوم الشيخ محمد بن القاضي وغيرهم ، وقد درس عليهم كحلقة في الأزهر الشريف ثم حاز على شهادة « التطويع » ذات السبع سنوات ودرس في مسجد الزيتونة ، وهاجرت العائلة لدمشق عام ١٩١٢ وعين صاحب الترجمة استاذاً في مدارس عديدة من ابتدائية وثانوية وحصل على شهادة كلية الآداب العليا في جامعة دمشق ثم تقاعد عام ١٩٤٩ ، وله الآن حلقات درس ووعظ وإرشاد دورية في داره وجوامع [illegible] في الميدان وأحياء دمشق وفي مسجد منجك وسيدي صهيب الرومي ، وله مؤلفات عديدة منها « المعجم المدرسي » في اللغة و « المعجم المدرسي » في النحو والصرف و [illegible] « دروس في الوعظ والإرشاد » ـ جزءان ـ كما أن له رسائل صغيرة في مواضيع مختلفة ، أما كتبه التي لم تطبع فمنها « المعجم في مفردات

العرب » و « الاربعون النبوية » التي سبق ... عمه السيد يوسف ... « الاربعون النووية »

سعيد الحمزاوي

محمد سعيد الحمزاوي نقيب السادة الاشراف (١٣١٣ هـ - ١٨٩٥ م) ، وهو من اسرة شريفة دمشقية ، تعرف باسرة بني حمزة ... الحمزاوي ... على ... دمشق وغيرها بعد ان حصل ... من شيوخه .

كان له مساهمة كبيرة في الاعمال الوطنية والسياسية في تأسيس عدد شركات اقتصادية مساهمة ، كما اشغل عضوية ورئاسة عدد من المجالس الرسمية .

والاسرة الحمزاوية من عرق الاسر المنسوبة للرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد نشأت نقابة الاشراف في هذه الاسرة الكريمة ، واول من تولاها جد الاسرة الاعلى السيد اسماعيل الذي كان ... من ... عام ٣٣٠ هـ الخليفة المقتدر بالله بالنقابة نقابة الاشراف في الشام كما ذكر ابن عساكر في تاريخه الكبير ، فسكن من عهده الاول الى دمشق الشام التي كانت ... هذه الاسرة منذ ذلك العهد وحتى يومنا هذا ، وفي بيت السيد اسماعيل الحمزاوي يقول الشريف الرضي : ... في النسب ولا بيت في حران » ... وعلى هذه الحادثة وتاريخها اشار بيت القصيدة في منظومة ... الشعر ... المحفوظة في دار ... ، وهي رفعة ... على ... ، وفي كل بيت منها اسم جد من اجداد هذه الاسرة وقد قال في مطلعها :

ابن الشريف هو اسماعيل ... من ... حسب ... حمداً لهم

وتولى نقابة الاشراف اولاده ... من بعده ، نقيب بعد نقيب حتى عام ١٢٦٠ كما نصت على ذلك كتب التاريخ ... ابن عساكر ... في ... والواقدي

وانه ... واس ... في ... المستشرقين وغيرهم .

وتوفي [illegible] في شعبان ١٣٦١ هـ و آب ١٩٤٢ م ، [illegible] ومقالات [illegible] نشرت ونشر في الصحف والمجلات من اسلامية وعربية ، كما كان يتولى الخطب في [illegible] والعربية .

وقد اهدى [illegible] سنة ١٩٥٦ ثلاثة مخطوطات [illegible] للمكتبة الظاهرية في دمشق ، وفي عام ١٩٦٣ اهدى [illegible] ٥٨ قطعة من المخطوطات النادرة ، فقدمت له الحكومة [illegible] وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الاولى تقدير [illegible] المجمع [illegible] هداياه للمكتبة الظاهرية .

محمد سعيد البرهاني

محمد سعيد البرهاني (١٣١١ - ١٣٨٦ هـ و ١٨٩٤ - ١٩٦٧ م) ولد بمنزل والده [illegible] وحفظ القرآن في احدى الكتاتيب ثم ادخله والده بمدرسة [illegible] ثم بمكتب الاعدادي الملكي في دمشق وحضر خلالها [illegible] الشيخ [illegible] في [illegible] الالزامية [illegible] ثم التحق بكلية الضباط للجيش العربي في ٤ كانون الثاني سنة ١٩١٩ وتخرج [illegible] وفي عام ١٩٢٠ حين [illegible] الفرنسيون [illegible] الجيش العربي [illegible] في ميسلون [illegible] ثم التحق بسلك التعليم .

قرأ على والده [illegible] على الشيخ [illegible] ومحدث الاكبر الشيخ بدر الدين الحسني ومفتي الشام الشيخ عطا الله الكسم كما قرأ على الشيخ المقرئ

محمد الغنيمي والشيخ محمود العطار والشيخ محمود السمان ، وفي سنة ١٣٥١ هـ انتقل والده الى رحمة الله وسعد بدروس [illegible] في جامع سوق ساروجا ودروس الشيخ [illegible] الحمصي الذي [illegible] ، والشيخ محمد أبو الخير الميداني الذي [illegible] في الحديث ، وأخذ الطريقة النقشبندية عن الشيخ [illegible] الشيخ [illegible] . كما تعرف [illegible] على الشيخ محمد الهاشمي التلمساني ، وفي عام ١٩٢٥ [illegible] كما كان يلقي دروساً في الأموي ، والشيخ [illegible] في [illegible] الشيخ الهاشمي [illegible] عنه في آخر الأحيان ثم خلفه ليكون إماماً وشيخاً للطريقة الشاذلية [illegible] وبعد وفاته سنة ١٣٨١ هـ [illegible] الاستاذ [illegible] البرهاني ليكون شيخاً ومرشداً للطريقة الشاذلية •

وقد [illegible] على الناس والرسائل التي [illegible] في مكتبته وهي تصل الى ٤٠٠ كتاب [illegible] أسماء [illegible] مجموعة مخطوطة مجموعة تحوي بعض أسماء رجال الحديث [illegible] في عشرة أجزائه من [illegible] ، و [illegible] « النووي شارح مسلم في [illegible] في عشرة أجزائه ، و [illegible] [illegible] « مجموعة [illegible] » [illegible] في [illegible] » وضعها داخل كتاب [illegible] الأمير على [illegible] » ووضعها داخل كتاب [illegible] على « [illegible] » ، ومجموعة [illegible] و [illegible] و [illegible] ومواعظ ونصائح عدد صفحاتها ٢٧٥ من [illegible] وديوان [illegible] [illegible] ، و « الوصية [illegible] » و [illegible] و « [illegible] الصادقين وسبل [illegible] » و [illegible] ووصول ثواب الأموات » و [illegible] الشيخ الأكبر و [illegible] للشيخ الأكبر وغيرهم ، وهناك مصحف وضع على هامشه [illegible] في كل آية في حوالي اثنى عشر تفسيراً كانت تضمها مكتبته •

وفي يوم الأربعاء ١٥ شوال سنة ١٣٨٦ هـ و ٢٥ كانون الثاني سنة ١٩٦٧ م توفي الى رحمة الله وانتقل الى دار الخلد •

الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

ولد محمد سعيد رمضان البوطي (سنة ١٣٥٠ هـ) في جزيرة ابن عمر، ودرس في [illegible] على والده [illegible] محمد رمضان البوطي حيث تلقى العلوم العربية المختلفة والمنطق والفلسفة، ثم درس الفقه والاصول، وكان آخر ما درس على والده [illegible] جمع الجوامع [illegible] في خلال تلك الفترة التحق بمعهد التوجيه الاسلامي.

بعد الشهادة الثانوية سافر الى مصر عام ١٣٧٣ هـ والتحق بالأزهر وحاز على شهادته في عام ١٣٧٦ هـ، والتحق بكلية اللغة العربية وحصل على دبلوم في التربية من الازهر عام ١٣٧٧ وتابع دراسته بقسم الدراسات العليا وفاز بشهادة الدكتوراة في اصول التشريع الاسلامي عام ١٣٨٥.

بدأ التدريس في ثانويات حمص عام ١٣٧٨ ثم في دار المعلمين بدمشق، وعين معيدا في كلية الشريعة، وبعد ثلاث سنوات انهى دراسة الدكتوراة كما سبق وعين مدرسا في كلية الشريعة والآداب.

ومن مؤلفاته «ضوابط المصلحة» و «فقه السيرة» و «كبرى اليقينيات الكونية» و «المذهب الاقتصادي بين الاسلام والشيوعية» و «تجربة التربية الاسلامية في ميزان البحث» وترجمة كتاب «ممو زين» وهو عبارة عن ترجمة قصة عاطفية كتبها شعراً الشيخ احمد الخاني، وآخر كتاب له تحت الطبع: «من الفكر والقلب».

صلاح الدين الزعيم

صلاح الدين الزعيم (١٣٠٠ هـ) ولد في سروج ووالده الاستاذ الشيخ محمد رضا الزعيم الذي كان احد رجال الافتاء الكبار في العهد العثماني وله ترجمة واسعة في كتاب «اعلام النبلاء» للطباخ وتنقل والده لدمشق وبدأ الدراسة على يده في طرابلس

وعلى شيوخ ابراهيم السلقيني ومحمد [illegible] في حلب و[illegible] الأكرمي الشيخ [illegible]
بدر الدين الحسني في دمشق والشيخ محمد [illegible] في [illegible]
واوروبة وسورية ولبنان وكانت له جولات في الارشاد والتعليم [illegible] وعلى
[illegible] في دائرة الفتوى في الجمهورية العربية [illegible] في [illegible]
كما كان يدرس في عدد من مساجد دمشق .

كتب مقالات كثيرة في مجلة [illegible] الشيخ [illegible]
الاستانبولي والشيخ محمود [illegible] كما كتب في مجلة التمدن الاسلامي ، وفي مجلة
« العرفان » [illegible] في صيدا [illegible] في [illegible]
[illegible]
محمد سعيد فيها .

عبد الرزاق الحلبي

عبد الرزاق الحلبي (١٩٢٥ م) ولد في دمشق في [illegible] الشيخ
[illegible] وقرأ [illegible] محمد
[illegible] الحلواني [illegible]
حلقات [illegible] الشيخ [illegible] ١٩٥٦ وحتى الآن [illegible]
في [illegible] العربي [illegible] الأموي .

عبد الوهاب الحافظ

الملقب بـ « دبس وزيت »

عبد الوهاب الحافظ (١٣١١ - ١٣٨٩ هـ و ١٨٩٢ - ١٩٦٩ م) هو الشيخ عبد
الوهاب بن الشيخ عبد الرحيم الحافظ الملقب بـ « دبس وزيت » ينتهي نسبه الى الولي
الكبير سيدي عبد القادر الجيلاني [illegible] ولد في حي [illegible] احد احياء دمشق .
كانت دراسته الاولى على يد والده الشيخ عبد الرحيم [illegible] حفظ القرآن
ولم يبلغ سن [illegible] ثم اعاد قراءته على الشيخ محمد سليم الحلواني شيخ القراء ،

واصبح [illegible] وعرف على الشيخ عبد الله [illegible] قراءته عليه أخصب مرحلة قضاها في طلب العلم ، حيث قرأ عليه جميع انواع العلوم ، وكان رحمه الله ابرز تلاميذه واسرعهم حفظاً واكثرهم نجابة حتى سمي خليفته .

وقد [illegible] الشيخ [illegible] والشيخ محمود [illegible] وحضر دروس المحدث الأكبر الشيخ بدر الدين الحسني ، ومن العلماء الذين التقى بهم وعرف عنهم [illegible] الشيخ [illegible] والشيخ عيسى الكردي والشيخ عبد الرحمن [illegible] الشيخ عبد الحكيم الافغاني واخذ عن الشيخ عبد القادر الاسكندراني والشيخ صالح الحمصي .

عرف عن المرحوم [illegible] وكان له مكتبة معروفة حتى [illegible] علمه ، اذ كان إماماً في الفقه الحنفي [illegible] حتى [illegible] حنيفة الصغير ، وكان [illegible] في [illegible] حياته بأبي يوسف الثاني نسبة لتلميذ ابي حنيفة .

[illegible] واحب ان ينقطع للعلم .

عرف رحمه الله بزهده وورعه [illegible] الحلال ، كما عرف بمواظبته على اداء [illegible] وكان رحمه الله يبر بالفقراء والمساكين [illegible] في مختلف العلوم الدينية [illegible] وتعليقات على الهداية [illegible] في العاشر من رمضان ١٣٨٩ ، [illegible] دمشق [illegible] علماً [illegible] مشهود ، وبكى الجميع فيه ذلك الرجل الذي كان مثالاً للعالم العامل .

محمد الحامد

محمد الحامد (١٩١٠ - ١٩٦٩ م) ولد في حماه وتوفي بها ، وهو صغير السن تولى تعهده المرحوم اخوه الشاعر بدر الدين الحامد ، ووجهه في طريق العلم والمعرفة ، وبعد ان اجتاز مرحلة التعليم الابتدائي التحق بمكتب الشرعي ، فانتسب الى دار العلوم الشرعية ، ثم رحل الى حلب وانتسب للمدرسة الخسروية الشرعية التي كان يديرها عدد من العلماء الاعلام ، ومنهم الاستاذ الشيخ احمد الزرقا الفقيه الجليل والشيخ احمد الكردي مفتي الحنفية في حلب والشيخ عيسى البيانوني والشيخ ابراهيم السلقيني والشيخ محمد الناشد والشيخ راغب الطباخ والشيخ احمد الشماع وغيرهم ، وبعد انهاء الدراسة فيها عاد لحماه والتزم الدراسة العلمية ، ثم التحق بكلية الشريعة في الازهر الشريف ونال شهاداتها العالية وانتسب لقسم التخصص في القضاء الشرعي ونال شهادته العلمية مع الاجازة في القضاء ولكنه لم يشأ ان يكون قاضياً واختار التدريس في وزارة التربية والتعليم كما كان يدرس ويخطب في جامع السلطان الذي تسلم الخطابة والتدريس فيه ، ووصل الى جانب ما كان يؤهله من دراسات خاصة على يد الكتب الموفرة من قديم المصنفات وجديدها .

ويقول المجدد المصلح الشيخ محمد الحامد في ترجمته التي قدمها لمجلة « الحضارة الاسلامية » قبل وفاته انه تأثر بكثير من اساتذته وشيوخه الذين كان لهم الفضل عليه كفضيلة خاله الشيخ محمد سعيد الجابي والشيخ محمد توفيق الصباغ وشيخه الاستاذ محمد سعيد النعساني مفتي حماه وعم والده ، وشيخه الاستاذ الحجة شمس علماء حماه الشيخ احمد المراد والعارف بالله الشيخ محمد ابو النصر الحمصي النقشبندي الذي اخذ عنه الطريقة كما تأثر بعلماء دمشق ومنهم المرشد المربي الاستاذ الشيخ ابراهيم الغلاييني .

اما انتاجه العلمي فغزير وقد طبع منه : « نظرات في كتاب اشتراكية الاسلام » و « حكم الاسلام في الغناء » و « رحمة الاسلام للنساء » و « آدم لم يؤمر مطلقاً بالاكل من الشجرة » و « القول في المسكرات وتحريمها من الناحية الفقهية » و « التدارك المعتبر لبعض ما في كتاب القضاء والقدر » و « بدعة زيادة السوريات في المساجد ليالي رمضان

وغيرها » و « نكاح المتعة حرام » و « رد على الباطل » ، وهو كتاب ضخم يحوي بين دفتيه مجموعة رسائل ومقالات [illegible] ، ومجموعة أسئلة فقهية كان يرد بها على [illegible] علمية وجوابه عليها ، وهناك مجموعة [illegible] ردود على البهائيين .

وقد انتقل الشيخ الى جوار ربه في ليلة الثلاثاء التاسع عشر من صفر الخير ١٣٨٩ ؛ ٥ أيار ١٩٦٩ ، ووري جثمانه في المقبرة [illegible] في موكب حافل مشهود ، شارك فيه مختلف المدن السورية بعلمائها ورجالاتها .

الدكتور محمد خير العرقسوسي

لم نستطع الحصول على ترجمة الدكتور محمد خير العرقسوسي ، وذلك بسبب سفره للتدريس في الرياض منتدبا من قبل هيئة الأمم المتحدة « اليونسكو » وكل ما حصلنا عليه من المعلومات أنه تلقى علومه الأولية والاعدادية والثانوية والعالية في المدارس والمعاهد والجامعات في سورية [illegible] شهادة الدكتوراة في العلوم التربوية من جامعة جنيف ، وبعدها عاد الى دمشق وعين مدرسا في كلية التربية ، وله عدد من المؤلفات منها : « الميسر في علم الحساب – [illegible] » و « ابن خلدون حياته ومقدمته » وغير ذلك من الأبحاث والدراسات التربوية والاجتماعية .

محمد علي المراد

محمد علي المراد (١٩١٨ -) سليل عائلة من مدينة حماه ، تميز أسلافها بالزهد والورع والتصوف ، ومنهم والده السيد محمد سليم المراد ، درس أولا في مدرسة ابتدائية ، وقرأ على عمه الشيخ العلامة الشيخ احمد المراد وعلى الشيخ زكي الدندشي والعلامة المرحوم السيد محمد الحامد ، كما تلقى العلوم في الأزهر وحاز على شهادة التدريس منه في عام ١٩٤٨ بعد ان نال شهادة الاعدادية في الاعدادية الشرعية بحماه .

بدأ التدريس في حلب في المدارس الثانوية وانتقل للتدريس في ثانويات حماه ،

كما ألقى دروساً في الوعظ والإرشاد في مسجد [illegible] أبي الفداء ، [illegible] الأول للمجدد المصلح الأستاذ محمد الحامد .

محمود ياسين

محمود بن أحمد ياسين (١٣٠٤ – ١٣٦٧ هـ و ١٨٨٧ – ١٩٤٨ م) فقيه محدث مشارك في بعض العلوم ومن أبرز علماء اللغة والأدب ، ولد بدمشق وأخذ العلوم وأخذ عن المحدث الأكبر بدر الدين الحسني و[illegible] الأستاذ محمد جعفر الكتاني والأستاذ صالح شريف التونسي وأحمد الجزائري ومحمد عبد الله الكسم ومحمد كامل القصاب وعبد القادر الاسكندراني و[illegible] ومحمد سليم الحلواني ومصطفى [illegible] ودرّس في مساجد دمشق [illegible] وجمعية العلماء والشرعية وأنشأ مدرسة [illegible] وعمل في المحاكم الشرعية وساهم في تأسيس جمعية [illegible] وجمعية [illegible] وجمعية الهداية الإسلامية وتولى رئاسة [illegible] مدة عشرين عاماً [illegible] وساهم في تأسيس مجلة « الحقائق » بدمشق وتوفي في دمشق [illegible] في ٤ ذي الحجة ودفن بمقبرة الدحداح .

ومن آثاره [illegible] في الحديث و[illegible] ورسائل في [illegible] عن [illegible] ومحاضرات من عيون [illegible] والأدب والشعر واللغة ، وكان ينشر مقالات في المجلات المصرية والسورية .

[illegible] عدداً كبيراً من التلامذة [illegible] في حياة العلم والأدب والإصلاح الديني ، ومن أبرزهم ابن أخته الدكتور شكري فيصل عضو المجمع العلمي العربي وصاحب الآثار الأدبية والعلمية والأستاذ في جامعة دمشق والجامعات العربية ، وهو يدرس حالياً في جامعة الجزائر .

ومن تلامذته [illegible] والأستاذ مأمون [illegible] المدرس في [illegible] البلاد العربية ، ويدرس حالياً في ثانوية جودة الهاشمي في دمشق .

مكي الكتاني

مكي الكتاني (١٣١٩ هـ ، ١٨٩٧ م) ولد السيد مكي الكتاني في فاس في المغرب العربي من عائلة شرف وعلم ، ووالده المحدث الأشهر السيد محمد عبد الله بن جعفر الكتاني الذي هاجر الى مدينة المنورة مع عائلته عام ١٣٢٥ هـ ثم انتقل الى دمشق .

بدأ دراسته على يد عدد من العلماء وأولهم والده ومنهم : الشيوخ عبد القادر الشمي الطرابلسي وتوفيق الايوبي وحسن الحداوي المغربي واحمد الشمعصي ، كما درس في دمشق على يد الشيخ المحدث الأكبر الفقيد الشيخ بدر الدين الحسني والامام امين سويد ، وبدأ بالتدريس في داره بالصالحية بعد ان اجازه الشيخ امين سويد ثم في عدد من مساجد دمشق ومنها المسجد الاموي .

أسهم في الجهاد ضد فرنسا في سورية كما كان شأن عائلته في المغرب العربي ، واسس « رابطة شباب دمشق » ثم « رابطة العلماء » التي ما يزال يرأسها كما انه ساهم في عدد من الجمعيات ومنها جمعية الهداية الاسلامية والجمعية الغراء وجمعية انصار المغرب العربي وتحريره وجمعية وسيع مسجد الشيخ الأكبر ، وهو عضو في المؤتمر الاسلامي العربي الذي كانت له يد في انشائه وله رحلات عديدة في مؤتمرات العالم الاسـلامي .

ملا رمضان البوطي

الملا محمد رمضان البوطي (١٣١٢ هـ) ولد في ضاحية من ضواحي جزيرة ابن عمرو ، وتتلمذ على يد عدد من كبار العلماء ومنهم المرحوم الشيخ محمد سعيد سيدا شيخ الطريقة النقشبندية وكان يدرسه المعقولات والمنقولات وفي عام ١٩٥٤ م اقام في حي الاكراد في دمشق ودرس على يد عدد من الأعلام ومنهم المحدث الاكبر الشيخ بدر الدين الحسني والشيخ محمود العطار والشيخ علي الدقر والشيخ ابراهيم الغلاييني ، ثم بدأ بالدعوة والارشاد في مسجد الرفاعي وفي داره وفي غيرهما .

ألف ونشر عدداً من الكتب ومنها كتاب « نور الاسلام في امراض القلب وادويتها وآفات اللسان وما وجب على الانسان »وعني بنشر الكتب الكردية لتعليم العقيدةالاسلامية ومنها كتاب « نهج الانام » للملا خليل شوقي الاسعيردي في التصوف والعقيدة والاخلاق وكتاب فيالعقيدة للاديبالمشهور الشيخاحمد الخاني وكتاب «الربيع الجديد» ـ نوبهار ـ والقاموس الكردي العربي للشيخ احمد الخـاني اعظـم شاعـر في الادب الكـردي و « المولد الكردي » للشيخ ملا يوسف الكردي ٠

جدار اثري لجامع الشيخ أرسلان وعليه لوحة مديرية الآثار العامة

ويبنى بجانبه الجامع الجديد

أرسلان بن يعقوب الدمشقي

الى اليمين : الضريح الأثري للشيخ أرسلان الدمشقي وعليه قبة خضراء ، والى يساره المسجد القديم ، والى جنوبه الشرقي مسجد خالد بن الوليد الاثري

أرسلان بن يعقوب الدمشقي (•••• – ٥٤١) أرسلان بن يعقوب بن عبد الله عبد الرحمن الجعبري الدمشقي ، وكلمة أرسلان معناها « الأسد » بالتركية ، ولد في قلعة جعبر على الفرات الاوسط ، ومذهبه شافعي ، ويتصل نسبه بالصحابي جابر بن عبد الله الانصاري •

وتقع قلعة جعبر بجانب قلعة نجم في ناحية صرين التابعة لعين العرب ، وكانت من ثغور المسلمين الداخلة بينهم وبين الروم ، لهذا فان الشيخ أرسلان ما كاد يشب عن الطوق حتى اسهم في المعارك التي جرت فيها في عصر عماد الدين زنكي الملقب بالمنصور صاحب الموصل ووالد نور الدين محمود بن زنكي •

وقد هاجر من جعبر الى دمشق وعمل في نشر الخشب وكان يقسم اجرته أثلاثاً : ثلثاً لنفقته وثلثاً لكسوته وثلثاً يتصدق به •

وتلقى الشيخ أرسلان المعرفة على يد شيخه ابي عامر المؤدب في مسجد صغير داخل

باب توما ثم انتقل الى مسجد آخر في المنطقة نفسها ، وبعدها أقام في مسجد خالد بن الوليد بجانب ضريحه الحالي ، وهو اول مسجد أسس في دمشق بعد فتح خالد بن الوليد لها ، وكان مع استاذه يعيشان جنباً الى جنب •

وكان للشيخ أرسلان اتجاه خاص في عرض فكرة التوحيد ، اذ يعتبر من اوائل المتحدثين فيه خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين ، وذلك من قبل ان تحظى امتنا بسلطان العارفين الشيخ الاكبر ، ونظرة لرسالته التي شرحها الشراح في هذا الكتاب وفي الكتاب الذي نرجو ان يصدر قريباً ويحمل بقية الشروح ، تعطي فكرة حية عن تلك المدرسة التي أسسها الشيخ أرسلان ، وجمع فيها بين التوحيد والتدريس في الكتائب السبعة التي اقامها في المنطقة ، وبين النضال والكفاح في وجه اعداء العروبة والاسلام •

فقد أسس رباطاً داخل باب شرقي ، والرباط بيت الصوفية ونزلهم ، وكان المريدون يترددون الى رباطه يتعلمون فيه انواع الدراسة الكونية والدينية ، ويتدربون على الفنون الحربية للوقوف في وجه الصليبين الذين كانوا وصلوا الى ضواحي دمشق •

ومما يشار اليه ان امام المجاهدين الشيخ أرسلان سمي « حامي البر والشام » للسبب الأخير الملمع اليه ، ذلك انه قاتل في قلعة جعبر ودعي باسم « حامي البر » ، اما « حامي الشام » فقد وصف بها بسبب قتاله ودفاعه في وجه الصليبين في عهد طغتكين حين وصلت قواتهم الى مقربة منها ، وحاولوا دخولها تآمراً مع المزدقاني احد وزراء ذلك العهد ، وقد استطاع ردهم على اعقابهم ، وهناك ترجمة واسعة في كتابي الاول عن الشيخ أرسلان يمكن الاطلاع عليها لمن أراد الاستزادة •

كان الشيخ أرسلان الى جانب هذا عابداً خاشعاً ، وشاعراً ظريفاً من فحول الشعراء وقد اشار الى شعره الكاتب الفرنسي الاستاذ برنابه في كتابه «دليل الاراضي المقدسة» المطبوع بالفرنسية• يبدو من «رسالته في التوحيد» ومن «شذراته» التي نقلنا بعضها في الكتاب الاول عن الشيخ أرسلان ، انه كتب ونشر الشيء الكثير ، غير ان مخلفاته ما تزال مفقودة ، وذلك بسبب ضياعها او انها كانت ضحية فيضان وقع في المنطقة التي تبدو منخفضة عما حولها من الاراضي المجاورة •

كلمة الختام

•• وبعد فقد اكتفيت باثبات تراجم بعض الاساتذة والسادة العلماء من المعاصرين الذين اطلعوا على مقدمات هذا الكتاب . ولم اتعرض لتراجم البقية الباقية من علمائنا الأعلام الذين جاء ذكرهم في مقدماتي عن علوم التوحيد والتصوف والايمان ، أو في شروح رسالة الشيخ ارسلان في التوحيد لامكان العودة الى ترجمة بعضهم في كتابي الاول عن الشيخ أرسلان ولوجود ترجمة القسم الآخر في الكثير من كتب التراجم المطبوعة •

واني ماض بعون الله = إن كتبت لي الحياة = في نشر بقية شروح رسالة الشيخ أرسلان الدمشقي ، وإلى اصدار كتاب عن العارف بالله تعالى الشيخ احمد الحارون الحجار العسل الذي سبق وقدمت موجزاً عن سيرته في كتابي الاول عن : « امام السالكين والمجاهدين الشيخ أرسلان الدمشقي » •

والله ارجو ان يجعلنا من النفوس التي روّاها من رحمته ، معتمدين عليه تعالى القدير فيما نقول ونكتب ونفعل ومتقيدين بما ورد في كتابه العزيز وسنة نبيه الكريم ، وسيرة البررة الأخيار من آله وصحابته والسائرين على هديه ، وهو نعم المولى ونعم النصير •